بيت الفقراء

نشر الثقافة الروحية

الجزء التاسع

ألواح ما بين قبر ومنبر

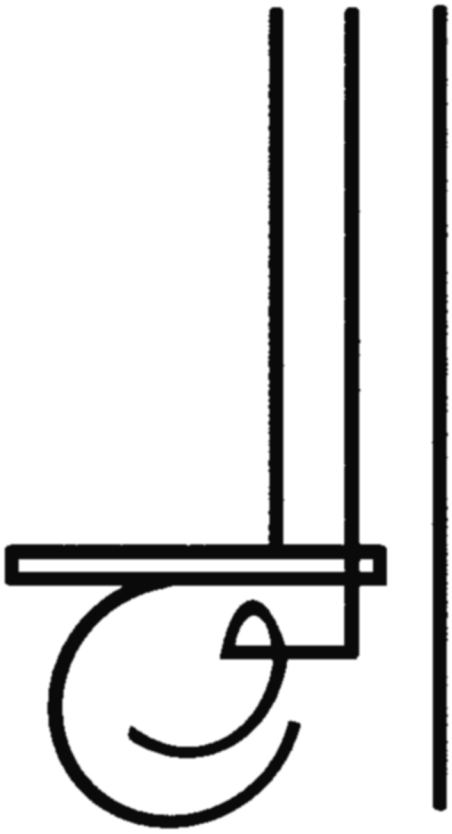

السيد الروح المرشد (سلفر برش)

الجمعية الإسلامية الروحية

القاهرة - الحلمية الجديدة

طريق علي مبارك الرقم ٢٨

رافع محمد رافع

ألواح ما بين قبر ومنبر - الجزء التاسع

فهرس الأحاديث

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
١	وجوه الله لقائمه وقيومه الهو من ورائهم بإحاطته في واحديته لأحديته الحق بفرده، الأزلي الأبدي، رسول الله للحق بجمعه، الأبدي الأزلي والحق في جمعه، رسول الله للحق بفرده، أبديا أزليا	حديث الجمعة	٧ فبراير ١٩٦٤ م	١
٢	بُعِثت فقامت النفس البشرية بالحق بعبد لله لعباد لله، وبعباد لله لعبد لله فقام الحق بالفرد والجمع للعيان، وعَمت النبوة بالعلم والبيان بآحاد الله بالإحسان، في أحدية الإنسان	حديث الجمعة	٢٦ يونيو ١٩٦٤ م	٩
٣	بعث الآزال في الآباد في لا إله إلا الله الظاهر مرآة الباطن	حديث الجمعة	٣ يوليو ١٩٦٤ م	٢٣
٤	المؤمنون من كانوا لله ورسوله وجوه وأعلام فكان حسبهم الله ورسوله في دوام	حديث الجمعة	١٠ يوليو ١٩٦٤ م	٣١
٥	يبدل الله الأرض غير الأرض والسماوات يوم يستوي على عروش القلوب لعوالم النفوس والذوات بإنسان الله له عقبى الدار وسماوات الجوار	حديث الجمعة	١٧ يوليو ١٩٦٤ م	٤٣
٦	الناس في خدمة الطاغوت إلا من رحم وعباد الرحمن في خدمة الناسوت عند من عَلِم	حديث الجمعة	٢٤ يوليو ١٩٦٤ م	٥٥

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
٧	سيادة الدنيا.. سيادة الآخرة.. سيادة العلم في دين الفطرة اتقوا الله ويعلمكم الله إن لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق	حديث الجمعة	٣١ يوليو ١٩٦٤ م	٦٧
٨	المقصود وجه الله وجودا وشهودا وشهودا ووجودا	حديث الجمعة	٧ أغسطس ١٩٦٤ م	٨١
٩	إنسان الله وجماع كلماته آدم أوادم الحياة وآياته الحق ومسيح الكمال الموجود بالوجود في المطلق للانهاياته رسولُ الله بقبله وبعده لقائمه هو العروة الوثقى للحق لا انفصام لها بقائم لقيام من الأزل والأبد له، في دورة كوثره بأوادم مبناه، لقائم وقيوم إنسان الله لمعناه، حق كلمة الله للبدايات والنهايات، لقائم وقيوم فطرة الحياة، بسرمدي رسالته، وسرمدي تكاثره، بظلال معناه، وقيامات مبناه، للمثل الأعلى لمولاه من الله، قدوة وأسوة، كافة للناس في السماوات والأرض.	حديث الجمعة	١٤ أغسطس ١٩٦٤ م	١٠١
١٠	إنسان الله وحقه ناموس الفطرة وصبغتها نعرف أنفسنا يوم نعرفه ونعرف الله يوم نكبره وظلاله نشرفه	حديث الجمعة	٢١ أغسطس ١٩٦٤ م	١٢١
١١	إنسان الحق لإنسان الشهود وإنسان المسير لإنسان القعود إنسان الكلم لإنسان الوجود ساحة الرحمة للعالمين، وكتاب العلم واليقين	حديث الجمعة	٢٨ أغسطس ١٩٦٤ م	١٣١

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
١٢	الأمر الوسط حقيقة كل ما يصل إليه أمر الله بالإنسان يوم يحيا بحاضر له لأزله وأبده وهو نهاية ما يلقى لمعنى ربه أو يعلم لمعنى غيبه في لانهائي الحق ولانهائي الخلق للانهائي حقه وخلقه لأمره	حديث الجمعة	١١ سبتمبر ١٩٦٤ م	١٥٣
١٣	أمر الله يسفر لمجاله لله كلما تخلى أمر لأمر أمر تكنز احتجابا لتعاليه، وأمر أسفر بداية لتدانيه فكانت ساعة للقاء، وقيامة لإنظار وجزاء يشهدها أهل البصائر، من ساكني العوالم والحظائر حظيرتنا وعوالمها في دورة أمر لتمام، يتخلى لقيام أمر ببأس وسلام	حديث الجمعة	١٨ سبتمبر ١٩٦٤ م	١٦٥
١٤	شمس الوجود وعلميتها على شمس الحياة لإنسان طلعتها هو الحي في الساجدين، القيوم بالقيمة بالعارفين	حديث الجمعة	٢ أكتوبر ١٩٦٤ م	١٧٩
١٥	مشيئته لعفوه بإنسان رحمته عطلت قضاءه بعدله لإنسان عزته في قائم الوجود بالحق لإنسان فطرته شفاعته عنده لإنسان صبغته ورسول حكمته المعركة الخالدة بين الإنذار والإنظار	حديث الجمعة	٩ أكتوبر ١٩٦٤ م	١٩٥

(١)

وجوه الله لقائمه وقيومه
الهو من ورائهم بإحاطته في واحديته لأحديته
الحق بفرده، الأزلي الأبدي، رسول الله للحق بجمعه، الأبدي الأزلي
والحق في جمعه، رسول الله للحق بفرده، أبديا أزليا

حديث الجمعة

٢٣ رمضان ١٣٨٣ هـ - ٧ فبراير ١٩٦٤ م

الحمد لله، خلق كل شيء من أجل الإنسان.

الحمد لله، خلق الإنسان لنفسه.

الحمد لله، جعل في الأرض نشأة وتمام الإنسان.

الحمد لله، جعل من النشأة والتمام دورة الحياة.

الحمد لله، جعل على الأرض ظهور ظله ورحمته بالإنسان

الحمد لله، جعل بدء الحياة هو بدء الطريق إليه في متابعة الإنسان للإنسان.

الحمد لله، جعل ذلك بدءا من عالم الإنسان على هذه الأرض، وتمامه بخلافته على هذه الأرض، إنسانا عن إنسان لإنسان، لأحدية حق بمعلوم إنسان، ظاهرا لباطن من إنسان، في مطلق إنسان الله.

الحمد لله، جعل الأرض ومن عليها في أحديتها بسماواتها منها عليها كفاتا أحياءً وأمواتا.

الحمد لله، جعل من الأرض والسماوات، وما تحت الثرى، وحدة لبيت لإنسان، هو عالم الروح الأول، وجعل له من البيت جنة من بنيان، وقياما من إحسان، وتصريفا من إتقان.

الحمد لله، جعل من البشرية مظهرا لمخبر بإنسان لإنسان، وجعل البشرية برحمته بين يدي الإحسان، وجعل يدا الإحسان منها وإليها هي منهما وإليهما، لا فرق بين قديم إنسان وقادم إنسان في وحدانية الجمع للإنسان، في حاضره بين أزله وأبده.

الحمد لله، جعل من الفرد وجه الجمع، يوم يتجمع الجمع عليه، ويرتضيه من عوالم الغيب والشهادة وجها للإنسان.

الحمد لله، جعل الجمع عند الفرد وجها للمحيط به والقيوم عليه من الإنسان، يوم يقوم الجمع بالإحسان.

الحمد لله، جعل من عنوان الإنسان بفرده وبيته بوجهه لفرده معشوق جمعه، ووجه قدسه، ومعنى الأقدس لذاته عند ذواته. كما جعل الجمع وجه وحدانيته عند فرده، فنظر الفرد للجمع قائم منشوده، ووجه معبوده ومقصوده، ونظر الجمع للفرد وجه موجوده، ومشهود وجوده، ومقصود صعوده، لقيام معاني وحقائق معبوده، اسما له، وظاهر موجوده، فدخل الفرد في لا إله إلا الله، حصنا لرحمة الله قيامة بالحق لمعناه، ودخل الجمع في لا إله إلا الله، حصنا لرحمة مولاه برسول الله بعثا بالحياة.

بذلك قام رسول الله فردا بعد فرد عند الجمع بحاضر متجدد له، رسولا مبلغا وإماما هاديا، وجمعا بعد جمع بمعارجه في دورة الحياة، عند الفرد والجمع أمة له، طريقا مستقيما له وللناس، به يشهد الله بوجه الحق له مع الذين اتقوا والذين هم محسنون بكل جديد له، على ما شهد وقام بذاته ظهرت علم البدء والتبليغ في معراجه إليه، لقديمه بعثا لأول العابدين برسالة الله إليه، يستقيم عليها ليكون رسول الله إلينا، ووجه الله له، نراه وجه الله لنا، ووصلة الله به، ليكون العروة الوثقى لوصلتنا بالله، وجه الحق به منه لوجه الحق فيه، منه إليه بنا {فبهداهم اقتده}[1]، {وإذ أخذنا ميثاق النبيين ...}[2].

قام به الجمع في إمامهم وطنا لهم، في وحدانيته إنسانا دخلوه، نفوسا مطمئنة دخلت في عبد له بيتا موضوعا يذكر فيه اسم الله، عبدا للرحمن وعينه، عبدا لله واسما له، عبداً للإحسان شهد الله في العلم عليه والعنوان له في القدوة برسول رحمته مثلا أعلى بالعرفان، ومتابعته روح قدس ربه في السر والنجوى للبيان دون الجهر من القول في التبيان، وجها للرحمن، وقياما للرحمة والإحسان.

بذلك كان الرسول معلوما في قيام معشوق بالفرد والجمع، كما كان مشهود القلب، ومصباح العقل، وجذوة النفس، ويقين الحس. أليس هو رسول الرحمة رسول الله، {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله، وآمنوا برسوله}[3]، {واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}[4].

بذلك كان الجمع رسول الله للفرد، والفرد رسول الله للجمع، والله من ورائهم محيط. الكل يشهد لا إله إلا الله، ويدخل في لا إله إلا الله، وكان الدين في خدمة الفرد للجمع، وتلبية الجمع للفرد، واستقبال رحمة الله به منه.

إذا عرفنا هذا لمست قلوبنا معاني الكتاب يوم لمس نور الكتاب عقولنا، فأدركنا قوله {لا يمسه إلا المطهرون}[٥]، وأدركنا أنه ما كان إلا نورا تهدى به القلوب، وتشرق به العقول يوم يحيا الفكر في تجواله حول مصدره، وأدركنا كيف أنه به جاء الحق وزهق الباطل بمجيء الإنسان، بيمينه كتابه لإنجيله في صدره، أعطى القرآن ومثله معه، أعطى علما للناس يُشهر، وعلما لنفسه دون الجهر به يُذكر، بذلك كان القوم أهل إشارة وليسوا أهل عبارة.

من هذا وقيامه بنا أدركنا كيف أظهره الله على الدين كله، وجعل منه لنا الدين كله، فبه عرفنا الدين كله، وبه قمنا الدين كله، وأدركنا ماذا عنى الحق بقوله {رسولا من أنفسكم}[٦]، وعرفنا ماذا أراد الحق بقوله { يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم}[٧]، وأدركنا كيف أن {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}[٨] حقا، وأدركنا ما أعلمنا بقوله، {واعلموا أن فيكم رسول الله}[٩] فعلمناه في أنفسنا وعلمناه بيننا بمشهود به لنا، وأدركنا البشرى من رسول الله يوم بشرنا وقد ارتضيناه لأنفسنا قدوة وأسوة بقوله (ما أعطيته فلأمتي)[١٠]، وأدركنا أن رسول الله ما كان مازحا، أو مجاملا يوم قال (حسين منى وأنا من حسين)[١١]، كما قال (من كان منى كنت منه)[١٢]، فأدركنا مراد الله بهديه وبشراه في قوله {وما أرسلناك إلا كافة للناس}[١٣]، {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}[١٤]، {إن الله بالغ أمره}[١٥]، {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}[١٦].

إذا أدركنا ذلك كله، وعلمنا راضين لذلك كله أو لشيء منه في هذه الكرة، وحرصنا جادين على السعي إلى ذلك مهما كلفنا ذلك، فإنه الحياة.. فإنه البقاء.. فإنه مغادرة العدم والوهم.. فإنه الخروج من الندم والنوم.. فإنه التوفيق.. فانه التحقيق.. فإنه الدين والطريق.. عرفنا بأي أمر هُدِينا يوم قال لنا الخالق، وواجب الوجود لوجودنا، عنه لا نغفل، ولقيامه ندرك، وللحرص عليه نعمل، وللبقاء به نطلب، إذ يقول لنا {وفى أنفسكم أفلا تبصرون}[١٧]، {ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير}[١٨]، {واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين}[١٩]، {واعلموا أن فيكم رسول الله}[٢٠]، {...آمنوا برسوله}[٢١]، (يقوم ويتقلب في الساجدين)[٢٢].

أتنشد الله وهو معك! أتطلبه غائبا وهو عليك قائم! أتنشد مختفيا وهو من ورائك محيط! أتعتقد مجهولا وهو أقرب إليك من حبل الوريد! إنه دعاك.. وإنه داعيك.. وإنه سيبقى يدعوك أن تعلم أنه لا إله إلا الله، فتجاهد لتكون لا إله إلا الله، فتحقق قيام لا إله إلا الله يوم تدخل حصن لا إله إلا الله.. يوم

ينعكس بصرك في بصيرتك فتلقى لا إله إلا الله في نفسك، فتعلم أن أمر لا إله إلا الله إنما هو أمرك، يوم تراك ما فرطت في أمرك، وما فرطت في عَلَمك، وما فرطت في لا إله إلا الله، فربحت تجارتك، وبادلت على نفسك كنودة نفس ربك سيدة لا مسودة، في شهودك، في وجودك، بقائم اختيارك، بقدوة رضائك {لله المثل الأعلى في السماوات والأرض}[٢٣]، رضيت عنه ورضي عنك، فكنتما رضوان الله، في رضوان من الله أكبر...

فأدركت ما إليه هديت ببلاغ المحيط بك، القائم القابع في معناك، يوم جمع الدين لك في حكمة واحدة {إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا}[٢٤]، فعرفت عظمة هدي عيسى عليه السلام يوم قال (ازرع كلمة الله في أرض ناسوتك)[٢٥].. ازرعني كلمة لله في أرض قيامك بذاتك، روحا لك، وحقيقة لمعناك، (اقبل نيري فإن نيري عليك لطيف)[٢٦]، اقبلني لمعناك، ارتضيني لهواك، واعلم أن الله محبة، يوم تقوم بيني وبينك المحبة، فإذانا روحا واحدا فيه، وكيانا واحدا به، {ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون}[٢٧].

لا دينونة عليك يوم تدخل في آني، قائما بأواني، ممتدا بنور الله بي روح قدسه في أوانيك، فياضا على قلبك، قيوما لمعانيك. بوصلتي تعرف رحمة ربك، ومغفور ذنبك، بوصلتي يقوم في صدرك إنجيلي، فأنت نفسي وجيلي، يحل فيك روح القدس على ما هو بي حال، فتأتى فعلي، وتقوم أمري، وتعلم علمي، وتقول إنجيلي في صدري، كما قلتها وأشهرتها. نعم (إنجيلي في صدري)[٢٨]، وتقوم حقيقة الحياة ودورتها بالبدء والتمام فتقول كما أقول (أنا في الآب والآب في)[٢٩]، كما قلتها في كل تواجد لي بلا إله إلا الله، وكل من كان لأبي كان له منه ما لي، يوم كان لي، طلبا له بي، فأنا {العروة الوثقى لا انفصام لها}[٣٠]، (توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم)[٣١].

إن أدركنا ذلك، أدركنا بيانه وقيامه، وتطوره وشموله وعنوانه، وبدأه وتمامه، لأمة الفطرة، في أمة الفطرة.. في رسالة الفطرة.. في كتب الفطرة.. في أناجيل الفطرة.. في أراضي الفطرة.. في سماوات الفطرة.. في أوادم الفطرة.. في محمدي الفطرة.. في كلمات الفطرة.. في مخاطبي الفطرة.

قام هذا رسالة بمحمد، في محمد وأمته.. في محمد وعترته.. في العترة وظلالها.. في السفن وركابها، بصغيرها، لكبيرها، لركبها، أراضي الوجود ومن يعتليها، تحتية الشموس لمن يعتليها، ويصليها من يصطليها.. نور الأقمار ومن يهتديها، في النفوس العاليات السابحات أعلام الشهود لرائيها، للدنيا والآخرة والعوالم وقائميها، لأهل المتارب ومالكيها، في أهل الأرض وأهل السماوات ومن يرتقيها، في النفوس الكلية ومن يحتويها، في الإنسانية الخالدة ومجدديها، فيمن كان الإنسان، وفيمن كان آدم به إنسانا، وفيمن لم يظهر بإنسانيته إلا آدما وهو صانع الأوادم والآيات، مبدي الكلمات، روح قدس الوجود،

المعلوم للعلم في الشهود، من كشف لكل نفس قبلة السجود فيها لها، بيت الطواف لظلاله، والبشرى والوعود لمتابعي حاله، إنسان بيت الله، من عشقه كان لِبنة في بنائه، وقبضة ماء الحياة في وعائه، ورذاذ رحمة الله ينزل على أرضه من سمائه، وجنان أرض الله تخضر بروحه ومائه، فيشرق جامد ظلام نفسه إلى لطيف نور ربه، إذ تنعكس عليه أنفاس ذكره فينير من أضواء أمره، ويحترق فيه يابس أشجاره فتشتعل به جذوة الحياة من ناره باحتراقه بشوقه، نار الله موقدة.. بورك من في النار ومن حولها، وبورك من بناره احتواه، فصلصل إناؤه، وملئ وعاؤه، ونارت أضواؤه، فكان إنسانا لإنسان بإنسان، ثالوثا لحقائق في أحدية، وعنوانا لعنوان للحقيقة الربانية، وإحسانا لإحسان للمحسن رحمة للعالمين، فكان ذكرا لله محدثا، ببيت موضوع لذكر قديم ببيت مرفوع.

هذه الأرض، وهذه السماوات لها، وهذه البشرية عليها، وما تحت الثرى، وما فوق السماوات لها، وما فيها، قام برسول الله في حقيته من الله، وهو من عرفناه يوم قام من أنفسنا محمدا، يوم أتاها بلا إله إلا الله شعارا، وحدة واحدة، وقياما أحدا، وبيتا واحدا لإنسان الحق، رفيقا أعلى، وقياما للإنسان حقا مرسلا، وبعثا للإنسان عبدا وحقا لله، الكل له، وبشرى للإنسان الموقوت ليكون إنسانا خالدا، رحمة للعالمين.

بُعِث العنوان بيننا من أنفسنا بوصف عبد الله، ووجه الله، ورسول الله.. فكان حق الله لعباده برسالته.. وكان به الرسول لله من قام بكتابه إليه قدوة مرتضاه لعباده قياما بنوره، وكان العباد لله ظلال الرسول وبعثه بحبه ومتابعته، والفناء فيه لمعانيه، والبقاء به لأوانيه، فكانت الفطرة به برسولها وحقها وروحها أمرا واحدا، وحقا واحدا، وسرا واحدا، وجهرا واحدا، في قيام واحد، وأزل واحد، وأبد واحد، وسرمد واحد، ووجود واحد يظهر بين وصف ووهم الخلق، ويبعث ويقوم بيقين الحق.

بذلك علمنا أن الحق الإنساني يظهر في جلبابه من هياكل وأجهزة آدمه فلا خلق ولا حق، ولا حق ولا خلق، ولكنه الله، ولا إله إلا الله، ورسول الله.. ولا إله إلا الله، وعبد الله.. ولا إله إلا الله، وعباد الله في لا إله إلا الله. بهذا كله قام الإنسان، وقام كتابه، وقامت فطرته، وقامت ملته، وقامت سياسته، وقامت طريقته، وقامت حكمته، وقام أمره.

إن الحكمة للحكماء.. والعلم للعلماء.. والنبأ للأنبياء.. والخبر للأصفياء.. والرضا للأتقياء.. والاستقامة للأولياء.. والإمامة للمساكين الضعفاء.. والمتابعة للحكماء الأعزاء.. كل ذلك في الفطرة ونظامها وقوانينها إنما هو أمر واحد.. ودين واحد.. وعلم واحد.. ونبأ واحد.. وحكمة واحدة.. النفوس إليها بالغة، ما استجابت لصوت الله الدائم، وبها قائمة ما عملت بأمره النافذ القائم، وفيها راضية ما قنعت بقرب الله

وهو القريب.. وبها سعيدة ما لمست من رحمة الله. جاءنا بها رسول الله لا يغيب، فذلك كله في شهادة أنه لا إله إلا الله يوم نشهدها، وفى شهادة أنه محمد رسول الله يوم نقومها.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله

اللهم يا من جعلت بلا إله إلا الله لا شريك لك، أدخلنا في لا إله إلا الله، ونجنا من وهم الشرك بك لقائم أنفسنا وجوها لك.

اللهم يا من أقمت لا إله إلا الله عماد الدين، وعلم الكتاب، وقيام النبوة، ومصباح العلم، وطريق الحكمة، وحوض التقوى، اللهم أدخلنا في حصن لا إله إلا الله ليكون لنا ذلك منك بشهودها، ووجودها، والسعادة بها، على ما أردت، وهديت فقدرت، ودبرت فأحكمت، وخيرت فقومت، وقهرت فحرمت.

اللهم بمن أقمته لا إله إلا الله، وأشهدته لا إله إلا الله، وأعلمته لا إله إلا الله، وبعثته بالحق لا إله إلا الله، اللهم به فأدخلناها يوم تُدخلنا إياه، ليرتضينا لمعناه، فلمعنانا بك منك ارتضيناه، وبالحق به رحمة منك آمنَّاه، وبالحق منك آمناه، وبالحق فطرتك قمناه، وبرحمة الله معراج نعمته طلبناه، وبنعمة الله لا تجز رجوناه.. اللهم فأشهدناه، وأدخلناه، وأوجدناه، فبه نشهدك لا إله إلا الله، ونتواجدك لا إله إلا الله، ونؤمن بك في إيماننا بأنفسنا قياما للا إله إلا الله، لا شريك لك، ولا موجود بحق إلا أنت، أنت الغيب والشهادة، أنت القائد والمقود والقيادة، أنت الموجود وأنت المُوجِد، وأنت الوجود، لا وجود في موجودك، ولا شهود لغير شهودك.

اللهم يا من دركتنا لا إله إلا الله يوم دركت، وقدرتنا لا إله إلا الله يوم نراك قدرت، وأنبأتنا لا إله إلا الله يوم للنبأ أسمعت، وشهدناك لا إله إلا الله يوم عنا للغطاء كشفت، وللبصائر أشهدت.. اللهم لا تحرمنا معراج لا إله إلا الله لنقوم في الله أكبر عبادا لك.

اللهم برسول الله فأشهدنا، وأسمعنا، وأبصرنا وأقمنا، وأوجدنا، وجددنا، وأرضنا، وأغننا، واليك أفقرنا، وأوصلنا، وأبعدنا، وأكبرنا، ونزهنا، وتنزه لنا، وتكبر علينا، وقاربنا لا إله إلا الله، والله أكبر. لا إله إلا أنت، ولا معبود سواك.

اللهم بها فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، وأنزل سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، وباعد بيننا وبين كل ما يباعد بيننا وبينك، ونجنا من الهم والغم، ومما نعلم، ومما لا نعلم مما يحيط بنا، ومما هو فينا. لا إله إلا أنت سبحانك، ولا معبود سواك.

اللهم كن لنا حكاما ومحكومين، اللهم كن لنا عادلين وظالمين، اللهم كن لنا يقظين وغافلين، اللهم كن لنا مدركين وجاهلين، اللهم كن لنا متقين وجائرين، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

(إن ما ندركه في التأمل الميتافيزيقي والخلوة الروحية، تلك التي ترفعنا فوق أنفسنا في معيشتنا اليومية، لا ينبغي أن يتهافت أو يتضاءل، كما أنه لا ينبغي أن يأخذ أهمية المعرفة التجريبية حين يضطرنا العقل إلى امتحان قيمته. وينبغي أن يظل مطلبنا الأساسي أن نتبين هل أضأنا في أنفسنا منائر الحرية أو أطفأناها، وهل زكينا في حياتنا كنوز الجوانية أو بددناها).

(ياسبيرز) الحكيم الألماني المعاصر

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الأنعام - ٩٠

٢ سورة آل عمران - ٨١

٣ سورة الحديد - ٢٨

٤ سورة النحل - ١٢٨:١٢٧

٥ سورة الواقعة - ٧٩

٦ سورة التوبة - ١٢٨

٧ سورة الأنفال - ٢٤

٨ سورة الأحزاب - ٦

٩ سورة الحجرات - ٧

١٠ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

١١ حديث شريف: "حُسينٌ مِنّي، وأنا منه، أحبَّ اللهُ مَن أحبَّ حُسينًا، الحسَنُ والحسينُ مِن الأسباطِ". أخرجه الترمذي وابن ماجه، وأحمد باختلاف يسير.

١٢ إشارة إلى معنى جاء في أحاديث شريفة متعددة منها: "إن عليا مني وأنا منه." رواه الترمذي والنسائي في السنن الكبرى. و" حسين مني وأنا منه". أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد باختلاف يسير. أيضا: في حق جليبيب لما استشهد بعد قتله سبعة من المشركين، فقال صلى الله عليه وسلم: "هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه." رواه مسلم.

١٣ سورة سبأ - ٢٨

١٤ سورة الأنبياء - ١٠٧

١٥ سورة الطلاق - ٣

١٦ سورة الذاريات - ٥٦

١٧ سورة الذاريات - ٢١

١٨ سورة الملك - ٤

١٩ سورة الأعراف - ٢٠٥

٢٠ سورة الحجرات-٧

٢١ من سورة الحديد- ٢٨

٢٢ استلهاما من الآية "الذي يراك حين تقوم. وتقلبك في الساجدين" - سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩

٢٣ سورة الروم - ٢٧

٢٤ سورة سبأ-٤٦

٢٥ استلهاما من تعاليم السيد المسيح وهو يدعو حواريه أن يزرعوا "الكلمة" أي كلمة الله، أي المسيح في أرض ذواتهم.

٢٦ استلهاما من آية الإنجيل "احملوا نيري عليكم، وتعلموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب." (مت ١١: ٢٩)

٢٧ سورة الزخرف - ٥٧

٢٨ عبارة للسيد رافع يمكن فهم معناها ومغزاها من السياق.

٢٩ إنجيل يوحنا: "أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؟ الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ." (يو ١٤: ١٠).

٣٠ سورة البقرة - ٢٥٦

٣١ حديث شريف يرد في الأدب الصوفي، ويعتمدون فيه على الروايات التي جاءت في كتب الأثر، ومنها الطبراني، والترمذي، عن التوسل برسول الله، وأنه متوافق تماما مع بعض الآيات مثل: {وَمَا أَرسَلنَا مِن رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذنِ اللَّهِ وَلَو أَنَّهُم إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُم جَاءُوكَ فَاستَغفَرُوا اللَّهَ وَاستَغفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً} (سورة النساء: ٦٤)

(٢)

بُعِثت فقامت النفس البشرية بالحق
بعبد لله لعباد لله، وبعباد لله لعبد لله
فقام الحق بالفرد والجمع للعيان، وعَمت النبوة بالعلم والبيان
بآحاد الله بالإحسان، في أحدية الإنسان

حديث الجمعة

١٦ صفر ١٣٨٤ هـ - ٢٦ يونيو ١٩٦٤ م

بسم الله المحيط، قائم البادئ والمبدوء، ولا بدء له

بسم الله الخاتم، وقائم كل ختم، ولا ختام له

بسم الله العَالِم، وقائم المعلوم، ولا علم به

بسم الله العارف، وقائم المعروف، ولا إحاطة به

بسم الله الشاهد والمشهود، في أحدية قيامهما به، ولا وصف له.

بسم المسمى: الله، ذاتا ومعنى ولا اسم له

بسم الله الغيب، ولا غيبة له.. بسم الله الظاهر، ولا إحاطة به.. بسم الله الباطن، ولا خفاء له.

بسم الله واجب الوجود، ولا مُوجِد له.

باسمه الله، وباسمه لا إله إلا الله، وباسمه اللهم، وباسمه الله الأكبر.. باسمه (أنا)، وباسمه (أنت)، وباسمه (هو) نستمده ونستعينه، ونعوذ به.

يرانا لقائمنا وما نبطن، ويسمعنا لقولنا وما نسر، ونراه ونسمعه بدورنا، في أنفسنا، وفيما يحيط بنا، بلا إله إلا الله، في قيامنا به، محمدا رسول الله.

كيف نبدأ به أحاديثنا عنا، وحديثنا متصل لا بدء ولا انتهاء له؟ وكيف نقوم به ديننا لأنفسنا، وكتاب ديننا هو أنفسنا؟ وما تكون أنفسنا، وأنفسنا في حاضرها في لمحة من لمحات حياتها لحيواتها، في دورة أطوارها لذاتها وروحها ومعناها، في دهرها بلمحات عصورها لزمانها لها من صنعها؟

متى بدأت نفوسنا تواجداتها؟ متى بدأ وجودنا النوعي ظهوره وأين؟ متى تبدأ معاني الحياة لقيامنا في مبانينا بمعانينا؟ متى كنا؟ وأين كنا؟ ومتى نكون؟ وأين نكون؟ وكيف نحن في كائن؟ وماذا يمكن أن نكون؟ ومتى وأين وكيف؟ وهل بفعلنا؟ أو من فعل غيرنا؟ وهل هناك غيرنا؟ وهل نحن من هو غيرنا؟

إن أمعنا النظر في الماضي بمراحله، والحاضر وما يتهيأ له ويصدر عنه، فإن ما كان إنما هو ما هو كائن، فنحن مواصلة ما كان، ونحن أصل لما سيكون، فمن نكون؟ وأين كنا؟ وأين نكون؟ وأين نحن من كياننا لكينونتنا؟

إن الإنسان فردٌ، هو الإنسان.. وان الإنسان جمعٌ، هو الإنسان.. والإنسان قديم لمعناه، هو الإنسان.. وقادم بمعناه، هو الإنسان.. فمن يكون الإنسان؟

هل هو ما هو كائن؟ هل هو ما هو كان؟ هل هو ما هو سوف يكون؟ إن تساءلنا هذا التساؤل فلن نأخذ جوابا مستقيما، كعادتنا في التساؤل كلما طرقنا أمر الحقيقة فلا نصل لمعرفة. فالإنسان لا هو ما كان، ولا هو ما سيكون، ولا هو ما هو كائن. إن ما كان، وما سيكون، وما هو كائن، إنما هو كيان واحد، وكائن واحد، ليس فيه ما كان، وليس فيه ما سيكون، وليس فيه ما هو كائن. فإنه جماع ذلك كله. إنه الكائن بنفس علمت ما قدمت وأخرت، وما به تقوم من أمرها. هذا ثالوث الفطرة لبيان حكمة الحياة في أحديتها بإنسان الله.

إن وحدانية ما كان، وما يكون، عند من هو كائن، عرَّفها وأعلمها قانون الفطرة، ومكنت من تحقيقها طريقها بالاستقامة، يوم يكشف عنك غطاؤك، {علمت نفس ما قدمت وأخرت}[1].

فهل قامت النفس بقيامها في كرة رابحة، وعلمت أنها لن تخرج من كرتها خاسرة ضائعة؟ هذا ما يمكن أن يعرفه المرء يوم يكشف عنه حجابه، وتكمل له دورته فيما هو كائن، بما كان، وبما سيكون، فيراه بما هو كائن، بدءا من طرفيه، بما كان، وبما سيكون.

(أشهدني الله في موقفي هذا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة)[2]، وهو الذي يقول (ما أعطيته فلأمتي)[3]، {فاتبعوني يحببكم الله}[4]، (زويت لي الأرض وتبلغ أُمتي ما زوى لي منها)[5] ، إنه الأمر الوسط للأمه الوسط، إنه خير الأمور لخير الأمم. {كنتم خير أمة أخرجت للناس}[6]، {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا}[7]، {دين القيمة}[8] ...

فالذي يجابه به الناس بسكرة الموت لا يتعرض له الذين {يستمعون القول فيتبعون أحسنه}[٩]، الذين عملوا بهدي الرسول (موتوا قبل أن تموتوا)[١٠]، فتحقق في حقهم قانون الفطرة (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)[١١]، (وعد نفسك من الموتى)[١٢] تكن مؤمنا، يوم يخاطبك ويخاللك ويخالطك الموتى.

إن الذي بما هو كائن، اجتمع له ما كان، واجتمع له ما يكون، فتكشف له ما كان وما يكون فيما هو به كائن، كشف عنه غطاؤه، وارتد إليه البصر من كرتيه إلى ما كان، وإلى ما يكون، فأصبح بصره حديدا، شهد به بما هو كائن بعين كيانه، مشهودا له به ما كان وما يكون.

بذلك كان محمد عبد الله ورسول الله، وحقا من الله للكافة قدوة به يقتدون، وأسوة به يرحمون ما تابعوه إلى الحق لأنفسهم متطورين مبعوثين، به انقطع الإنباء عن الحق بقيام الحق، ببعث النفس بالحق، وليس الخبر كالعيان، ولا محل للخبر بعد الظهور والبيان. حقا يقوم ويتقلب في الساجدين وجها وشهودا لرب العالمين. أصحابه العلماء، قائم الأنبياء، معه متجددين، بكوثره متكاثرين.

قام الرسول مبعوثا بالحق لقلبه وقالبه في قائم خلقه، مطيته نفسه لقائمه، وممتطيه عقله لقيومه، فقام وقدس كائنه في كيانه، روحا متجسدا بكينونته يوم عرفه أحدية حق من عبد ورب، بُعث بجديده عبدا، قام عليه قديمه ربا، لاقاه بقائم لقيوم في لا إله إلا الله لذاته حقا، بظاهر لباطن، ظاهره مسيح باطنه.

فأشهده الحق الأعلى لمعنى رب ربه، وخليل حقه، في معراج الله في المطلق اللانهائي معاني خلقه ومعاني حقه، إذ هو يقوم على نفسه بقيوم ربه على قائمه به سواه، وخليلا وحبيبا له دعاه، حقان من حقائق في الأعلى لهم من حقائق الله، اتخذه الرفيق الأعلى عضدا، فكان يدا لمولاه، وجعله عليه عَلَما، فكان اسما لمن بالبعث بالحق أبداه. أبداه حقاً يظهر به حقه لذاته الأعلى ومعناه، فيتحقق به من والاه، في طلب مولاه ظلال له بمعناه.

فكان بدءا.. وكان أولا.. وكان حياة.. وكان خاتما.. وكان بشرى ونبأ، حملته الأنباء في الإنباء عنه، سمته النبأ العظيم نبيئا، وهو الحق للعارفين بعثا من الخلق للطالبين. ظهر نبيئا بما هو به عليم، طابعا وختما للنبيين علماءً وظلالا له في الأولين والآخرين، وقياما بالحق للعابدين، جديدا لقديم في العالمين.

أظهره باطنه على الدين كله، فظهر به الدين كله، وعَلَّم الدين كله، وقام الدين كله، وبعثت به ظلاله من المؤمنين بالله ورسوله بالإيمان والإحسان صحائف للدين بالدين كله، استجابة للناس يطلبون أحواض رحمته، ويسلكون طريق استقامته.

جمع الناس على الدين كله، فكان كلَّ الناس بإحاطته بالناس إحاطة ربه بقيامه، خليفته عليهم يوم زويت له الأرض، وجعلت له مسجدا وطهورا. فقام وتقلب فيهم ساجدين، والكل لأمر الله ساجد على ما هدوا، أو كما أمهلهم منذرين منظرين على ما وعدوا {إنا هديناه السبيل إما شاكرا، وإما كفورا}[١٣]، حقا لهم به يبعثون على ما يشاؤون ويختارون، ورحمة لهم بخلاص أو إنظار جزاء ما يعملون {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}[١٤].

فقام بالناس، وقام فيه الناس. قام بالناس وفى الناس وبين الناس نفسا له، وقام به فيه الناس حقا لهم، فكان قائم الناس خلقا قائمين بأنفسهم، وكان قيوم الناس حسبهم الله ورسوله لأنفسهم، هو لهم أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فعرفه المؤمنون وعَرَّفه العارفون هو للأرض حق الأرض وملأ ملكوتها بشعاره الخالد (لا إله إلا الله) تجمعهم أحديته بقائمه روح قدس الله عَلَمًا على الأعلى والأكبر من الحق بالملأ الأعلى رفيقا أعلى له بشعاره (الله أكبر).

عُرِف وطُلب وقُرئ في دائم كتابه بعترته (محمد رسول الله)، وأجاب وقام وأقام بحقه يتكاثر، وحقيقته تتناثر عبدا لله لعباد لله، وعبادا لله لعبد لله، بعباد الرحمن يمشون على الأرض هونا.

قام وبعث فيمن به بعث مغفور الذنب، مقبول التوب بقادمه على ما كان لقديمه باستقامة قائمه، {ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر}[١٥]، {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}[١٦]، {ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة}[١٧]، {واعلموا أن فيكم رسول الله}[١٨].

فكان للناس ظاهر الأبوة العلوية الرحيمة، وقائم ودائم الأبوة المدانية العليمة، وكان حقيقة الناس وحقهم، وكان أصل الناس لفردهم وجمعهم، وكان خلقة الناس وآدمهم، ورسول الله لكافة الناس بجميع الأجناس أول العابدين ما تواجدت صفة العباد لهم، وآدم الخلق ما تخلق الخلق بصفات الخالق.

فكان المؤمنون بواجب الوجود لله ورسوله حقائق في متابعته، هم بحقهم به في حقيقتهم له أوادم ذاته، لا حصر ولا عد لأوادمها، ووجوه حقيقته لا انقطاع لطلعتها، ولا حصر لقويمها، ولا توقف لتكاثرها في جدتها، ولا احتجاب لتجليها بجلالها. فالكل فيها، والكل لها، والكل هي فيه له ما طلبها.

يبعث بالحق في كل أمة بحكمائها. ويتكلم في كل أمة وبكل لسان بعلمائها. إنسان نور الله الساري في الناس بالعلم والرحمة والحياة.

فرسول الله صفة للوجود بدلالته على الموجد.. رسول الله معنى في الله وصفة له.. رسول الله مقام للإنسان يصل إليه بالاندماج فيه أي إنسان.. هو معنى مجرد للرسالة، الحكماء والعلماء والأنبياء والرسل

والأئمة والأولياء ظلال له بمعاني العباد للرحمن، سواء بعد الذات المحمدية له أو من قبل إبرازها. (لست على هَيئتكم)[١٩]، لست كأحدكم، (ما عرفني غير ربي)[٢٠]، (من رآني فقد رآني حقا)[٢١]، {وقل جاء الحق}[٢٢].

هو واجب الوجود برسالته {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون}[٢٣]، فليؤمنوا بي من ورائهم بإحاطتي.. وليؤمنوا بي قائم على كل نفس.. وليؤمنوا بي أقرب إليهم من حبل الوريد.. وليؤمنوا بي معهم أينما كانوا.. وليؤمنوا بي لا شريك لي، أبدأ وأعيد، وأنا في كل يوم في شأن من خلق جديد.. فليؤمنوا بي أعطيت كل شيء خلقه ثم هديت.. فليؤمنوا بي أعطي عطاءً غير مجذوذ، وأخلق خلقا غير منقوص.

أقوم على ما أبدعت، وأنا البديع.. وأظهر بما أوجدت، وأنا الجليل.. وأطلب فيمن خلقت، وأنا القريب.. يطلبني الطالب، وأنا الطالب وهو المجيب.. يستدل بنفسه عليَّ، وأنا الدليل.. ويتوسل إليّ وهو بي الكفيل.

ماذا يظنون بي!! وماذا علموا عني!! إنني أنا المعلم في كل من عَلَّم أو يعلم.. وانني أنا الهادي في كل من هدى وكل من أجاب فاهتدى.. لا أعلم إلا بالتقوى وللمتقين.. ولا أجيب إلا بالدعوة وللطالبين، فأنا أغنى الشريكين، وأنا الغني عن العالمين.

فمن أشرك بي نفسه لا نصيب له معي إلا على ما أراد.. أمسخه على مكانته فيراه حقيقة الكفر والعناد، أما من دخل شعار فطرتي بلا إله إلا الله مع رسول فطرتي بها، لا يغيب ولا يفتر، فأمسحه عن طبيعته ومجلاه، فيصبح كلمتي بمبناه ومعناه، لحضراته لنفسه، وكتابه لحقه باسم مولاه، لدائرة عوالمه وما احتواه، بما كتم وبما أبداه لأعلامه بعلمه ونفسه، وبما لها ارتضاه.

كان باصطفاء ربه آدما وإنسانا في مبناه وفى معناه، وعبدا وربا في حقيقته وفى مجلاه. ما بين قلب وقالب أبداه. وما بين قالب وقلب طواه، فتخلق بأخلاق ربه وقام بخلق من اصطفاه، فهو القلوب والقوالب في مجاليه، وهو القلوب والقوالب في معانيه، وهو القلوب والقوالب في عوالمه ومراقيه، اسما لله بما يظهره وبما يخفيه، ووجها لله برحمته يوم هو يبديه، أو يظهره في قربه وتدانيه، أو بما يعلمه ويعلّمه برحمة الله به، من رحمة الله منه، لرحمة الله فيه.

هل عَرَّفَ الإنسان الإنسان؟ هل قَدَّر الإنسان الإنسان؟ هل قام الإنسان بواجبه ربا؟ (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)[٢٤].. هل طالب بحقه وعمل له ليكون عبدا حتى يتولاه في الله رب، عن الجهد والهم يغنيه، وإلى كنفه وساحته يأويه، فيسعده ويرضيه ويتكفله فمن نفسه يحميه، ويخضعها

ويؤدبها له فتتعبد له، وتشبع غريزة الرب للعقل فيه، فتتكشف له معاني العبد لمراقيه في معارج ربه لمعانيه، لا يطويه ولا يحويه ولكنه يشهده ظلا له فيه، طاويه ومفنيه وبمعاني الوجه له مبقيه، وبمعاني العبد له معطيه، ويعطيه حتى يرضيه، فلا يرضى حتى يكون الكل عبادا لله فيه؟

هل دخل الناس في لا إله إلا الله؟ هل عرف الناس حصن لا إله إلا الله؟ هل قَدَّر الناس شعار لا إله إلا الله؟ هل عرف الناس محمدا رسول الله؟ هل دخل الناس دائرة وبيت محمد رسول الله؟ هل اطمأنت نفوسهم برسول الله رحمة للعالمين؟

هل صلى عليهم بسكينته؟ هل طواهم في رحمته؟ هل أمسكهم بيد نجدته؟ هل حققهم بوجه طلعته؟ هل شَرَّفهم بذاته حقا لهم هم ظلاله؟ هل سقاهم من حوضه؟ هل أشرق على قلوبهم تحيا بشمسه؟ هل أنار عقولهم بدرا بعلمه؟ هل سقى أرض قلوبهم من رذاذ مائه؟ هل تجلى عليهم بنعيم سمائه؟ هل هب عليهم بنسيم رضائه؟ هل أشعل مصابيح قلوبهم في مشكاة صدورهم من نار قدسه؟

ماذا عرفوا عن رسول الله؟ وماذا أخذوا من رسول الله؟ وماذا حققوا من أمر الله برسول الله؟ وماذا طلبوا أو يطلبون من باب الله بما أبرز الله من عطاء لهم برسول الله، هو لهم يوم أهداهم رسول الله؟ (أنا رحمة مهداة)[٢٥] ، (الخير فيَّ وفي أُمتي إلى يوم القيامة)[٢٦]، فمن منكم آباءكم قَبِلَ هدية الله في عصره؟ ومن مِن آبائكم، هم أنتم، استقبل هدية الله في قرنه؟ من منهم أوصاكم؟ ومن منكم إن عرفتم أوصى أو يوصي من يعول من أهله وقبيله وقومه أن يفارقوا حال الآباء في يومهم أو يوم يستيقظ منهم عقلهم، ليحرصوا على هدية الله برسول الله...

جديدا كلما تجدد خلق الله، قديما كلما تقادم خلق الله، مبعوثا كلما بُعث الناس، مرفوعا كلما رُفع الناس، موضوعا كلما وضع الناس، والناس طبقا بعد طبق في رفع وفي رد وبعث، وفي تجمع ونشور، وفي وضع وبدء يتجددون ويتواجدون. هو رحمة الله معهم وهو حجة الله عليهم، {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا}[٢٧]، {وما أرسلنا من رسول إلا بلغة قومه ليبين لهم}[٢٨].

إن الناس يحنون إلى موتاهم، فيزورون القبور، وليست القبور لموتاهم بدور، والحق أنهم لموتاهم القبور، بقلوبهم منقبرة ومن البعث بأصولهم نافرة.

(من مات فقد قامت قيامته)[٢٩]. فما يكون يوم القيامة؟ إن الله سريع الحساب، فما يكون يوم الحساب؟ (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا)[٣٠]، {كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا}[٣١]، فمتى يكون الحساب؟ وأين يكون الحساب؟ ومن يكون المحاسب؟

(إنما هي أعمالكم ترد إليكم)[٣٢]، (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)[٣٣]، فما يكون الجزاء؟ عاملوا الله في أبنائكم، فإنما هي أعمالكم، وأعمالكم ترد إليكم، {وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم}[٣٤]، {ذرية [طيبة] بعضها من بعض}[٣٥]، فما يكون البعث؟

(من صلح أصلحنا له من صلح من آبائه وأزواجه وذرياته)[٣٦]، فما يكون النشور؟ {تلك إذا كرة خاسرة}[٣٧]، فما تكون الندامة؟ {وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد}[٣٨]، فمتى الحق؟

(موتوا قبل أن تموتوا)[٣٩]، فكيف الموت؟ وما يكون الموت؟، وكيف نلاقي الحق بالموت؟ ومتي نلاقي الحق بكشف الغطاء أو قيام الجزاء؟ ومع من نلاقي الحق؟ ومن يكون من نلاقي بوصف الحق؟ هذا مما يدور حوله فقه الدين، يوم يكون للناس دين، ولهذا الدين فقه، ولهذا الفقه من يحمله، وفي الناس من يستقبله!!

الإسلام دين الفطرة.. والله صبغة الفطرة، والله في صبغته صمد، أحد، لا جديد للحق فيه، ولا جديد فيه لصفاته وأسمائه وعوالمه ومعانيه.. فلا جديد في الفطرة، ولا جديد فوق الشمس. (إنما هي أمور يبديها ولا يبتديها)[٤٠].

إن الخلق في معارجه من بداياته إلى نهاياته، هو المتصور، وهو المتطور، وهو في أي صورة ما شاء ركبه، إنسان قيامه، إنسان حقه، إنسان معناه، خلقه فعدَّله، ثم سواه فحققه، ثم أماته من معاني الخلق فأقبره، ثم بالروح وبمعنى الحق نشره، وفى جديد في الخلق بعثه، فالأرض بعوالمها لعالمها أحدية حق بإنسان حقيقة لإنسان خليقة، {ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا}[٤١].

فلا خلق ولا حق في أحدية الإنسان، وفى أحدية العنوان، وفى أحدية الخلق محلًا وظلًا للحق. فلا تتحرك بداياته إلى مراقيها إلا وتجددت منها لها فيها بدايات لملء فراغ تطورها عنها بتخليها، لبقاء صمدية الإنسان له في بداياته لا يتوقف ولا يغيب لها تواجد. وكذلك هو في أمر نهاياته في حتمية تعاقبها بلا توقف أو انقطاع.

بهذا كان يجب أن نتواصى بالحق، للحق طالبين، وبالصبر له محققين، وهذا ما تجدده الرسالة الروحية اليوم لنتواصى بالحق مرة أخرى، ولنتواصى بالصبر فترة أخرى، ولنبعث بالحق على ما بعث بالحق إمامنا ومعتقدنا، وعبد الله فيه لنا، ورسول الله منه إلينا، وقائم الحق إليه بنا، إماما لنا، وأول العابدين منا، وعلما على معلومنا، من المعروف وواجب الوجود عندنا، كوثر تكاثرنا، وحق حقائقنا.

تابعه قليل من الأولين، وقليل من الآخرين، وها هو أمر الله به يتجدد بأولين وآخرين في صعيد متجمعين بمخبر من الروح فاعلين، وبمظهر من الإنسان قائمين، وقد سقطت الحواجز بين العالمين، ونفخ في الصور للناظرين.

(من رآني فقد رآني حقا فإن الشيطان لا يتمثل بي)[٤٢]، {وله المثل الأعلى في السماوات والأرض}[٤٣]، وما كان محمد لنا إلا المثل الأعلى في الأرض يوم نحن في الأرض، كما كان لنا روح القدس والمثل الأعلى في السماوات يوم نحن في السماوات، وإنسان الله إلى الأرض يوم نحن معه إلى الأرض بالحق ينزل، ونحن معه في بيته من الأرض إلى السماء يرفع، يوم نحن معه إلى السماء لملء فراغ الوجود بالحياة، نصعد ونسعد.

إنه رفيق الحياة.. إنه مشعل الحياة.. إنه مولد الحياة.. إنه حوض الحياة.. إنه ماء الحياة.. انه بيت الحياة.. إنه اسم الحياة، ظاهر الحي القيوم لنا، {وقل جاء الحق وزهق الباطل}[٤٤].

مَنْ محمد؟! لقد انتهى محمد بخلقيته، زهق الباطل، زهق الخلق، وبعث الحق في جلباب عبوديته، (والذي بعثني بالحق) [٤٥]، (والذي نفس محمد بيده)[٤٦]، على ما عرفت محمدا، معروف ذواتكم، ومشهود عيونكم، فما عرفتم لمحمد معناه، وما عرفتم به اسم الله، ولا تابعتم فيه هادي وحق الله، ولكنه نفسا على غرار أنفسكم وصفتموه، وبوصفكم عرفتموه، فضيعتم أنفسكم وقد فقدتموه. (من رآني فقد رآني حقا)[٤٧]، والحق لكم من الله بينكم جفوتموه وأنكرتموه، وكلما تجدد خاصمتموه، وكلما غاب بقبر ذكرتموه.

ما طلبتم به رائد الروح، وهو روح القدس، رائد أرواحكم، يتواجد مدانيا شبحا بين أشباحكم، رسولا من أنفسكم في دوام، هو حق أشباحكم، وقريب الحق إليكم، ونوره لكم.. وسره لأسراركم.. وجهره لجهركم.. ونجواه لنجواكم.. وقريبه لمجلاكم في دوام وفى سلام.

ظلالا له تكونون ما عرفتموه أو عرفتم له بينكم ظلا تابعتموه، ذاتا له بكم يكون، يوم أنتم ظلالا لظل له تكونون. فإذا تجمعت الظلال من الناس على ظل له قام الظل كيانا له، {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم}[٤٨]، شهداء على الناس، الرسول عليهم شهيد.

{ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر}[٤٩]، ويؤمنون بالله. وكيف تكون منكم أمة ولا أخوة معه بقائم له، ولا قبلة لكم ببيت له، ولا هيكل لهياكلكم بنصب له!! كيف تكتبون ألواحكم بأقلام قدرة الله بكم ولا كتاب ولا ألواح له بينكم، ولا يد لله به لقلم له لشهودكم!!

فكيف به تقتدون؟ وكيف بخبرته من خبيره تعلمون وأنتم لكل مَرِيد تسجدون واسما لله تصفون، وأنتم على دين أخلائكم من الضالين المضلين، فمن تخاللون؟ والمؤمن مرآة المؤمن بينكم فبمن تؤمنون؟ وعظتم

بواحدة أن تقوموا لله مثنى، وبالحب فرادى، ثم تتفكرون، فمع من تتوحدون؟ والرسول يهديكم (عض ولو على جذع شجرة)[٥٠]، (لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه)[٥١]، (الزم الجماعة)[٥٢]، و(اعرف الحق تعرف أهله)[٥٣].

ها أنتم بوحدانية أنفسكم لا تؤمنون، فكيف في وحدانية الله تدخلون وبها تقومون، ولوحدانية الله تكشفون؟ فكيف تتكشف لكم وحدانية الله برحمة الله وأنتم القالون المباعدون، المنكرون، النكدون؟ سبحان الله وتعالى عما تصفون، وتعالى الله عما تشركون، وجل رسول الله عما تزعمون، وعما تفقدون، وهو بينكم في دوام تدعونه كلما أسفر، بقديم وصفكم له الآبق، المجنون، وما هو بنعمة ربه بمجنون.

وأنتم على حالكم ما شرفتم بإعمال فكر حتى أنكم بالله تُجَنُّون، وفيه تحارون. (أصحابك قد خولطوا نعم فقد خالطهم أمر جلل)[٥٤]، كيف لا يُخالَط في نظر الخلق من خالطه بعظمته.. من قاربه الله بوحدانيته.. من تجلاه الله ليشهده تجليه.. من عرفه اسم الله ليعرف عن الله بمبانيه لمعانيه.. من طوى فؤادُ قلبه قالبَه فَمَرق من ثَمِ الخياط.. من كان له فؤاد ينشده فأصبحت ذاته الفؤاد لمن يعبده؟ {ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى}[٥٥]، وليس بعيدا منكم، وليس ممنوعا عنكم، وليس ممتنعا عليكم أن تروا ما رأى.

هل تابعتموه حقيقة وصدقا وعلى ما رسم لكم فامتنع عليكم أن تروا ما رآه، أم أنكم كلما حدثكم راءٍ بما رأى وعالم بما علم بعين ما رأى وعين ما علم، أنكرتم وحاججتم مجادلين وقلتم هو خاتم النبيين!! فمن يكون هذا الكذاب المهين!! ألم يقل لكم من أبرزه لكم إنه يقوم ويتقلب في الساجدين؟ ألم يقل لكم هو إن الله يبعث في هذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد أمور هذا الدين؟ ألم يقل إنه بتكاثره بحقه علماء أمته كأنبياء بنى إسرائيل؟ ألم يكشف أنه في قومه وعصره بُعث في المذنبين وقام بالمذنبين (أمة مذنبة ورب غفور)[٥٦]؟ وما أدان المذنبين وقد رآهم أمته المذنبة ورآه الرب الغفور، وكان رجاؤه (عسى أن يخرج من ظهورهم من يعبد الله)[٥٧]، قوم (يؤمنون بي ولم يروني)[٥٨] هم له أحباب، لهم من الله ما له، {ما ننسخ من آية أو ننسها نأتِ بخير منها أو مثلها}[٥٩].

فكيف تصفون من تقولون إنهم سبقكم.. إنهم الصالحين، وما كانوا بحكم الرسول عليهم إلا المذنبين إلا من رحم ربه؟ إنه عالج أمرهم وما زال يعالج أمرهم، بين الأرض والسماء، بين الشبح والروح، في بعث وبعث، وفى رجعة ورجعة، وفى قيامة وقيامة، وها هو في عصركم هذا يظهر لكم في أمر جديد، في خلق جديد، في لباس جديد، في حظ جديد، في علم جديد، في وعى جديد، في قول جديد، في رأي جديد، وفى حكم سديد، فمن ذا الذي يبدئ ويعيد؟ بالحق أُنزل وبالحق نزل وينزل، موفيا بعهده، محققا لوعده، (بدأ الإسلام غريبا ويعود غريبا كما بدأ)[٦٠] في دورة دائبة بناموس الفطرة.

ها أنتم الآن في جماعتكم هذه تدركونه، وتشهدون معيته وقربه، وعن موروث عقائدكم ورواسب آبائكم أنفسكم تباعدون، وللموروث تجافون، فتعلمون أنه ما جاء دوما بظلال أو عيد محمدا بحال إلا لتسعدوه، يوم هو بينكم غريبا لا تنكروه بل تعرفوه، فتؤمنوه، فحقا تشهدوه، وأنه لا إله إلا الله، صدقا تلاقوه صديقين، لرسول الله فردا بجمعه وكوثره، من الأرض عنه تنشق آدما، ومن السماء بنور الله يبعث دائما، ومن كل قلب ينبعث مستقيما، وبكل عقل يشرق، وبكل نفس يشتعل، وبكل قيام يقوم، وبكل الحقائق ينتشر، إنسان الله وحقه، لمن أراد أن يكون لله عبده وحقه وإنسانه.

اللهم يا من شرفتنا أن نكون لمحمد أمة، لم يَشرُف بها بعد.. اللهم اجعلنا لمحمد أمة بها يشرف، وحققنا بمحمد حقا إليه نتعرف، وبه لك نعرف.

اللهم بنوره فأشرق على أرض قلوبنا حتى نكون أرضا للحياة.. اللهم بشمسه فأشرق على رؤوس عقولنا حتى نكون شموسا للهداة.. اللهم ألحقنا به أقمارا وأنوارا للعناية، وأحواضا للبداية، وكتبا للنهاية، وابعثنا به أوادم للخليقة، ووجوها للحقيقة.. اللهم وقد جعلت أمته أناجيلها في صدورها كلمات لله وكلمات له، اجعل منا كلمات له ولك، وأناجيل عنه وعنك كتبا للدين ومصابيح لليقين، على ما شرفت من شرفت، وعلى ما أقمت من أقمت، ممن بيننا أنكرنا وعرفت، وخاصمنا وأبرزت، وحاربنا ونصرت، ولنا في ضلالنا في دوام هزمت، ولهم في حقهم في دوام أعليت.

اللهم جدد بنا الدين، وأظهره على كل دين، فهو لكل دين دين، وهو لكل يقين يقين، معلم الأولين، وحق الآخرين، بداية الخلق، كلما بدئ خلق في عالم الخلق، وقيامة الحق كلما قام حق، في عالم من خلق أو عالم من حق.

اللهم به فحققنا.. اللهم به فأسعدنا.. اللهم به فخلصنا.. اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا.

اللهم به فارعنا، حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، مجاهدين ومتابعين، متقين وغافلين، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

ها نحن نشهد مرة أخرى أنه لا إله إلا أنت، ربا للعالمين، وحقا للمتحققين، واسما للمتسمين، وقياما للأحياء القائمين، وأن محمدا عبدك ورسولك، مصباح هدايتك لا ينطفئ للعالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الانفطار - ٥

٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٤ سورة آل عمران - ٣١.

٥ من حديث شريف: إنَّ اللهَ زوَى لي الأرضَ فرأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها فإنَّ أُمَّتي سيبلُغُ مُلْكُها ما زوَى لي منها وأُعطِيتُ الكَنزَيْنِ: الأحمرَ والأبيضَ... أخرجه مسلم في صحيحه.

٦ سورة آل عمران - ١١٠

٧ سورة البقرة - ١٤٣

٨ سورة البينة {وذلك دين القيمة} - ٥

٩ سورة الزمر- ١٨

١٠ حديث شريف. المحدث: الزرقاني، ولكن لم يثبت سنده، ويوافق الحديث الشريف: "كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ وعُدَّ نفسَك في الموتَى". أخرجه البخاري.

١١ قول للإمام عليّ كرم الله وجهه. المحدث: السيوطي. المصدر: الدرر المنتثرة.

١٢ من الحديث الشريف رواه عبد الله بن عمر: "أخذ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ببعضِ جسدي وقال: كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ وعُدَّ نفسَك في الموتَى". أخرجه البخاري.

١٣ سورة الإنسان - ٣

١٤ سورة الرعد - ١١

١٥ سورة الفتح - ٢

١٦ سورة الأنفال - ٣٣

١٧ النحل - ٦١

١٨ سورة الحجرات - ٧

١٩ من الحديث الشريف: "إيَّاكم والوصالَ إيَّاكم والوصالَ قالوا: فإنَّكَ تواصِلُ يا رسولَ اللَّهِ قالَ: إنِّي لستُ كَهَيئَتِكُم إنِّي أبيتُ يُطعمُني ربِّي ويَسقيني" أخرجه مالك، والبخاري ومسلم باختلاف يسير.

٢٠ حديث ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكتّاني بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي".

٢١ إشارة إلى الحديث الشريف: مَن رآني فقَدْ رَأَى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُني." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآني في المَنامِ فقَدْ رآني، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

٢٢ سورة سبأ - ٤٩

٢٣ البقرة - ١٨٦

٢٤ من الحديث الشريف: "ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسئولة عنه، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته". أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، وأحمد، والترمذي.

٢٥ حديث شريف: "إنما أنا رحمة مهداة." أخرجه ابن سعد والحكيم والحاكم.

٢٦ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

٢٧ سورة الإسراء - ١٥

٢٨ سورة إبراهيم - ٤

٢٩ حديث شريف: "إذا مات أحدُكم، فقد قامتْ قيامتُه، فاعبدوا اللهَ كأنكم ترَوْنَه، واستغفِروه كُلَّ ساعةٍ". أخرجه الديلمي في الفردوس، ورواه العسكري في الأمثال.

٣٠ مقولة من حديث للخليفة عمر بن الخطاب. أخرجه أحمد في (الزهد)

٣١ سورة الإسراء - ١٤

٣٢ من حديث قدسي: ".. يا عبادي! إنَّما هي أعمالُكم تُرَدُّ عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمَدْني ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومَنَّ إلَّا نفسَه." الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح.

٣٣ حديث شريف: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء." رواه أبو داود، والترمذي.

٣٤ سورة النساء - ٩

٣٥ سورة آل عمران - ٣٤

٣٦ استلهاما من الآية {جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم} سورة الرعد – ٢٣. وأيضا {وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} – غافر ٨

٣٧ سورة النازعات - ١٢

٣٨ سورة ق - ١٩

٣٩ حديث شريف. المحدث: الزرقاني، ولكن لم يثبت سنده، ويوافق الحديث الشريف: "كُنْ في الدَّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ وعُدَّ نفسَك في الموتَى". أخرجه البخاري.

٤٠ عبارة جاءت في أكثر من سياق لبعض العلماء منها: جاء في البحر المحيط لأبي حيان: قال الحسين بن الفضل، وقد سأله عبد الله بن طاهر عن قوله: كل يوم هو في شأن ـ وقد صح أن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة؟ فقال: شؤون يبديها، لا شؤون يبتديها. اهـ. قال النفراوي في الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: شؤون يبديها ـ أي يظهرها ـ لا شؤون يبتديها أي يقدرها، أي لأن التقدير في سابق علمه. اهـ.، كذلك عن الإمام أبي حامد الغزالي.

٤١ المرسلات - ٢٥-٢٦

٤٢ حديث شريف: مَن رآني فقَدْ رَأَى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُني." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآني في المَنامِ فقَدْ رآني، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

٤٣ سورة الروم -٢٧، سورة النحل – ٦٠

٤٤ سورة الإسراء - ٨١

٤٥ قسم للرسول صلى الله عليه وسلم، يبدأ به بعض أحاديثه.

٤٦ قسم للرسول صلى الله عليه وسلم، يبدأ به بعض أحاديثه.

٤٧ إشارة إلى الحديث الشريف: مَن رآنِي فقَدْ رَأَى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُنِي." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآنِي في المَنامِ فقَدْ رآنِي، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

٤٨ سورة الفتح - ٢٩

٤٩ سورة آل عمران – ١٠٤

٥٠ من الحديث الشريف: "تكونُ دعاةٌ على أبوابِ جهنمَ، مَنْ أجابَهم إليها قذفوه فيها، هم قومٌ مِنْ جِلْدَتِنا، يَتَكَلَّمُونَ بألسنتِنا، فالزمَ جماعَةَ المسلمينَ وإمامَهم، فإنْ لم تَكُنْ جماعَةٌ ولَا إمامٌ فاعتزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّها، ولَو أنْ تَعَضَّ بأصلِ شَجَرَةٍ حتى يُدْرِكَكَ الموتُ وأنتَ كذلِكَ" المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الجامع. أخرجه البخاري بصياغة متقاربة.

٥١ حديث مشهور على الألسنة بصيغة: "لو حسن أحدكم ظنه في حجر لنفعه." يوصف بأنه موضوع ولا أصل له.

٥٢ من الحديث الشريف: "ما من ثلاثةٍ في قريةٍ ولا بَدْوٍ لا تُقَام فيهِم الصلاةُ إلا قد استحوذَ عليهم الشيطانُ، عليكَ بالجماعةِ فإنّما يأكلُ الذئبُ من الغنمَ القاصيةَ". أخرجه أبو داود، والنسائي، وأحمد باختلاف يسير.

٥٣ قول للإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه: إن الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله. مجمع البيان: ١ / ٢١١، روضة الواعظين: ٣٩. المكتبة الشيعية.

٥٤ من كتاب نهج البلاغة، في وصف الإمام علي للمتقين: " نظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض. ويقول قد خولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم. لا يرضون من أعمالهم القليل. ولا يستكثرون الكثير. فهم لأنفسهم متهمون. ومن أعمالهم مشفقون."

٥٥ سورة النجم - ١١

٥٦ حديث شريف: "دَخَلْتُ الجنةَ فرأَيْتُ في عارِضَتَيِ الجنةِ مكتوبًا ثلاثةُ أَسْطُرٍ بالذهبِ – لا بماءِ الذهبِ: السَّطْرُ الأولُ: لا إله إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ. والسَّطْرُ الثاني: ما قَدَّمْنا وَجَدْنا، وما أَكَلْنا رَبِحْنا، وما خَلَّفْنَا خَسِرْنا. والسَّطْرُ الثالثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ ورَبٌّ غَفُورٌ". أخرجه الرافعي في تاريخه (٣/ ٩١) ، الإمام أبو القاسم في تاريخ قزوين، وابن النجار في تاريخ بغداد عن أنس ابن مالك. ويعتبره المحدثون ضعيف الإسناد.

٥٧ من حديث شريف طويل روته عائشة أم المؤمنين منه ".. لقَدْ لَقِيتُ مِن قَوْمِكِ ما لَقِيتُ، وكانَ أَشَدَّ ما لَقِيتُ منهمْ يَومَ العَقَبَةِ... فَنادانِي مَلَكُ الجِبالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ، إنْ شِئْتَ أنْ أُطْبِقَ عليهمُ الأَخْشَبَيْنِ، فقالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِن أصْلابِهِمْ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ وحْدَهُ لا يُشْرِكُ به شيئًا. صحيح البخاري.

٥٨ من الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد من حديث أبي جمعة - رضي الله عنه - قال: "تغدينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعنا أبو عبيدة بن الجراح، فقال: يا رسول الله، أحد منا خير منا؟ أسلمنا وجاهدنا معك، قال: نعم، قوم يكونون من بعدكم، يؤمنون بي ولم يروني." رواه الدارمي وأحمد والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وإسناد الدارمي.

٥٩ سورة البقرة - ١٠٦

٦٠ حديث شريف: "بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا." صحيح مسلم.

(٣)

بعث الآزال في الآباد
في
لا إله إلا الله
الظاهر مرآة الباطن

حديث الجمعة

٢٣ صفر ١٣٨٤ هـ - ٣ يوليو ١٩٦٤ م

بسم الله.. بسم الحياة.. بسم الحي.. بسم الحي القيوم..

بسم الله.. حياة الكائنات والأشياء والأشباح.

بسم الله.. القيوم على الحياة، بالأرواح على الأرواح.

بسم الله.. لا شريك له.. بسم الله، واجب الوجود، بوجود الوجود، عند كل موجود.

بسم الله.. المعروف، لا ينكر، ولا يجحد، ولا يكفر.

بسم الله في أمر الله.. بسم الله في إنسان الله.. بسم الله في عبد الله.. بسم الله في رسول الله.. بسم الله في كل أمر.. وبسم الله في كل شيء.

بسم الله الواحد الأحد.. بسم الله الفرد الصمد.. بسم الله حق الوجود وحياة كل موجود.. بسم الله نقومه ونحياه.. نشهد أنه لا إله إلا الله.. وبسم الله لا إله إلا الله، نشهده في رحمته محمدا رسول الله.

بسم الله، سبوحا، قدوسا، ذاكرا لمعناه، نشهد وجه جماله في رسول إنسانه، إنسانا من الله عرفناه عبد الله، والحق من الله، ووجه الله، إليه انتهت معارفنا عن تواجدنا إلى عنوان وجوده، وفي شرف موجوده، وفي سر تواجده.

قام ويقوم في الساجدين إلى معناه. انقلبوا من معناهم لنفسوهم لها جافوا، ومنها تخلصوا إلى نفسه ظلالا لحقي معناه، من كان لنا من الله وإلى الله قبضة نوره، تميزت في بحار نوره، وتصورت بحق ظهورها على صورته، على ما تصور به في صور الخلق من آدمه، في أي صورة ما شاء ركبه.

قائمه وموجوده من الحق بعمل أو بظهور، زويت له الأرض، وقام بأهلها ظهورا من كنزيته، وقام به أهلها إلى حقيقة خلقيته لخلقيتهم، وإلى حقيته لحقيقتهم، فكان رحمة للعالمين.. وكان الكتاب المبين.. وكان الكلمة التامة.. وكان الدوحة العالية.. وكان الكلمة الباقية.. وكان وجه جلال الله ووجه جمال الله عند من كان لله وجها، بخروجه من عدمه بمعاني الخلق إلى حقه لتواجده وجها للحق، {كل من عليها فان ويبقى وجه ربك، ذو الجلال والإكرام}[1]، يوم يبقى بخروجه من معاني العدم له بإنائه إلى حقي أناه بروحه لبقائه.

اصطفى إنسان الله آدم، وكرَّم أبناء آدم، بما أوجده وأوجدهم به لنفسه لمعنى الله وملائكته، ليكونوا له أسماءً، وليكونوا له صفات، وليكونوا منه لأنفسهم آيات فيعرفون الله يوم يعرفونهم، ويشهدون الله يوم يتواجدونهم تواجدا به على ما أراد بهم، خلقهم لنفسه وخلق كل شيء في السماوات والأرض لهم.

جاءت رسالة السماء بإنسانها في ملكوته إلى إنسان الأرض وآدمها في ملكوته، فدنا إنسان السماء من إنسان الأرض أدنى من قاب قوسين، حتى صار إنسان السماء باطن إنسان الأرض، وارتفع إنسان الأرض بما آل إليه فردا مع إنسان السماء حتى صار ظاهر إنسان السماء. فلا إنسان أرض ولا إنسان سماء، ولكنهما الإنسان والإنسان، رفيق لرفيق، أعلى لأدنى، وأدنى لأعلى لأرض وسماء.

صعد إنسان الأرض إلى حيث إنسان السماء بجماله من حيث أناه، بما صار له لمعنى منتهاه، فرأى نزلة أخرى من إنسان السماء عند سدرة منتهاه لمرتقاه، بدءًا من أرض قيامه إلى قيام معناه. رأى وهو إنسان السماء بمعناه نزلة أخرى من إنسان السماء، ترضاه، وتهواه، وتكشف له طريق مرتقاه. رأى رفيقا أعلى طلبه بحسه ومعناه ليكون له عبدا ويراه مولاه، فوالاه وفى الأرض بعد السماء داناه، وفى السماء بعد الأرض قاربه وتولاه، ما زاغ البصر فيما رأى على مرآه، وما تجاوز في وعيه طاغيا بنفسه إلى غير مالها من كبير معناه...

نخاطبه مقاربه مخاطبا نفسه فيه، لا فرق بيني وبينك، الحق لي ولك، ونور الله أنا وأنت، ومطلق الله غايتي وغايتك، وشرفي وشرفك، ونهايتي ونهايتك، نتحقق بما لنا فيه يوم نتخلق بخلق من داناانا منه، فما أنا منه لك إلا رسول، وما الأعلى لي ولك إلا رسول، وما أنت لمن عرفك إلا رسول، لا نعرف عنه فيما مضى إلا ما يأتي به رسول منه فيما هو آت لعالم مداناته. فإذا كنت وجه الأزل إليك فأنت وجه

الأبد إليَّ، وإذا كنت الآزال في عقيدتك فأنت الآباد لي في صحبتك. بي وبك تمتزج الآزال بالآباد، والآباد بالآزال، فلا أزل ولا أبد، إنما هو الله السرمد، إنما هو الله الصمد.. إنما هو الله الأحد.

يسبح الإنسان فيه بالرشاد له، أوله جديده وآخره سعيده، سعيده بأوله بالولد، وأوله حقه بالأبد، ومن تأبد فيه تأزل، ومن تأزل فيه تجدد بالأبد، فعرف بوالد وما ولد.

إن الإنسان فيه هو كل الحق فيه.. إن الإنسان فيه في أسفل سافلين هو الإنسان فيه.. وإن الإنسان فيه في أعلى عليين هو الإنسان فيه.. والإنسان بعليينه والإنسان بأسفلينه كتف لكتف في إنسان معناه من ورائهما بإحاطته، عَلَمًا على مولاه، وظاهرا لمجلاه بجماله وجلاله لمن طلبه وعناه، فشهده بلا إله إلا الله، واستقبل رحمته بمحمد رسول الله، فقام فيه بمحمد رسول الله لعين قيامه، إدراك لا إله إلا الله في حق قيامه، فشهد الله بالله، وقام اسما لله باسم لله.

إن محمدا أظهره مظهره على الدين كله، وأظهر به لكل من كانه فكان ظلا له الدين كله، ومن عرف الدين كله بمدخله في حصن لا إله إلا الله، وقيامه برحمة الله محمدًا رسول الله، كان أولية في معناه.. كان أولية خلق بوصفه خلقا.. وأولية عبد بمسلكه عبدا.. وأولية حق بإيمانه بوحدانية الله حقا.. وأولية وجود يوم عرف كيف يتواجد.. وعرف كيف يتكاثر.. وعرف كيف يتناثر.. وعرف كيف يتجمع.. وعرف كيف يتفرق.. وعرف كيف ينفلق.. وعرف كيف يتحد ويتوحد.. وعرف كيف يتخلق.. وعرف كيف يتحقق.. وقد أظهر على الدين كله، فكان أولية في ذلك كله، وأولية لذلك ولغير ذلك كله.

كان محمد أولية العابدين.. كان أولية المعلمين.. كان أولية الخالق.. كان أولية الخالقين.. كان أولية العباد.. كان أولية الحق.. كان أولية الحقائق.. كان أولية الحقيقة.. كان أولية المعراج.. وهو إذ كان أولية لما يلي بما يعرف كان آخرية لما سبقه بمعانيه عنه عرف. وبذلك كان بما جاء به، وواصل به، وظهر به بمعانيه من بعده عين ظهوره بما كان من الحق له من قبله، فوضع قانونه، وأعطى حكمته في كلمات، (الظاهر مرآة الباطن)[٢]، متحدثا عن نفسه في ظاهرها وباطنها.

بذلك كان محمد محل سلام الله، وبيت اصطفائه، وإنسان رضائه، ورضوان رحمته، وكشف طريقه، وفتح باب حضرته، واستقامة طريقته، ويد نجدته، وطلعة جماله، وهيبة جلاله، وصفاته بأحواله، وجماعها في ذاته ومعناه بجديده لعين قديمه ظاهرا لباطن، ربَّه قديمه، وتعبَّد جديده لقديمه، فعبَّد جديد نفسه لقديم نفسه مظهر الآزال، فارتضته نفسه في آزالها لتجلياتها في آبادها في جديد نفسه، فَعرَّف عما به شرُف، (الخير فيَّ وفي أُمتي إلى يوم القيامة)[٣]، (لا تزال طائفة من أُمتي قائمون على الحق لا

يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة)[٤]، تقوم الساعة مرة أخرى، ولكل منكم ساعة، وها أنتم بي في ساعة، ساعة قديمي، وستبهتكم ساعة جديدي، يوم تنشق الأرض عني على ما هي منشقة اليوم بالحق عني، يوم يخرج لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياته لا يوقنون، تجديدا لرسالتي.

ها أنا بإذن قديمي أقول لكم {جاء الحق}[٥]، (من رآني فقد رآني حقا فإن الشيطان لا يتمثل بي)[٦]، ولا يراني في معاني الحق له في عموم الشيطان لكم. أما في خصوص الشيطان لي فقد أعانني الله عليه فأسلم، هو نفسي زهق باطلها وقام حقها.

والذي نفس محمد بيده ها أنا مبعوث بالحق بينكم، لقد زهق محمد خلقا، وانقلب محمد حقا. مَنْ محمد!؟ لقد أخذ مني اسمي، كما استولى على كسمي ورسمي، فلا اسم لي ولكنه اسمه.. ولا صورة لي ولكنها صورته.. ولا قائم لي ولكنه قائمه.. ولا قيام لي ولكنه قيامه.. قامت قيامتي.. وتجددت جلدتي.. وتغيرت في معناها لكم شبحيتي.. وبدلت في داخلي حقيقتي، (توسلوا بجاهي فان جاهي عند الله عظيم)[٧].

رضيت في مطلقه رسول نجدته لي ربا، فعرفته لي سابق حقيقته لعين قيامي بحقيقته لمعناي لأناي، فلا حقيقة لي ولكنها حقيقته، ولا حق لي ولكنه حقه، فمن أنا!!! فلا أنانية لي ولكنها أنانيته، ولكنه هو بمعناه أنا فيه معنى العبد له، وعبده لي فيه معنى الرب لي، أنا فيه وهو فيّ. فما تعارف في السماء أو في الأرض إلا إلى عبد له، قَبِلَ أن يكون عبدا له، يوم قَبِلَ أن يكون عبدًا لعبد له، إكبارا له، وإيمانا بشدة قربه قرين شدة بعده. فما قارب قُربا إلا وكان المُقارِب من حقيقته قديم حقه يقارب جديد حق له، وما كان حقه المقارب إلا رسوله. وما كان رسوله منه إلا عبده، ويوم يقارب حقه برسوله من يقارب من خلقه لمراد حقه لهم، فإنه إنما يقاربهم رسولا من أنفسهم بوصف حقه لهم، ولا يظهروهم بمعاني حقه إلا بعبده. وبذلك كان (الظاهر مرآة الباطن)[٨]حقا وصدقا.

إن الظاهر عبد لمن ظَهَر به. وإن من ظهر به إنما ظهر بباطن له ظهر به، وكان لباطنه عبده كذلك، في معراج يطول بنا فيه الأمر بإسناد أمر عن أمر، وإنسان عن إنسان، وعبد عن عبد، وحق عن حق، ووجود عن وجود، حتى إلى ذات قدسه. ما قدروا الله حق قدره.

جلت وتعالت ذاته عن الإحاطة بها أو الاتصاف بوصفها. وإننا إذ نتحدث عنه ذاتا أو روحا أو معنى، إنما نتحدث عن الإنسان في معارجه فيه، ذاتا لذات.. وذاتا عن ذات.. وذاتا من ذات.. وروحا من روح.. وروحا لروح.. وروحا عن روح.. ومعنى من معنى، ومعنى لمعنى.. ومعنى عن معنى.. فمعارج المعاني، ومعارج الروح، ومعارج الذوات، إنما هي للإنسان فيه، والإنسان فيه روح في أمره الوسط،

والإنسان فيه ذات في أمره لقائم ذاته الوسط بين الأب له والابن منه. والإنسان فيه روح في أمره العالي لذاته الداني. والإنسان هو الإنسان، سواء كان بمعناه أو بروحه أو بذاته. وهو الحق من الله يوم يتوحد لأحدية قيامه بأبعاضه ذاتا وروحا ومعنى.

إن الوحدانية للإنسان في وحدانية الإنسان بذاته وروحه ومعناه، ويوم يتوحد الإنسان من ذاته إلى معناه مرتقيا، فهذه إمامة الخلق تقود الركب إلى الخالق، ويوم يتوحد الإنسان من عاليه بمعناه مع روحه إلى ذاته في مبناه، فهذه هي طريق التداني برحمة الله وبسلامه، {وقل جاء الحق وزهق الباطل}[٩]، ويوم يقوم ويتقلب في الساجدين فهذه رسالة الله لكم في رسول الله أسوة حسنة، وما أرسلناك إلا كافة للناس.

بذلك اجتمع في رسول الله وتلاقى الطريقان لقائم حقه، ومنه تفرع الأمران تدانيا إلى الذات من الروح، وتعاليا إلى المعنى من الروح حَملا من الذات، فقام بذلك حقا منفردا مستكملا لمعنى الإنسان لأحديته. فكان رسول الله بذلك أمر الله الوسط، بين عالي أمر الله وبين داني أمر الله بقائم أمر الله به، فكان في داني أمر الله عبدا، وكان في عالي أمر الله ربا، وكان في قائم أمر الله به بينهما رسولا وحقا.

ما عرفه غير معناه في عاليه، ما عرفه غير ربه. وما وصله غير معناه في دانيه، ما وصله غير عبده، يوم ارتضاه دانيه بآدم لنفسه روحا مدانيا {وقل جاء الحق}[١٠]، تمثل بشرا سويا، سواه ونفخ فيه من روحه، وما فعل ما فعل إذ سواه ونفخ فيه من روحه إلا معناه من عاليه، وكان له ذلك يوم تساوت ذات الإنسان بدانيه مع روح الإنسان بعاليه إلى عاليه بمعناه حقا من الله، فكان قاب قوسين أو أدنى، فرآه من معناه بعاليه نزلة أخرى، ما زاغ البصر وما طغى، فقد قاما خليلين، واتحدا في الله حقا لحقين، وأمرا لأمرين في أحد قاما به وقاما فيه من آحاد لمطلق الله لا عد ولا حصر لها إنسانية الرشاد فيه.

ماذا كان فهمنا في رسول الله؟ وماذا كان ظننا برسول الله؟ وماذا كان قولنا عن رسول الله؟ وماذا كانت معاملتنا مع رسول الله؟ وماذا كان حديثنا عن رسول الله؟ وماذا كان قيامنا في رسول الله؟ وماذا كان رسول الله فينا ولنا وعلينا ومنا؟ ما قدرناه، وما سمعناه، وإن كنا قد سمعناه فما وعيناه، وإن كنا نظرناه فما أبصرناه.

إن الذي قال حسين مني وأنا من حسين كشف عن قانون الحياة.. كشف عن بقاء الإنسان بالله.. كشف عن تكاثر الإنسان بحق الله حقائق لله جمعها في حقيقة لله.. كشف عن عظمة الإنسان تعريفا عن عظمة الله.. كشف عن حقيقة الإنسان سفورا لحقيقة الله، (حسين منى وأنا من حسين)[١١]،

{النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}[١٢]، (يقوم ويتقلب في الساجدين)[١٣]، أُعطي الكوثر فهو المتكاثر في الباقين.. هو وجه الله في المتوجهين.. هو وجه الله في الناظرين.. هو وجه الله للناظرين.. هو وجه الله في المنظورين.. أظهره على الدين كله، وجعله الدين كله.

أرأيت الذي يكذب بالدين؟ فذلك الذي يدعك أيها اليتيم، من رأيت بعين معناك يتيما فلا تقهر، ومن رأيت على عين معناك على ما كنت مسكينا فلا تنهر.. اليتيم آويه، والمسكين خذ بيده واهده، وأعطه من مائدتك، واجعله مائدة الحق فيك عند من لنفسه يرتضيك.

اجعل لمساكينك أحواض الحياة، وبعباد الرحمن ظلالك قوارب النجاة، وبعترتك سفن الوجود، وأعلام الشهود، ومصابيح الطريق، وأوتاد الأرض، ورواسي الوجود، يا من ارتضيناك لأنفسنا فكنت على خلق عظيم، يا من أمرناك فاستجبت وخفضت لهم جناح الذل من الرحمة بما علمت فأحكمت.

إن يوم الفصل كان ميقاتا، وهو في أمر الناس قائم دائم، وعسى أن يبعثك ربك قبل أن يفصل في أمرك لهم مقاما محمودا، تعميما لرحمته، ونشرا لسلامه، عرفته يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، وخيرك فاخترت أن تكون عبدا.. أن تكون نبيا عبدا، لا أن تكون نبيا ملكا، مع أنك تعلم وقد قلت إن الناس على دين ملوكهم، ولكن الناس وهم على دين ملوكهم يسلكون طريق الهوى وطريق الضلالة، ما سلك ملوكهم أحد الطريقين فبهم يضل الناس، وبهم يهتدي الناس، وفرعون يقدم قومه يوم القيامة، وقد استخف قومه فأطاعوه فيوردهم النار. وقد خشيت على قومك أن يتخذ قومك مقام الحكم، وصفا لرسالتك وقياما بريادتك، فاخترت أن تكون نبيا عبدا، وأن تتجدد وتتكاثر في أمتك عبادا للرحمن يمشون على الأرض هونا، لا ملوكا متوجين على عروش من زيف الدنيا والبهتان، فعنونت في الله شرف الإنسان، وباعدت بين قومك وأمتك، وبين الضلالة بك بضلالة الحكم لك، فحكمت وما حكمت، وملكت وما ملكت، وسجدت وأسجدت. وهكذا أنت رحمة للعالمين في دوام لك بدوام من أخرجك رحمة للناس ورحمة للعالمين. ولكن الذي خشيته لأمتك أن يكون، قامه أناس وصفوهم لأنفسهم أمتك، وجافوا بينهم منهم من كان لك ومن كان منك، ومن كان من أمتك، لا ينقطع خيرها، ولا يمحى أثرها، ولا يغيب عن أرض للناس عناوينها.

اللهم يا من جعلت من محمد رحمتك للعالمين.. اللهم به فارحمنا.. اللهم به فاسترنا.. اللهم به فوفقنا.. اللهم به فسدد خطانا.. اللهم به فيسر أمورنا.. اللهم به فادفع عنا بلاء أنفسنا، وبلاء الخلق من حولنا.. اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شِرارنا بما كسبنا.. اللهم به فعاملنا بعفوك ورحمتك.. اللهم به فأقلنا من عدلك وغضبتك.. اللهم به فاجعل خواتم أعمالنا في مرضاته مرضاةً لك،

واجعل خير أيامنا يوم لقائنا به معك.. لا إله غيرك، ولا معبود سواك، نشهد أنه لا إله إلا الله، ونشهد أن محمدا رسول الله.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الرحمن – ٢٦، ٢٧

٢ عبارة تتناغم مع مقولة من خطبة للإمام عليّ ـ كرم الله وجهه: "...اعلم أنّ لكلّ ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه...". بحار الأنوار، المكتبة الشيعية.

٣ حديث شريف تقول معظم كتب الأحاديث إنه لم يثبت عن الرسول ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

٤ من الحديث الشريف: "لا تزالُ طائفةٌ من أمَّتي على الدِّينِ ظاهرينَ، لعدوِّهم قاهرينَ، لا يضرُّهم مَن خالفَهُم، إلَّا ما أصابَهُم مِن لأواءَ حتَّى يأتيَهُم أمرُ اللَّهِ وَهُم كذلِكَ. قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، وأينَ هُم؟ قالَ: ببيتِ المقدسِ وأكْنافِ بيتِ المقدسِ". أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة. وعبارة "حتى تقوم الساعة"، من الحديث الشريف: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة." أخرجه الحاكم.

٥ سورة الإسراء - ٨١

٦ حديث شريف: مَن رآني فقَدْ رَأَى الحَقَّ، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُنِي." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآني في المَنامِ فقَدْ رآني، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

٧ حديث شريف يرد في الأدب الصوفي، ويعتمدون فيه على الروايات التي جاءت في كتب الأثر، ومنها الطبراني، والترمذي، عن التوسل برسول الله، وأنه متوافق تماما مع بعض الآيات مثل: {وَمَا أَرسَلنَا مِن رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذنِ اللَّهِ وَلَو أَنَّهُم إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُم جَاءُوكَ فَاستَغفَرُوا اللَّهَ وَاستَغفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً} (سورة النساء: ٦٤)

٨ إشارة إلى مقولة من خطبة للإمام عليّ كرم الله وجهه: "...اعلم أنّ لكلّ ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه...". بحار الأنوار، المكتبة الشيعية.

٩ سورة الإسراء - ٨١

١٠ سورة سبأ - ٤٩

١١ حديث شريف: "حُسينٌ منّي، وأنا منه، أحبَّ اللهُ مَن أحبَّ حُسيناً، الحسَنُ والحسينُ مِن الأسباطِ". أخرجه الترمذي وابن ماجه، وأحمد باختلاف يسير.

١٢ سورة الأحزاب - ٦

١٣ استلهاما من {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين} - سورة الشعراء - ٢١٨، ٢١٩

(٤)

المؤمنون من كانوا لله ورسوله وجوه وأعلام فكان حسبهم الله ورسوله في دوام

حديث الجمعة

١ ربيع الأول ١٣٨٤ هـ - ١٠ يوليو ١٩٦٤ م

تعيرنا أنَّا قليل عديدنا.[١]

وواحدنا كالألف إن أمرٌ عَنَى.[٢]

وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، وما النصر إلا من عند الله.

كفى بالله ناصرا، وكفى بالله حسبا، يا أيها النبي حسبك الله، ومن اتبعك من المؤمنين، اسجد واقترب وتقلب في الساجدين.

محمد رسول الله والذين معه.. محمد رسول الله دائما والذين معه ما أسفر، أشداء على الكفار، رحماء بينهم.

ما جعلنا للكافرين على المؤمنين سبيلا ما كان إيمانهم بالله لجمعهم، وما كان الله حسبهم لنصرتهم وفعلهم. وما جعل الله نصرتهم إلا منهم وقد ألف بين قلوبهم، فلو أنفق منفق منهم ما في الأرض جميعا ما ألف بين قلوبهم، ولكن الله ألّف بينهم، {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}[٣]، ومن ينصر الله فلا غالب له، ومن يُذل الله فلا مُعز له، وهو العزيز الحكيم، ومن عمل سيفا في يد الله صلَّى ونحر، فأحيا بقدرة الله من قتل. (وا عجبي من أناس يجرون إلى الجنة بالسلاسل)[٤]، {صلِّ لربك وانحر}[٥]، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين.

(إذا لم تذنبوا وتستغفروا فيغفر الله لكم لذهب بكم وأتى بقوم آخرين يذنبون ويستغفرون، فيغفر الله لهم)[٦]، {إن يشأ يذهبكم ويأتي بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز}[٧]، {كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين}[٨].. فليس الدين في المناسك، ولكن الدين في العلم والعقائد والاجتماع عليها.

وهو أمر فطري قائم في أي أمة وفي أي زمان، تكفل الله بالنصر للمتجمعين بالذكر والتواصي بالحق عليه. ومن هم المتجمعون عليه؟! وكيف يكون التجمع عليه؟! إن الإجابة على هذا التساؤل هي رسالة الدين، وهو ما يتكفل به فقه الدين، علما وتعريفا، يوم يتواجد لأمة ما فقهاء للدين. وهو ما ينتهي إلى التجمع على التواصي بالحق، بالمحبة والاستقامة مع الفطرة. وهذه هي الطريق، وهي الدين. وهذا هو الجانب العملي للجانب الثقافي للتبليغ دائما. وهما أمران لا يفترقان في أمة من الناس، استقامت على أمرها من الله.

فقه الدين هو بعينه فقه الطريق، أو في الواقع لبابه. فتأسيس أي دين قام دائما على دعامتين من مبلغ أو مبلغين على تعاقب، ومن إمام وأئمة منفذين للحكمة جاءت من أعلى بالتبليغ، وسندت وأبنت من أعلى بطاقة للحجة وللتنفيذ والاستقامة عليها، وهو الانتفاع بالدين بوصفه الطريق إلى الحق.

والطريق إلى الحق معناه كسب معنى واسم الحق لطالبه، بالتخلص من الباطل للنفس بأنانيتها من المادة ومن الظلام إلى جديد من أنانية لقيام لطيف من الروح ومن النور، يتواجد رويدا رويدا في الجلباب من التراب من الأرض، بدءا من سويداء القلب حتى يستكمل تواجده على مراد الطالب من فعله على ما يريد، باحتذائه لمثله الأعلى المؤسس للدين وللطريق، مختارا منه لحبه واعتقاده، يراه في إمامه ممتدا بصورة في عالم شهادته.

صدق الله وعده.. وصدق رسول الله أمته.. فكشف لها عن أمر الإنسان في الله، وضرب الله به مثلا للناس قدوة لهم، وأسوة لأمرهم فيهم منه به رجلا من أنفسهم كشف عنه غطاؤه، فحد بصره، وتفتحت بصيرته، فحسن إدراكه، واستقام تقديره، وقام بالله، في الله، من الله، وإلى الله أمره، بشّرهم وطمأنهم بدوامه متكاثرا بسرمدي كوثره رحمة لهم.

فكان أمرَ الله للناس كافة، وكان مرضي الله لمعاني العبد له، ولمعاني الحق منه، ولمعاني الرب على من يتكفل بيتا وجمعا وأمة، ولمعاني الإله على من يجهل سعة وعلما، ولمعاني الرحمة لمن يسترحم قياما وفعلا، ولمعاني العلم لمن يستعلم كتابا وحكمة، ولمعاني العزة على من يستكبر إصلاحا وعدلا، ولمعاني يد الله مبسوطة لمن امتدت منه إلى الله يده، يطلب رفده ويبايع الله على نفسه مع من باع الله نفسه، واصطفاه الله لنفسه، فكان عند الناس من الله نفسه لأنفسهم صنعه على عينه، وأوجده لنفسه فتواجده لخلقه بين خلقه، عين حقه، وقيام أمره، وساعة رضائه، وجمال طلعته، ورهبة جلاله وجلالته.

جعل شعاره لا إله إلا الله، وسنته وشرعته ذكر الله ولا ذكر له، وقيامه أمر الله ولا أمر له، فلا تعدد لأمر الله في أمره، عَلَمَ وحدانيته، ووجه شهادته، وداني عظمته، وكشف القناع عن أسرار غيبه على

ما تكشف له بصيرته، ما كذبه فؤاده أمره، أمره من أمر الرفيق الأعلى ربا له، رآه جديد قديمه، وذكر ذكره، وباطن ظاهره، وقيوم قائمه، ومحيط أمره...

فكان الله حسبه، ونعم الوكيل.. كان الله مظاهره، ونعم المعز.. كان الله باطنه، ونعم الخالق.. كان الله مخفيه وساتره، ونعم الحافظ.. كان الله مبقيه، ونعم المحقق.. كان الله مبديه، ونعم المنعم.. كان الله ناشره، ونعم الراحم.

جاء بالإسلام يوم أسلم لربه، يوم أسلم للأعلى يدانيه برسول منه نزلة وأخرى، ربا له قاب قوسين أو أدنى عرف معه الوحدانية كيف تكون وما تكون، فأسلم يوم أسلم لمعروفه بإسلامه لموجوده يوم عَلِم عن معلومه، بعلمه عن قائم عالمه بوجوده، يوم أقرئ فقرأ.. قرأ كتاب نفسه يأخذه بيمينه في دورة خلقه، ظاهرا لدورة ظهوره بحقه...

رسول القديم بمعناه، بهيكله الجديد لمبناه، آدم إنسانه إلى إنسانية آدمه.. كان قبل آدم إنسانا، كما كان بعد آدم إنسانا. وكان بعد الإنسان له آدما، كما كان قبل الإنسان له آدما. هو دائما الآدم بذاته لجماع ذواته، والإنسان بحقائقه وصفاته، لجماع حقيقته حقيقة لكلماته، هو الإنسان المجدد لنفسه بنفسه بأوادمه في دائم أمره.

تلقى الكلم آدما، وصدر عنه الكلم إنسانا. صدر عنه الكلم لآدمه، وتلقى آدما الكلم من إنسانه. عرف أن آدم وإنسانه ظاهر لباطن، وباطن لظاهر، فعرف وعَرَّف أن قبل آدم وبعد آدم، الكثير من الأوادم، آدم وآدم وآدم، ومئات الآلاف من الأوادم خلائق الله، لا يخلق، ولا يتخلق، لا ولا يَخْلِق بذاته، فهو الخالق الموجد بإرادته والغير متعدد مع ما أوجد أو يوجد في وحدانية وجوده لأحده بمعناه.

هو المترفع والكبير المتعال.. هو الأكبر من الكبير، والأعلى من العلي، والأوسع من الموجود الواسع، والأكبر من الوجود، والأطلق من القدرة، والأقدر من القادر، والأقرب من القريب. أظهر رسوله على الدين كله، وما أظهره جديدا مؤبدا على الدين كله إلا سابقه بمعناه لمعناه قديما مؤزلا، فأبد جديده فتأزل يوم تأبد، يوم عرفه الأبد، وقامه وظهر الأزل، وكانه وأبدى أزله بأبده، فجدد أزله فتأبد، فكان دورة الزمان للأزل والأبد التقاءً فيه، وقياما به، ووجودا عنده. فكان بذلك حجر الزاوية للوجود والتواجد.

كان إنسان الغيب، وباطن إنسان الشهادة، وإنسان الروح للشهادة، لمن كشف عنه غطاؤه، وحَدَّ بلطيف الله بصره، فتكشف الأمر لبصيرته، فرأى ببصره بصيرة له على ما يرى ببصره، مما يرى من صور الخلق عنده، فشهده محمدا رسول الله بعد أن شهده لا إله إلا الله.

سبحان الله، وتعالى الله، ما جاء مؤسس الإسلام ورسول الإسلام برسالة الإسلام عنونها وجعل شعارها لا إله إلا الله، فكشف عن دين الفطرة، وقانون الفطرة، وأمر الفطرة، وسر الفطرة، وظاهر الفطرة، وباطن الفطرة، إلا لأنها رسالة أبرزتها الفطرة، وقام مؤسسها بالفطرة بدءا وتكاملا وكمالا، ولا نهائيةً في وجود، وفي تكامل.

فحمل البشرى للكافة بمراد الفطرة بالكافة، وحذر الكافة من قدرة الفطرة على الكافة، وكشف أن لكل فعل ردَّ فعل مساو له في القوة، ومضاد له في الاتجاه. فعرَّف أن الحساب والجزاء، وأن النعمة والعطاء، إنما هي أمور قائمة في ظل قوانين الفطرة، (إنما هي أعمالكم ترد إليكم)[٩]، {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره}[١٠]، كفى بنفسك اليوم، وفى كل يوم، ويوم يقوم الحساب، ويوم يعجم عليك الحساب، {كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا}[١١]، فهدى الناس.. (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا)[١٢]، وقوَّم الناس (موتوا قبل أن تموتوا)[١٣]، وحذَّر ونصح الناس أن عيشوا في هذه الدنيا غرباء، وعدوا أنفسكم من الموتى يخاطبكم الموتى، وإذا خاطبكم الموتى كنتم من المؤمنين لأن في خطاب الموتى يقين الحياة، ممن خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا، فكالمة الموتى أمر قائم في هدي وتعريف دين الفطرة، اختص به الله يهبه لمن يجعله من أهله، {ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كُلم به الموتى بل لله الأمر جميعا}[١٤].

عَرَّف الكافرين: أولئك الذين كفروا بالحياة يقومونها ويقوم بها قيمة على الأحياء منهم، رسلا من أنفسهم ممن يصطفي الله لهم فيخلق بهم، ويجعل فيهم معلمين خالقين لهم، خلقا من بعد خلق، والله خلقكم وما تعملون، ذريات من بعد ذريات، لأصول من قبل أصول يجمعها في وحدة بوصلة ذرية طيبة بعضها من بعض، وقد جعل من العلم خلقا من بعد خلق، سبح اسم ربك الأكرم {الذي علم بالقلم}[١٥]، (كل الناس هلكى إلا العالمون..)[١٦]، {استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم}[١٧].

وإذ أخذنا من بني آدم من ظهورهم ذريتهم، أخذنا مما وراء ظهورهم من أرواح الآباء مظاهرة لهم منقبرة في قلوبهم، من صور المتصور، لأيدي القادر، لتجليات المتجلي، فما كان من ورائهم بإحاطته إلا أصولهم، وهو فاعل وسيفعل على ما فعل وعلى ما سبق أن فعل. وفعله كما بدأ أول خلق يعيده، فمن خلال الحاضر لأبناء آدم يبعث منهم أصولهم إلى آدم ليتواجد منهم من تواجدوا منه فتتم الدورة الخالدة للحياة بكلمات الله وإنسانية الرشاد له. من صلح أصلحنا له من صلح من آبائه وأزواجه وذرياته، ومن تمت لهم الدورة في دائرة لها، بمركز بها، تحرروا من العودة لمولد الفطرة على هذه الأرض إلى دارهم وأرضهم وجنتهم دارا لا يعصى الله فيها قط - لا يلدون ولا يولدون - أسماءً ووجوها له.

وإذ حملنا ذريتهم في الفلك المشحون، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون، فما عرف الآباء أمر أنفسهم إلا يوم عرفوا أمر أبنائهم، وما عرف الأبناء أمر أنفسهم بدورهم إلا يوم قاموا بمعارف آبائهم آباءً بدورهم، فأحاطوا معرفة بأبنائهم بدورهم على ما شهد آباؤهم لهم بعد أن فارقوا عالم أمرهم، وخلق لهم من مثله ما يركبون.

إن الناس على الأرض لا يعرفون أمر الأرض، ولا يحيطون بأمر الأرض، إلا يوم أن يفارقوا هذه الأرض إلى أخرى، تحملهم فلكا مشحونا بهم سابحا في ملكوت الله من أمره، على ما هو من أمرهم اليوم، وهذا ما يقوم فيه سكان الكواكب من سبقكم بآبائكم، وهو ما ينتظركم لقادمكم عند ما ينتهي أمركم من أمر هذه الأرض.

إنه لا ينظر إلى هذا الفلك مشحونا بأبنائه إلا من فارق دائرة أمره. فقد عَرَّف الرسول أنه زويت له الأرض، وأن أمته تبلغ ما زوي له منها، فالمؤمنون بالله ورسوله يرون معنى قوله {حملنا ذريتهم في الفلك المشحون}[١٨]، ويدركون كيف أنه خلق لهم من مثله ما يركبون، يوم أنهم لا يتثاقلون إلى الأرض. فمن تم له وصف ومعاني وإمكانيات الآباء وهو على هذه الأرض، رأى الفلك المشحون بأبنائه من مثل ما يركب بحاضره، بيتا موضوعا يذكر فيه اسم الله، يوم يرفع بيته وذكره باسم الله فيصبح في ظاهره لباطنه أمر الله وشأن الله، مسكينا ذا متربة هو آدمها.

ها أنتم في فلككم هذه مشحونة بكم، تفكرون في غزو الكواكب، تريدون أن تذهبوا إلى هذه الكواكب بماديات فعلكم وذواتكم وماديات قيامكم، وهي فلك مشحونة على مثال من فلككم التي تركبون، ولو أدركتم وقدرتم ففيها ما هو مشحون بالآباء لكم، ومنها ما هو مهيأ ليشحن بالأبناء منكم، فأنتم في داركم وبفطرتكم الأمة الوسط بين أمم الإنسان في دورها بين قديم الإنسان مؤزلا لا بدء له، وجديده متخلقا متواجدا أبديا لا انتهاء له. فعلى أرضكم من هم آباء لأبناء من ساكني الكواكب، وعليها من هم أبناء لآباء من ساكني الكواكب.

فأنتم خير أمم الإنسان إدراكا لأنفسكم يوم تحققون لأنفسكم أمر أنفسكم بمعنى الإنسان، بشرا بدأه خالقه بمولد فطري من طين، تواجد في جلباب من لحم وعظم ودم، فيه يتخلق من فعله، ومن أمره، ومن إرادته، مظهرا ومخبرا لغيب ومجهول أمره إلى كمال ذكر محدث لذكر قديم، يعلم ويشهد به خالقه، ويحمل شرف اسمه المؤمن لقائمه بظاهره وغيبه.

تواجد الإنسان بالإنسان لمعنى الإنسان له.. تواجد لنفسه بأحسن تقويم، وبفعله وبإرادته هَوى لأسفل سافلين، يوم شغله دانيه لذاته بلذاته وشهواته، فَجَرَّه إلى الهاوية فهوى، فلما أفاق لأمره، وأحس

بعسره، واستيقظ لمراد الله به من أمره في قديم أمره، لقي يسره، وأفاق إلى حقه به، فتخلى عن مرذوله، وممقوته، ومكروهه، طلبا لمنشوده، ومقصوده، ومسعوده، وموجوده، لعين وجوده، فتخلق من سافلين ومن أسفل محمولا طلبا لعليين وإلى أعلى، مبسوطة له يد من أعلى، فتصاعد مرتقى بعد مرتقى، وأخذ عطاء بعد عطاء عطاءً غير مجذوذ، واستوفى حقه لما خُلق له في واسع الحق، حقا غير منقوص، وما نال شيئا من ذلك في حياة الروح، في عوالم الحياة، إلا من كان له بيت يأويه وحق لنفسه يرتضيه، بدءا من عالم البدء، متواجدا من نبات الأرض بدءا من علق، {إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا}[١٩].

جاء محمد الله.. جاء آدم الله.. جاء إنسان الله.. جاء حق الله.. جاء اسم الله.. جاء حضرة صفات الله.. جاء قدم الله.. جاء يد الله.. جاء أُذن الله.. جاء عين الله.. جاء فم الله.. جاء أنف الله.. جاء قبلة الله.. جاء بيت الله.. جاء ذكر الله بذلك كله، ليكون للناس بذلك كله من الله، لهم منه ما له ما تابعوه، وأحبوا الله فأحبوه، فعرفوه رحمته وطلعته.

جاء بذلك كله.. فماذا أخذ الناس؟ وماذا ترك الناس؟ وماذا عرف الناس؟ وكيف آمن الناس؟ وكيف تَعبَّد الناس؟ وكيف تنسك الناس؟ وكيف حقق الناس؟ وكيف جافى الناس؟ وكيف تابع الناس؟ هذا هو أمر الناس، على ما هم الناس.

إنهم في يومكم على ما كانوا في يومه بيوم من أيامه، وهم على ما هم في جمعكم على ما كانوا في جمعه، وفى كل جمع له كلما جمع، وهم على ما هم في قبلكم على ما كانوا في قبله، ولا قبل له إلا ما هو قبل له، وهو ما يكون في بعدكم على ما يكون في بعده ولا بعد له إلا ما هو جديد له بعثا لقديم له في قانون الله، طال يومه بينكم أو قصر، جددتموه لكم من بينكم أو جمد، سعادتكم أن يطول يومه وأن تتجدد بينكم لكم أيامه.

{إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة}[٢٠] وما يوم الجمعة إلا يومه ورسالته ومعناه. {إن الله جامع الناس، ليوم}[٢١]، هو هو {لا ريب فيه}[٢٢] يجاب به فيه منه الداعي لا عوج له، {وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا}[٢٣]، (ما عرفني غير ربي)[٢٤]، (لست على هَيئتكم)[٢٥]، (من رآني فقد رآني حقا)[٢٦]، فقد ذهب وصف الخلق عني، وقام وصف الحق لي، بعثت بالحق نفسي بيده، فمن عدد نفسه معي لا يعرفني، ولا أجهله، ولكنى أصبر معه، لعله يَذَّكر أو يخشى.

لله يسجد من في السماوات ومن في الأرض، وما كنت إلا أحده لأمتي عبدا من عباد، وحقا من حقائق، وآدم أوادم من أوادم أوادم، وإنسان رشاد في إنسانية الرشاد، لا تعدد لجمعها، ولا فرقة لقلوبها، ولا تناثر لقوالبها، {أليس منكم رجل رشيد}[٢٧].

إن الله يبحث عن عبده، وما يبحث عن عبده إلا بعبد له، كما يبحث العبد عن ربه، وما رب العبد إلا عبدٌ لرب له.. وجوه لوجوه، بين ناضرة وناظرة، يفقدها لوجهه وجوه قوم يجحدون حقيقة الحياة أو يفرطون في أمرهم بقائم وقيوم الحياة لهم من الله، ترهقهم قترة، أولئك هم الكفرة الفجرة الذين غفلت عقولهم، وغلفت قلوبهم، واستعلت نفوسهم، وانحرفت إرادتهم، وضلت وحارت عزيمتهم، فطلبوا الدنيا نعمة عاجلة تعجلوها دون آخرة تأملوها وعملوا لها فانتظروها.. طلبوها جيفة هم كلابها، طلبوها قذارة هم خنازيرها، مثلهم كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث وإن تتركه يلهث.

يضعون أنفسهم ومن يألفون صورا ميتة في بيوت الله من قلوبهم، ويصورون الله بأوهامهم وبجهلهم وبانحرافهم، وملائكة الله لا تدخل بيتا من قلب فيه كلب من نفس أو صورة لجيفة من شيطان من رجس.. بيت من قلب إنسان ما خلقه الله إلا لنفسه بيتا به يظهر، وفيه اسمه يذكر.

فماذا أدرك الناس من أمر هذا الدين؟ ماذا عرف الناس من أمر الفطرة؟ ماذا حقق الناس من العلم لأنفسهم عن أنفسهم؟ بماذا تواصى الناس بينهم عن أمر الحياة قائمة بهم للحي القيوم لمعاني قيامهم هم له وجوه وأعلام ومعاني وأسماء؟

إنهم يخشون الموت، وهو رفع حجاب الغفلة لهم بوضع أوزارهم عنهم وفيه الحياة ومولدها بهم، ويخدعون أنفسهم بحياة الأغلفة لقلوبهم هي أرض كسبهم وبعث أمرهم، واختبار قلوب غفلتهم عنهم، والغفلة عين الموت، وعين قيام الوهم والعدم، ولا علم لهم عن الروح هي حياتهم، ولا علم لهم عن الإنسان هو قائم وجودهم لقيوم تواجدهم، لقديم قديمهم في قيامهم، به يبقون الآباد، ويبعثون الآزال، يوم يدخلون في حصن لا إله إلا الله، هي حصن لمن كان لها شعارها، ومن كانت له داره، فكان بها لها في الناس دار.

عباد الرحمن هم بيوت يذكر فيها اسم الله، تدخلهم النفوس المطمئنة، هم بيوت الله مرفوعة أو موضوعة، يذكر فيها اسمه، يحيا من يدخلها، ويذهب الرجس عمن يسكنها، ويبعث بها من يقطنها، فينمو بيتا لله يذكر فيه اسم الله يوم يكون اسما لله بعد أن آمن بالله ورسوله، ثم لم يرتب في الله ورسوله بالريبة في أمر نفسه، محلا لله ورسوله، كلمة لله بهما، وخلقا من الله لهما، وجها لهما بمعاني الوجه لله، إنسانا

وعبدا، وبيتا وحقا، وأمرا وذكرا، تعالى الله عما يصفون، وتنزه الله عما يشركون، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

هذه الدار من عالمكم هي عالم البدء وهي متاع أهل آخرتها سماءً دنيا لهم، وما بدئ أمر بيوم أحد إلا وتم، ما بدئ أمر بوحدانية الله إلا وتم. ما بدئ أمر برسول الله إلا وتم، فما كان يوم الأحد إلا رسول الله.. وما كان يوم الأحد إلا عبد الله.. وما كان يوم الأحد إلا حق الله.. وما كان يوم الأحد إلا وجه الله.. وما كان يوم الأحد إلا يد الله. هل آن لها أن تمتد مرة أخرى؟ هل آن للعبد أن يسفر مرة أخرى؟ هل آن للأمر أن يظهر مرة أخرى؟ هل آن للوجه أن يكشف الغطاء مرة أخرى؟ هل آن للحق أن يبرح الخفاء للبصر كما للبصائر؟

إذا وقعت الواقعة فليس لوقعتها كاذبة، خافضة رافعة، ساء صباح المنذرين. إن الأرض والسماء لترهص ليوم من أيام الله.. لأمر من أمور الله.. لعبد من عباد الله.. لروح من روح الله.. لسماء من سماوات الله.. لأرض من أراضي الله.. لآدم أوادم من أوادم الله.. لإنسان من إنسان الله.. لرشاد من رشاد الله.. فهلا استيقظ حصيف من الناس ليكون له سبق الإسلام والإيمان من قبل أن يأتي يوم من أيام الفصل يتبعه إنظار وبدء! من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال.

إن يوم الفصل كان ميقاتا، للطاغين مآبا، يوما لابثين فيه أحقابا، {وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون}[٢٨]، إن يوم الفصل إنما هو قرون، فهلا تسمعون! وهلا تستيقظون! إنكم في يوم الفصل دائما تقومون، وان يوم الفصل يقوم فيكم يوم أنكم عن أغطيتكم تكشفون، وبأفئدتكم تنظرون، فترون وجه الحق أينما تولون في مرآة الوجود، أنتم بالوجود تقومون، وبكم الوجود يقوم، ويتجدد على ما تشهدون، وجود لوجود.. لشاهد ومشهود.

يستعجلون الساعة، والذين يؤمنون بها لا يستعجلون، فهم من أمرها مشفقون لأنهم بها يؤمنون، ولها ينظرون في قلوبهم على ما يشعرون، ورغبا ورهبا على ما يدركون يقومون فيما به يؤمرون، ولأنفسهم بالظلم يتهمون، والطمأنينة لأنفسهم لا يُقدِّرون وبها لا يحسون ما رأوهم يفعلون، وغير الاتهام لها لا يقبلون، {وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء}[٢٩]، فإذا قاموا في نعمة الله بطاعته، حمدوا الله لحسنته، ورأوا أنهم ما قاموا فيما قاموا إلا بتوفيقه، {وما توفيقي إلا بالله}[٣٠].

قدروا أنفسهم حق قدرها فإذا هي العدم، وقدروا الله حق قدره فإذا هو الوجود، فحرصوا على لا إله إلا الله، هم فيها قيام، وهم بها قيام، وحرصوا على شهادة أن محمدا رسول الله وعبد الله.. والحق من الله.. وبيت الله.. وحضرة الله.. وحق الله، فعرجوا في معراجه، وارتقوا في مرتقاه، قائمين فيه، قائمين

به، قيوما عليهم بقيام الحق عليهم رفيقا أعلى، قدوة وأسوة لهم، تتم لهم معانيه بقيامهم ظلالا له فيه، فيرونهم به، قيومين عليه على جديدهم بمعاني جديده بهم فيه، هو لهم وهم له بشهوده في معاني مشهودهم لهم، يرونه بإحاطته بهم، فوقهم وتحتهم، أمامهم وخلفهم، وعن أيمانهم وشمائلهم، حولهم وفيهم، عين بصرهم وقيامهم، وعين بصيرتهم وقلوبهم، ما رأوهم بالحق منه ظلالا له عرفوا به شرف القيام بمعنى الظل له، إذ رأوه معاني الحق لظلاله في قيامهم على ما هو من الأعلى رفيقا له، فشهدوا أنه الحق من ربهم، فعرفوا أن محمدا رسولا وحقا، وأنه لهم من ربه ربا.. ومن إلهه إلها.. ومن عبوديته عبدا، وحبا وخلا.. فعرفوا معاني العبد في الله.. ومعاني الرب في الله.. ومعاني الإله في الله.. ومعاني التنزيه لله.. ومعاني القرب لله.. ومعاني الإكبار لله، يوم شهدوهم محمدا رسول الله، فعلموا أنه لا إله إلا الله، وقاموا لا إله إلا الله، يوم قاموهم عبادا لله، وحقا لرسول الله. لا يجز لهم من الله ورسوله عطاء، ولا يتوقف لهم منهما جزاء.. فتعالى الله في تعاليهم، وتدانى الله في تدانيهم.

هؤلاء هم المسلمون حقا، نسأل الله أن يجعلنا من المسلمين حقا.. نسأل الله أن يلحقنا برسوله حقا، وأن يقومنا به له عبادا وحقا، فنحسن مدخلنا على لا إله إلا الله، ونحسن قيامنا بلا إله إلا الله، فنقوم كلمات لله، الله بها يفعل، ولا تعلن الفعل بها إلا لله، وبها يعلي، وبها يخفض، وبها يذكر الله وحده، فنكون حقا عبادا لله، مسلمين لرسول الله إسلاما لله، وعبادا له. بهذا جاء الإسلام، وبهذا جاءت الفطرة، وها هي السماء بيننا تجدد هذه الرسالة، على ما أقامتها في قديم، وجددتها في مستديم.

ها هي السماء تقوم بلا إله إلا الله، وتُقيم لا إله إلا الله، وتجدد رسالة الفطرة لرسول الله، (بدأ الإسلام غريبا ويعود كما بدأ)[٣١] ، وعما قريب سنشهد جميعا آثار ذلك، ومعنى ذلك، ووعي ذلك، وفهم ذلك، وبيان ذلك، يوم نرى ونفيق ونتنبه إلى ما سيرينا الله مما سبق أن أبدى، وعلى ما هو مبدي في دوام من آياته في الآفاق، وفي أنفسنا، وكم أشهدنا ولم نفق، ولم نستيقظ، ولكن آيات الله ستترى، الآية بعد الآية، والأمر بعد الأمر، والحدث بعد الحدث، والشدة بعد الشدة، والبأس بعد البأس، والقوة بعد القوة، والرخاء بعد الرخاء، واليسر بعد اليسر، حتى يستيقظ الذين يستعجلون بالسيئة قبل الحسنة، وقد خلت من قبلهم المثلات، ولكنهم لا يستيقظون. يجافون قيامة الرحمة قائمة بالرحماء، وينتظرون قيامة رد الأعمال والجزاء والمثلات، والله عند ظن عباده إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

نسأل الله أن لا يجعلنا من أهل الغفلة، وأن يجعلنا من السابقين المقربين، المؤمنين، المسلمين، ولا يجعلنا من المستهترين، المتهاونين، المتكاسلين، {عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}[٣٢]، وليأتينك نبأه بعد حين.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله

أضواء على الطريق

{وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد}[٣٣]، {أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها}[٣٤]، هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[٣٥] {إنا أعطيناك الكوثر.. إن شانئك هو الأبتر}[٣٦]، {إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا}[٣٧]، {قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[٣٨].

من هدي الذكر الحكيم.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ من أبيات للشاعر السموأل بن غريض بن عادياء الأزدي، يهودي حكيم من العصر الجاهلي: تعيرنا أنّا قليل عديدنا.. فقلت لهم إن الكرام قليل.

٢ من قصيدة شعر تسمى "المقصورة" للشاعر أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي من أزد عمان. ولد في البصرة سنة ٢٣٣هـ. والناس ألف منهم كواحد.. وواحد كالألف إن أمر عنا.

٣ سورة الأنفال - ٣٣

٤ حديث شريف. صحيح البخاري. كما جاء بلفظ "عجبتُ لأقوامٍ يُقادونَ إلى الجنةِ في وهم كارهونَ." أخرجه ابن الأعرابي في معجمه، وأبو نعيم في حلية الأولياء.

٥ سورة الكوثر - ٢.

٦ الحديث الشريف: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لهمْ." صحيح مسلم.

٧ سورة إبراهيم - ١٩-٢٠

٨ سورة الأنبياء - ١٠٤

٩ من حديث قدسي: ".. يا عبادي! إنَّما هي أعمالُكم تُرَدَّ عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمَدْني ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومَنَّ إلَّا نفسَه." الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح.

١٠ الزلزلة ٧-٨

١١ سورة الإسراء - ١٤

١٢ مقولة من حديث للخليفة عمر بن الخطاب. أخرجه أحمد في (الزهد)

١٣ حديث شريف. المحدث: الزرقاني، ولكن لم يثبت سنده، ويوافق الحديث الشريف: "كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ وعُدَّ نفسَك في الموتَى". أخرجه البخاري.

١٤ سورة الرعد - ٣١

١٥ سورة العلق - ٤

١٦ حديث شريف جاء في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي باب "حقيقة النية ومعناها"، بصيغة: "فالنَّاسُ كلهم هلكَى إلَّا العالِمون، والعالِمون كلهم هلكَى إلَّا العاملون، والعاملون كلهم هلكَى إلَّا المخلِصون، والمخلِصون على خطرٍ عظيم".. وجاء في تاريخ دمشق لابن عساكر: سمعت ذا النون المصري يقول: "الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء كلهم نيام إلا العاملون، والعاملون كلهم مغترون إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم، قال الله عز وجل: "ليسأل الصادقين عن صدقهم." ولكنه يصنف بأنه موضوع.

١٧ سورة الأنفال - ٢٤

١٨ سورة يس - ٤١

١٩ سورة المزمل - ٦

٢٠ سورة الجمعة - ٩

٢١ سورة آل عمران- ٩

٢٢ سورة البقرة - ٢

٢٣ سورة طه - ١٠٨

٢٤ حديث ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكتاني بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي".

٢٥ من الحديث الشريف: "إيَّاكم والوصالَ إيَّاكم والوصالَ قالوا: فإنَّكَ تواصِلُ يا رسولَ اللهِ قالَ: إنِّي لستُ كَهَيئَتِكُم إنِّي أبيتُ يُطعمُني ربِّي ويَسقيني" أخرجه مالك، والبخاري ومسلم باختلاف يسير.

٢٦ إشارة إلى الحديث الشريف: مَن رآني فقَدْ رَأَى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُني." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآنِي في المَنامِ فقَدْ رآنِي، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

٢٧ سورة هود - ٧٨

٢٨ سورة الحج-٤٧

٢٩ سورة يوسف -٥٣

٣٠ سورة هود -٨٨

٣١ حديث شريف: "بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا." صحيح مسلم.

٣٢ سورة المائدة - ١٠٥

٣٣ سورة الأنبياء - ٣٤

٣٤ سورة الأنعام - ١٢٢

٣٥ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩

٣٦ سورة الكوثر – ١، ٣

٣٧ سورة الأحزاب - ٣٣

٣٨ سورة يوسف - ١٠٨

(٥)

يبدل الله الأرض غير الأرض والسماوات يوم يستوي على عروش القلوب لعوالم النفوس والذوات بإنسان الله له عقبى الدار وسماوات الجوار

حديث الجمعة

٨ ربيع الأول ١٣٨٤ هـ - ١٧ يوليو ١٩٦٤ م

أشهد أنه لا إله إلا الله، وأشهد أنها للمؤمنين بقيامها لقائمهم بالحق لهم، عبده ورسوله.

أشهد أن الله للإنسان.. وأشهد أن الإنسان لله.

أشهد أن الحق في أعلاه، روح لذات.. وأشهد أن الحق في أدناه، ذات لروح، بالآحاد للإطلاق بظاهر لباطن وباطن لظاهر في الحقيقة اللانهائية.

أشهد أن حق الله، لما فوق الإنسان، روحا عظيما وروحا أعظم، وروحا أعظم لإنسان وإنسان إلى أزل لآزال الوجود، وأشهد أن حقي الله، لما بعد حقي الإنسان ذاتا بإنسان وإنسان وإنسان، لروح وروح وروح إلى أبد لآباد الوجود.

أشهد أن الإنسان بظاهره بعالمه لعالميته كرسي الإنسان لباطنه بحقه، وأنه بباطنه لوجوده عرشه لإنسان ربه.

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن الإنسان يقوم العبد، ويقوم الرب، ويقوم الرسول، كما يقوم الغيب ووجه الإله به فيه، له وجها وأمرا للأعلى في المطلق للانهائي، ظاهر غيبه، وغيب ظهوره في معاني حقه وخلقه، وانفعاله وفعله، في مجالي ذاته ومحيطه، في فعله وتفعيله.

أشهد أنه لا إله إلا الله، وأن الملك له، والحكم له، والأمر له، والوجود له.

أشهد أنه المحيط لا يحاط به، وأنه الظاهر لا غيب له، وأنه الموجود لا غير له، وأنه الوجود الكل أمره، قائما على كل نفس بما كسبت من أمرها، فالكل وجهه، سواء آمنت بخيريته وبوحدانيته، وقامت

بأحديته، فعنونته الإيمان، والرحمة والإحسان، فكانت نعم الاسم والوجه والعبد له، أو كسبته الكنود لنفسها، والجحود لأمرها، فعنونت الظلام والجهل، عنونت الفجر والفسوق والكفر، {ووجوه يومئذ عليها غبرة. ترهقها قترة}[1] قامها بحكمته، وأقامها بقدرته، وفعلها بإحاطته، {بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان}[2] ...

فإذا نظرنا بعين الحقيقة، فما خولف فيه أمر، ولا عُصي له قول، ولكنه تدبيره وحكمته، ليكشف عن النور في الظلام من حوله، ويكشف عن الظلام في النور من حوله، كما يكشف عن الطاعة بالمعصية، وعن المعصية بالطاعة للطائع والعاصي يوم يكشف للإنسان عن نفسه، له، فيعلم الإنسان أنه بغيبه، تواجد عنه فيه به، إلى لا إله إلا الله، وأنه بباطنه هو الحق والحقائق، وأنه بظاهره جماع الخلق والخلائق، وأنه قيام من موصوف الطاعة والمعصية، وأنه بالله له فوق الظلام والنور، وقبل الظلام والنور، وبعد الظلام والنور، وسيد الظلام والنور، وأنه فوق الطاعة والمعصية لأنه عبد الله، وحق الله، ووجه الله، وإنسان الله، وإن مثَّل بظاهره أحد الأمرين من الطاعة أو المعصية.

جعل الله أمره في أمر الإنسان، وطلب إلى الإنسان ألا يفرط في أمره لأنه أمر الله، ولكن الإنسان فرق بين أمره وأمر الله له، بزعمه: هذا لي وهذا لله. وما أرادت الفطرة برسالاتها متتابعة من فاطر السماوات والأرض، داعية إلى فاطر السماوات والأرض، إلا أن تجمع ظاهرا من الوجود على باطن من الوجود، إنسانا بدأته على إنسان فطرته، عبدا دعته، وربا ورحمانا أكبرته. فما طلبت إليه وأرادت به بالرسالة والطريق، إلا أن يدخل في حصن لا إله إلا الله، فلا يفرق بين أمر له، وأمر لله، وطلبت إليه أن يرجع أمر الله إلى أمر الله، متوكلا على الله، راضيا الله حسبه، وراضيا الله وكيلا، بإرجاع أمره إلى أمر الأعلى عليه أمرا لله عليه ساهرا، وله راعيا.

طلب الحق إليه أن يرجع إلى الأعلى متخليا عنه ليكونه الأعلى عليه رحمة مهداة له، ليكون هو به في أمره ظلا له يوم يرى فيه أصلا له، فيعرفه أصلا له، به يتواجد، وبه يعمل، وبه يجد حقية العبد لحقية الرب له...

يوم يعرف أن أمره من الأرض.. أن أمره من الظلام.. أن أمره من الأولى.. أن أمره من الدنيا، إنما هو في أمر قلبه، وأن قلبه مضغة لم تتخلق بعد، وأنها ما زالت في حجابها، وكانتها من ذاته لم تولد منها بعد، وأن قائم العقل لقالبه إنما يقوم بالقائم عليه من الله، قائما على كل نفس في كل مولد فطري، في موالدها من الفطرة بقديم كسبها لمعاني الحق قائما عليها، امتدادا بالحياة لتعمل ولتفيق ولتستيقظ أن لها من القائم عليها ما كسبت مما عليه فطرت بفطرتها، وهي تعلم أن أُمما من الأرض خلت بما كسبت،

وخلت منها الأرض ممسوحة أو ممسوخة بما كسبت أو اكتسبت، وأن رحمة الله توهب بمن إليه وهبت من حقائقه بعباده ما كلفت فظهرت.

إن أمة الفطرة، برسول الفطرة، أمة وسطا بين أمم في آزالها خلت منها الأرض، وأمم في آبادها في طريقها إلى الأرض بعد أن استكملت طريقها لآزالها، خُوطبت أن تقوم بين يدي رحمته من الأرض تقلها، ومن السماء تظلها، مؤمنة بحقية الإنسان عبدا ورسولا وربا، الله قائم عليها على ما هي في قيامها، لها من قائمه عليها ما كسبت، فما آمنت فكسبت بإيمانها، (المؤمن مرآة المؤمن)[٣] متوحدة كان لها ما كسبت. وما جحدت فاكتسبت عنونت نكرانها وجحودها، (ويأكل الذئب من الغنم القاصية)[٤]بفرقتها، كان عليها ما اكتسبت. شعارها لا إله إلا الله، ومثلها الأعلى لها في الله محمد رسول الله، نورا لله يقوم ويتقلب في الساجدين، فيجمعها أو تتفرق عنه فتفقدها. به بُدلت الأرض غير الأرض والسماوات، وقد جعله الله في الأرض خليفة، مجددا متجددا. بالظلام والنور في الليل نشأته وفي النهار رسالته.

إذا اكتسبت الجحود فبفعلها وبحكمته، وإذا كسبت الإيمان فبرحمة الله، مُهداة ما استقبلتها، وما تهيأت لفيوضات رحمته برسالته منذرة مبشرة، فاستقبلت حق رحمته بشرها به من قبل على لسان رسله، وعلى ما داناها به لبنة لأول بيت وضع يذكر فيه اسمه، ولبنة لآخر بيت رفع نسبه لحضرة رحمته، تبعتها لبنات تكاثره، مرسلا رحمة للعالمين من لدنه بما أوتى من معرفة وقدس، بدلت إليهما نفسه بذاته رحمة مهداة، ونورا منزلا من الله وَعَد بشرية الأرض بتمامه، يمشي به في الناس بعلمه ورحمته متكاثرا بذاته، وقد أظهره على الدين كله، وعلمه الأسماء كلها، فقام الناس، وجاء الناس بكنوز علمه، وأحواض رحمته في مدائن آلائه، وممالك طلعته، بالحق لحضرته، من لدن غيبه في كنزيته، لاسمه بوجوده لشهادته.

جعلت الفطرة الإيمان بالغيب في الإيمان بالشهادة إيمانا به في الإيمان بالحق معه، وقد جعلته أمة في فرده، وفردا في أمته، فكانت الفتنة في ظهوره بحقيقته. عرفناه إنسانا بقيامه وجلدته، الله من ورائه بإحاطته، عمم بتشريعه وتعريفه بقيامه لعين من كان بين يديه قائما بخلقه، وبنفسه لنفسه، له مستقبلا وعليه مقبلا. {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}[٥]، فجعل من الناس قبلة صلاته، ومسجد صلواته، (زويت له الأرض[٦] وجعلت له مسجدًا وطهورًا[٧])، وهو الذي جعله ربه لأهلها وجه جلاله.. وطلعة جماله.. ويد قدرته.. وعين حكمته.. وأُذن شرعته.. وقدم قربه.. وإنسان وجوده لإنسان تواجده.. وحق قيامه في قائم خلقه، {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة}[٨]، (أُمة مذنبة ورب غفور)[٩]، وقد استقام في أمره على ما أُمر. وقد أُمر أن يخفض لهم جناح الذل رحمة بهم وهو لهم وجه الرحمن الرحيم، وأن يخاطبهم على قدر عقولهم، ويشاورهم في الأمر، ويرفع أقدارهم، ولا يهزأ بأحلام المؤمنين منهم، وهو ذات الحكمة بينهم، وأمر الحكمة عليهم.

رسول الله.. وإنسان الشهادة، مجحودا من آدمية أديمه، ومعروف إنسانية الغيب لإنسانه وملئه، في أحدية ربه لأحديته له، عليه يصلون، وبه يتصلون، ومنه بعينه ينظرون، وبه يدا لهم يفعلون، وبهم وحدانية للواحد الأحد يتواجد فيظهرون، لأحدية الآحاد ينسبون، بأحد من آحاده يخرجون، يوم يتوحد الخلق معه، عنهم فانين، وبه ظلالا له مبعوثين، فتتواجد مشيئة الأشياء من مشيئته، وكينونة الكائنات من كيانه، وإرادة الأمور من إرادته وأمره، يوم تدخله النفوس المطمئنة جنة عود، وقد عادت للوطن بالإنسان في أحسن تقويم، وعرفت (حب الوطن من الإيمان)[١٠]يوم عرفتها في الآدمية في قطيعة فطلبت إلى الله الرجعة والوصلة وإنهاء القطيعة، فتابعت من بُعث بالحق بينهم رسولا من أنفسهم، فيه يدخلون وبه يُبعثون ومنه يخرجون، وبالحق في مطلقه ينطلقون ويتحررون.

هو الحق من لدنه لمن يطلب الحق بإنسان الحق، راجعا إلى الحق بالرجوع إلى إنسانية الرشاد فيه، وإنسانية الرشاد به، {فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا}[١١]، (يحشر المرء مع من أحب)[١٢] ، كلهم له عباد، وكلهم إلى إنسان رحمته، إلى إنسان رسالته، إلى إنسان حقيقته، إلى إنسان قربه، إلى إنسان عبوديته، معية العباد من الحق، ربه ربا لهم معيته، الله من ورائهم ومن ورائه بإحاطته.

عَبَّده لنفسه، ورضيه لنفسه، ورضي من رضيه لنفسه، يوم رضي لنفسه الأعلى وقد رضيه لنفسه رفيقا أعلى، فرأى فيه الحق، ورأى فيه الرب، ورأى فيه السيد، ورأى فيه المعلم، ورأى فيه الخالق، ورأى فيه الموجود، ورأى فيه الموجد، ورأى فيه لنفسه به المتواجد، فرضيه ليكون أصلا وحقا له، ورضي لنفسه أن يكون ظلا له. فقامه من رضيه، وأفناه عنه، يوم رضي أن يُغير وأن يبدل ما في نفسه، فأنكر على قيامه ووصفه، فأخلاها له ليشغلها به، وخلا بينه وبينها ليشغل نفسه بنفسه، فيكون بنفسه عين نفسه، فيمسح في المثل الأعلى لله وقد اتخذه ربه وهواه لحقه ومعناه في منشوده من الله، لمعنى ربه ومولاه، (أأجعل لك كل صلاتي يا رسول الله.. إذن تكفي همك ويُغفر ذنبك [يا عمر])[١٣]، {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما}[١٤]، {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}[١٥].

فما جَعَلت الفطرة الإسلام إلا في الإسلام له، وما جعلت الإيمان إلا في الإيمان به، {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله، وآمنوا برسوله}[١٦]، فيبين لنا الرسول وهو الصادق، (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده ونفسه التي بين جنبيه) [١٧]، (من كان مني كنت منه)[١٨]، (حسين مني وأنا من حسين)[١٩] ، (عليّ مني وأنا من عليّ)[٢٠]، (حسن مني وأنا من حسن)[٢١].

لا تنظروا الدنيا بعيدة عن يد قدرة الله بإنسانه، ولا عن سلطان الله باسمه وكلمته وعنوانه، ولا عن قدرة الله بأسمائه تتعدد، ولا عن فعل الله بصفاته تتوحد، {وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله، والمؤمنون}[٢٢]، فله الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، له ملك السماوات والأرض بقيامه على كل نفس نواة لخلق السماوات والأرض.

وما كائن السماوات والأرض إلا نفس واحدة من آحاد نفوس من مثالها، ففعله وحكمه وقضاؤه وجزاؤه ونعماؤه أمور قائمة في دناه لا آخرة لها إلا منها، في قائمها بأيامها بين الليل والنهار، بين الظلام والنور، بين الغفلة واليقظة، بين الجهل والعلم، بين الكشف والغطاء. وهو أمر نافذ عند كل نفس في أوقاتها وأطوارها وأحوالها، بعيدا عن عينه لأمر غيرها بقيام الله على كل نفس بما كسبت، بما يتناسب معها في أطوارها وأحوالها، وهو معها أينما كانت، بما عليه معه كانت في معاملتها في سبق به فيه تواجدت، (لكل منكم ساعة)[٢٣]، (لكل منكم قيامة)[٢٤]، (من مات فقد قامت قيامته)[٢٥].. فالليل والنهار متداخلان في مفرداتها وكليتها.

إن الوجود ما عرفتم وما جهلتم في قبضة سلطانه.. في دولة حكمته.. في ملك تدبيره.. هو القائم في كل ما قام.. في حضرات عوالمه يدبر الأمر، يفصل الآيات. فما جاء دين الفطرة بعلم خالٍ أو بعيد عن السلطان، أو التدبير له، وما جاء دين الفطرة بتدبير وحكمة بعيدين عن إحاطة العقل لهما بما يصح أن يقبله وأن يدركه، وأن يُحيط به. وليس فيما تشهدون وفيما تتواجدون ما هو بعيد عن ناموس الفطرة، أو خارج عن مراد القيوم على دينها.

فإذا كان شعار دين الفطرة.. دين الإسلام.. دين الحق.. دين العلم، ما نعلم بما نسمع ونتناقل (الإسلام دين ودولة)[٢٦]، فما يكون الدين فيها؟ وما تكون الدولة لها؟، وما الدين فيها إلا العلم بها، وكشف ناموس الفطرة عن قناع قيامها، وأسرار أمرها، وتعريف قيومها لقائمها. وما الدولة فيها إلا تدبير الفطرة لعوالم خلقها في السماوات والأرض، في الغيب والشهادة، بما نعلم وبما لا نعلم، فيما نقوم وفيما لا نقوم، فيما نحصي وفيما لا نحصي، فيما ندرك وفيما لا ندرك، فيما نقدر وفيما لا نقدر، بقوانين الفطرة أو قوانين الطبيعة نعلمها ونجهلها، لكبير عوالمها تشملنا أو لصغير عوالمها نشملها بمعاينا وحقائقنا.

نعم الإسلام دين ودولة.. دولة السيد فيها هو الله، يذكر فيها الله وحده. مالكم إذا ذكر الله وحده تكفرون وتنفرون وإذا ذكر معه مَرِيد منكم تؤمنون وتسجدون؟ مالكم كلما ذكر الله تُجادلون، وباسم الله تهاترون، وعلى الله تفترون، وكلام الله عن مواضعه تحرفون، وكلم الله بمن هو كرسيه وعرشه من عباده عن مواضعهم تزحزحون، وأربابا لكم من دون الله تتخذون، وعباد الشيطان من الطاغوت،

طُغاة يفرضون ربوبيتهم عليكم لتكونوا في خدمة شهواتهم عبادا لهم تقبلون وعليهم تُقبلون، وعباد الرحمن أربابا في خدمتكم بينكم لكم يتوالون، أنتم عنهم غافلون ولهم قالون، وعليهم تنكرون؟

بكلمات الله بينكم تترى تكذبون، والنبيين تقتلون، علماءً منكم منهم تنفرون بما يُعلِّمون، ولهم تجحدون على ما يَعلمون، ما علماؤكم إلا أنبياؤكم على ما كان في أمم خلت، وعلى ما شهدتم في قوم إسرائيل من قبلكم. وها أنتم معهم على ما كانوا معهم، {قتل الإنسان ما أكفره}[٢٧].

فما جاءكم الحق عبدا ليقطع عنكم العلم المكسوب، أو العلم الموهوب بالصلة مع معلميكم، من حقائق آبائكم بالحق بينكم يبعثون، ومنكم يتواجدون أنتم مبانيهم لمعانيهم، وأنتم في الظهور بقوالبكم أوانيهم آزال الإنسان بحقائق الله بهم تدانيكم، {ما ننسخ من آية أو ننسها نأتِ بخير منها أو مثلها}[٢٨].. عبادا للرحمن بينكم يمشون، وهم بكم وبحالكم مشفقون بعد ما فتح لهم رسول الحق أرض الحق وعالم الخلق غازيا، ببعثه بالحق في قائم قيام بينكم، غازيا بنوره رسالةً له قوالب الخلق ليكون لقلوبهم بالحق نورا وروحا. وما كنتم غير شيطانه عليه أُعِين وله بالمسلمين أسلم. فما عرفه غير ربه لأن قلبا منكم مع قلبه ما توحد.

إن القلوب الحية به اسما لله تدانى فتتجدد، وتتجدد فتتعدد، وتتعدد فتتعارف، وتتعارف وتتلاقى، وتتلاقى فتتوادد، وتتراضى فتتحاب، وتتحاب فتتوحد، وتتوحد فتعرف وتُعرِف، يوم هي به تتواجد فتوجد، فيعرف محدث الإنسان ذكرا لله، قديم ذكر الله، إنسانا يدانيه، لا فرق بين الجديد والقديم فيه، يوم يتوحد الذكر في المذكور، ويعرف الذاكر أنه بيت الذكر، ويعرف بيت الذكر أنه بيت المذكور.. وأنه البيت المعمور.. وأنه البيت الموضوع للبيت المرفوع، بيتا لبيت، وإنسانا لإنسان، وحقا لحق، وعنوانا لعنوان، وأمرا لأمر، فيشهد أنه لا إله إلا الله، ويتابع محمدا رسول الله جديدا لمعناه، ويشهده في حقه قديم معناه، وروح مبناه، قائمه وقيومه في لا إله الا الله، يوم يكون في الله بلا إله إلا الله، محمدا رسول الله.

(ما أعطيته فلأمتي)[٢٩]، {فاتبعوني يحببكم الله}[٣٠]، {سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قَدّر فهدى}[٣١]، {أنبتكم من الأرض نباتا}[٣٢]، {وخلقناكم أزواجا}[٣٣]، {أيحسب الإنسان أن يترك سدى}[٣٤]، وما خلق السماوات والأرض إلا أكبر من خلق الناس، لو كان الناس يعلمون كيف خُلِقوا، وكيف تَخَلَّقوا، وكيف بالله تواجدوا، فمنهم قديما لجنسهم وبجنسهم تواجدت السماوات والأرض، وها هي بقائمهم جديدا لقديمهم تتواجد بمعاني الإنسان لهم مرة أخرى، (إن الزمان قد استدار على هيئته كيوم خلق الله السموات والأرض)[٣٥]، يوم بعث محمد الحق بدين الحق، بمولده الفطري على هذه الأرض مولد الحق، لخلق الحق.

بعث بطريق الهدى بتطوره إلى القائم من الوحي رفيقا له عند تكليفه بالبلاغ، يوم بعث الإنسان له بالحق فيه نفسا قامت بالأمان والسلام.. يوم بعث آدم ذاته بإنسان ربه وحقه فيه، هو نفسه بالروح والقيام، فكان إنسان حقيقته لإنسان حقه بخلقيته {وقل جاء الحق}[٣٦]، قل زهق الباطل، قل بعثت بالحق، {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}[٣٧]، به تم البلاغ بعد تعدد وتجدد، ومنه بدأت الطريق على كمال استقامة بعد انحراف واعوجاج، وبعترته واصلت الطريق عملها، والرسالة بيانها وهديها، وما زالت كلما حَرَّف الناس كلام الله عن مواضعه، وكلما اعوجوا بالطريق عن استقامتها.

فما يكون الدين؟ وما يكون يوم الدين للمسلم؟ لا يكون الدين إلا يوم تعرف.. ولا يكون اليقين إلا يوم أنك إليه فيك تتعارف.. ولا تكون النجاة إلا يوم أنك به تشرف، والنفس منك به تتشرف ظلا له، إنه حضرة رحمته، ورسول آلائه ونعمته.

يا أيها الناس.. اقبلوه لكم وسيلة، فتوسلوا به إلى الرحمن الرحيم، رسول رحمته، ويد خلاصه ونجدته، يوم تتابعونه فله تسلمون، ومعه تسيرون، وصحابة له تقومون، يوم تعرفونه معيتكم من الله، أمة له وركبا به تتجمعون فينزع الحقد من صدوركم، والغل من نفوسكم، وتبدل لكم الأرض لقلوبكم فتشهدون لمن خاف مقام ربه جنتان، جنة الاجتماع.. جنة الاتباع.. جنة الطاعة والانصياع.. جنة الضراعة والارتجاع.. جنة الوسيلة والاستماع.. جنة الخلاص والانتفاع.. سفينة الرجوع، وطريق يسوع، (مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك)[٣٨]، (تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي)[٣٩]، أوادم تجديدكم بجديده، وسفن ركبكم وخلاصكم، بحكمته ورشيده. (ولا مهدي إلا عيسى)[٤٠].

يا أيها الناس.. لِمَ تختارون الهلاك وترفضون النجاة؟ ضرب ابن مريم مثلا لسفن النجاة له بعترته، فإذا قومه عنها يصدون، {الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم}[٤١] ...

رسول يتلو كتابه على مكث، يقوم ويتقلب في الساجدين ظلالا له. بهم يدعو إلى الله على بصيرة في ركب من عباد، هو لهم أول العابدين، سبق أن أنزل بالحق قديما، وهو بمحدثه بالحق نزل، وبالحق في دوام ينزل، {ما ننسخ من آية أو ننسها نأتِ بخير منها أو مثلها}[٤٢]. فلِمَ تحرفون كَلِم الله عن مواضعه؟ أقال لكم خاتم النبيين لتحرموا البشرية النبوة؟ ألم يقل لكم (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[٤٣]؟ ألم يجعل منه ومن عَلِيّ معه معنى لموسى وهارون؟ ألم يقل لكم البشير به من قبله آية كلمته عيسى ابن مريم، (رسول الله الذي يأتي من بعدي، هو الذي يبقى معكم إلى يوم القيامة، فذاك روح القدس)[٤٤]؟ ألم يقل لكم رسول الله (أنا روح القدس)[٤٥]؟ ألم يقل لكم (الخير فيَّ وفي أُمتي إلى يوم القيامة)[٤٦]؟ ألم

يقل لكم (لا تزال طائفة من أُمتي قائمون على الدين ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك حتى تقوم الساعة)[٤٧]؟

فلِمَ تغيبون النبوة، والنبي يمشي على قدميه بينكم في دوام؟ وقد رَفع ربه مقام النبوة به إلى مقام العبد له، فكشف القناع بين العبد وربه، فإذا تحدث العبد على بصيرة من الرب، كان حديثه النبأ، وكانت في صحابته النبوة، وكان في قيامه قيوم الحق على الخلق، {وقل جاء الحق}[٤٨]، {الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب}[٤٩]، ولم يجعل لعبده عوجا، ولم يجعله مسودا، وجعله قيما، وجعل دينه دين القيمة، فكانت النبوة في اتباعه، وكانت الطريق في اتباعه واستماعه بصحبه وأشياعه.

{ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا}[٥٠]، ما آمن الناس بدين القيمة، وما تابع الناس من أقام الله عليهم من عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، ما أقام الناس دين الفطرة على أنفسهم بالإسلام للقيمة ممن أقام الله فقام دين الله، فقامت شريعة الله، فقام الحق من الله، فتواجدت أحواض الله، ورفعت أعلام لا إله إلا الله، ومُدت موائد المساكين فيها طعام الله.. موائد الله بعلم الله.. برحمة الله.. بدين الله.. بفضل الله.. بآلاء الله.. بكرم الله.. لا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله. ما قامت جماعة بذلك إلا كانت لهم العزة والكرامة، والنصرة والغلبة، {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر} وتؤمن بالله[٥١]، {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم}[٥٢].

لا تجادلوا في الله بغير علم، وبغير هدى، وبغير كتاب منير. لا تكونوا كالذين يجادلون في الله بغير علم، ويتبعون كل شيطان مريد، لا يفرقون بين أهل الحق وأهل الباطل لأنهم لا يعرفون ما يكون الحق، وما يكون الباطل، وهم يجادلون في الله، ويرددون اسم الله، ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون. لا تقولوا مقالة آبائكم من قبل: إنا وجدنا آباءنا على أُمة وإنا على آثارهم مقتفون. سبحان الله وتعالى عما يصفون، وتعالى الله عما يشركون، وتنزه الله عما يعبدون.

لا إله إلا اللـه محمد رسول اللـه

اللهم يا من كنت في أمرك لأمرك بأمرك في كل أمر لك، ولا أمر لنا معك.. اللهم اجعل أمرنا لنا منك من أمرك في أمر رحمتك، من أمر رحمتك في رحمتك بنا.

اللهم ألحقنا برسول رحمتك.. اللهم أسعفنا بيد نجدتك.. اللهم شرفنا فيه بوجه طلعتك.. اللهم أدخلنا فيه في دار جنتك.. اللهم حققنا به في قدس حضرتك.

اللهم خذنا منا، ولا تجعل لنا فينا شيئا من فعلنا، ومن إقامة عدلك فعافنا، وبعفوك ورحمتك فعاملنا، وولِ اللهم أمورنا خيارنا برحمتك، ولا تولِ أمورنا شرارنا بعملنا، بإقامة عدلك، وقنا شر غضبتك.

اللهم عافنا واعفُ عنا، حكاما ومحكومين، وتب علينا واغفر لنا، حكاما ومحكومين، ولأنفسنا لا تكلنا، حكاما ومحكومين، وسدد اللهم خطانا، ووفقنا في معنانا لمعناك، حكاما ومحكومين، مجاهدين ومتابعين، يقظين وغافلين، بحكمتك يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين ارحمنا، يا أرحم الراحمين ارحمنا، يا أرحم الراحمين ارحمنا.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ - سورة عبس – ٤٠، ٤١

٢ سورة الحجرات -١١

٣ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفُّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه.". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني

٤ حديث شريف: "ما من ثلاثةٍ في قريةٍ ولا بَدْو لا تُقَام فيهِم الصلاةُ إلا قد استحوذَ عليهم الشيطانُ، عليكَ بالجماعةِ فإنّما يأكلُ الذئبُ من الغنمَ القاصيةَ". أخرجه أبو داود، والنسائي، وأحمد باختلاف يسير.

٥ سورة النحل - ١٢٨

٦ من حديث شريف: "إنَّ اللهَ زوَى لي الأرضَ فرأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها فإنَّ أمَّتي سيبلُغُ مُلْكُها ما زوَى لي منها وأُعطِيتُ الكَنزَيْنِ: الأحمرَ والأبيضَ... أخرجه مسلم في صحيحه.

٧ الحديث الشريف: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: أرسلت إلى الأبيض والأسود والأحمر، وجعلت الأرض لي مسجدا وطهورا، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت جوامع الكلم.) (العسكري في الأمثال - عن علي).

٨ سورة القيامة ٢٢-٢٣

٩ حديث شريف: "دَخَلْتُ الجنةَ فرَأَيْتُ في عارِضَتَيِ الجنةِ مكتوبًا ثلاثةُ أَسْطُرٍ بالذهبِ – لا بماءِ الذهبِ: السَّطْرُ الأولُ: لا إله إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ. والسَّطْرُ الثاني: ما قَدَّمْنا وَجَدْنا، وما أَكَلْنا رَبِحْنا، وما خَلَّفْنَا خَسِرْنا. والسَّطْرُ الثالثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ ورَبٌّ غَفُورٌ". أخرجه الرافعي في تاريخه (٣/ ٩١) ، الإمام أبو القاسم في تاريخ قزوين، وابن النجار في تاريخ بغداد عن أنس ابن مالك. ويعتبره المحدثون ضعيف الإسناد.

١٠ قول مأثور.

١١ سورة النساء - ٦٩

١٢ من الحديث الشريف "المرء مع من أحب". أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود وأحمد.

١٣ حديث شريف عن الصحابي أبي ابن كعب: "أجعلُ لك صلاتي كلها يا رسول الله؟ قال: إذا تُكفى همك، ويُغفر لك ذنبك." رواه الترمذي وأحمد. (عبارة "يا عمر" يذكرها السيد رافع مع هذا الحديث الشريف في النسخة الأصلية)، ولكن نذكر هنا الحديث الشريف الموثق.

١٤ سورة النساء - ٦٥

١٥ سورة الأحزاب - ٦

١٦ سورة الحديد - ٢٨

١٧ إشارة إلى الحديث الشريف: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلا نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ الآنَ، وَاللَّهِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الآنَ يَا عُمَرُ." صحيح البخاري. "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين. "متفق عليه.

١٨ حديث شريف يوافق معنى جاء في عدد من أحاديث أخرى منها: "إن عليا مني وأنا منه." رواه الترمذي والنسائي في السنن الكبرى. و" حسين مني وأنا منه". أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد باختلاف يسير. أيضا: في حق جليبيب لما استشهد بعد قتله سبعة من المشركين، فقال صلى الله عليه وسلم: "هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه." رواه مسلم.

١٩ حديث شريف: "حُسينٌ مِنّي، وأنا منه، أحبَّ اللهُ مَن أحبَّ حُسينًا، الحسَنُ والحسينُ مِن الأسباطِ". أخرجه الترمذي وابن ماجه، وأحمد باختلاف يسير.

٢٠ حديث شريف: قال صلى الله عليه وسلم: "إن عليا مني وأنا منه." رواه الترمذي والنسائي.

٢١ حديث شريف: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "حسنٌ مني وأنا منه أحب الله من أحب الحسن، الحسن والحسين سبطان من الأسباط ". رواه الطبري.

٢٢ سورة التوبة - ١٠٥

٢٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٢٤ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٢٥ حديث شريف: "إذا مات أحدُكم، فقد قامتْ قيامتُه، فاعبدوا اللهَ كأنكم ترَوْنَه، واستغفِروه كُلَّ ساعةٍ". أخرجه الديلمي في الفردوس، ورواه العسكري في الأمثال.

٢٦ عبارة استخدمها ويستخدمها معظم علماء الفقه الإسلامي. ويستخدمها السيد رافع بمنظور خاص واضح في شرحه لها.

٢٧ سورة عبس - ١٧

٢٨ سورة البقرة - ١٠٦

٢٩ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٣٠ سورة آل عمران - ٣١.

٣١ سورة الأعلى - ١:٣

٣٢ سورة نوح - ١٧

٣٣ سورة النبأ - ٨.

٣٤ سورة القيامة - ٣٦

٣٥ حديث شريف: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض." أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود.

٣٦ سورة سبأ - ٤٩

٣٧ سورة الأنبياء - ١٠٧

٣٨ حديث شريف: "مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق." أخرجه الحاكم في المستدرك.

٣٩ إشارة إلى حديثين شريفين: "إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض". أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. و"إني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما". جاء في سنن الترمذي:

٤٠ حديث شريف رواه ابن ماجه.

٤١ سورة محمد – ١، ٢

٤٢ سورة البقرة - ١٠٦

٤٣ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داوود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داوود والحاكم.

٤٤ استلهاما من الآيات: "وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ" (إنجيل يوحنا ١٤:١٦-١٨).

٤٥ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٤٦ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

٤٧ من الحديث الشريف: "لا تزالُ طائفةٌ من أمَّتي على الدِّينِ ظاهرينَ، لعدوِّهم قاهرينَ، لا يضرُّهم مَن خالفَهُم، إلَّا ما أصابَهُم مِن لأواءَ حتَّى يأتيَهُم أمرُ اللَّهِ وَهُم كذلِكَ. قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، وأينَ هُم؟ قالَ: ببيتِ المقدسِ وأكنافِ بيتِ المقدسِ". أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة. وعبارة "حتى تقوم الساعة"، من الحديث الشريف: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة." أخرجه الحاكم.

٤٨ سورة سبأ - ٤٩

٤٩ سورة الكهف- ١

٥٠ سورة النساء -١٤١

٥١ سورة آل عمران - ١٠٤

٥٢ سورة الفتح - ٢٩

(٦)

الناس في خدمة الطاغوت
إلا من رحم
وعباد الرحمن في خدمة الناسوت
عند من عَلِم

حديث الجمعة

١٥ ربيع الأول ١٣٨٤ هـ - ٢٤ يوليو ١٩٦٤ م

بسم الله الوجود السرمد.. بسم الله الواحد الأحد.. بسم الله الفرد الصمد.. بسم الله الغيب الأزل.. بسم الله الظاهر الأبد.

بسم الله ليس كمثله أحد.. بسم الله الموجود بلا حد.. بسم الله باطن الإنسان بلا حصر ولا عد.

بسم الله لا شريك له.. بسم الله لا غيبة له.. بسم الله لا قصور فيه.. بسم الله أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

بسم الله موجودا.. وبسم الله متواجدا.. وبسم الله وجودا.. وبسم الله متكنزا متعاليا، وبسم الله رحيما متواضعا مدانيا.

بسم الله بلا إله إلا الله.. وبسم الله بالله أكبر.. وبسم الله قائما على كل نفس بما كسبت.. وبسم الله من وراء كل نفس بإحاطته.. وباسم الله مع كل نفس أينما وجدت.

بسم الله معبودا عند عبده.. وبسم الله عابدا عند معبوده.. بسم الله شاهدا قيوما.. وبسم الله قائما مشهودا.. بسم الله وجودا.. وبسم الله شهودا.. وبسم الله كتابا مبينا.. وبسم الله معنى جامعا.. وبسم الله عِلما وعَلما.. وبسم الله عالِما.. وبسم الله معلوما.

بسم الله نعوذ بالله، ونقوم بالله، ونتوكل على الله، نؤمن به هو حسبنا ونعم الوكيل، لنراه حسبنا ونعم الوكيل، نراه بنا من قيامه حسبنا ونعم الوكيل. فنعم الله، ونعم عبد الله.. نعم الله، ونعم قرب الله، ونعم مقاربة الله لله منه إليه، وإلى الله تصير الأمور.

طلب الإنسان أن يعرف الله، وعمل ليتعارف إلى الله قديما وأزلا، وسيبقى كذلك قائما وأبدا، فمتى الله له؟ متى الله له ممن لا متى له؟ أين الله له ممن لا أين له؟ كيف الله له ممن لا كيف له؟ لقد جاءه الحق، يوم جاءه عبد الحق حقا، يوم جاء من جعل العبد حقا، ومن عرف وقام الرب عبدا.

إن ربي لعلى صراط مستقيم، عرف ربه على صراط مستقيم، عرفه صاحب صراط مستقيم.. عرفه مستقيما مع من يجب معه أن يستقيم، وما كان من يجب معه أن يستقيم غيره. استقام ربه مع نفسه العليا والأعلى، وأدبه أن يستقيم مع نفسه للأعلى ليقوم مستقيما مع نفسه الدنيا والأدنى، تخلقا بخلقه معه والأعلى. عرف ربه صراطا مستقيما، أقامه عليه من يقيمه على صراط مستقيم، رفيقا أعلى لهما ليسا هما غيره، عرفهما نفسا لمن خلق فسوى، فعرفه للقيوم عليه خليلا وحبيبا بقائمه به، لقيامه فيه لقيومه منه على قائم نفسه هي له بالناس نورا ينتشر، وروحا بهم يقوم ويدكر.

إن ربي الله.. إن الذي هو على صراط مستقيم خرج من حجاب الجهل إلى نور العلم، وخرج من النشدان إلى المنشود، وخرج من الطلب إلى المطلوب، فخرج من العابد إلى المعبود، وخرج من العبد إلى الرب، وخرج من الخلق إلى الخالق.. به جاء الحق، ورفعت الحجب، وزهق الباطل.

فأي حق بعد ذلك ينشد وقد جاء الحق؟ وأي باطل بعد ذلك يخشى وقد أزهق الباطل؟ وأي صراط مستقيم بعد ذلك يطلب وقد قال له من كان على الصراط المستقيم، وعين الصراط المستقيم {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[1]؟ به أسفر الصراط المستقيم، وبكشف الغطاء عنه له ظهر لنا بيننا العليم، وقام علينا العالم، وانكشف لكل عالم المعلوم، بعليم، عُلِم ويُعلَم، بعلم وشهادة ويقين، {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم}[2]رسالة أبدية (تقوم وتتقلب في الساجدين)[3].

ففيمَ الإنباء بعد ذلك وقد جاء النبأ؟ وفيم الإخبار وقد جاء الخبر؟ وفيم المعبود وقد ظهر العابد؟ وفيم البعث وقد بُعث رباني العبد؟ وبالحق قياما قائما قيوما بُعث، فعرَّف الإله، وقام وأقام العبد، والرب والإله حقا صفاتٍ للوجود، حقا وصدقا يوم يتواجد الإنسان بالإنسان.

كشف الغطاء عن حقيقة الكون والكائنات.. رفع البرقع عن الوجود فإذا هو المُوجِد.. عَلَّم بما علم، فإذا العالم هو المعلوم، وإذا القائم هو القيوم، وإذا العابد هو المعبود، وإذا الإنسان كلمة الله ووجه الشهود، عند شاهد ومشهود، بوجوه ناضرة لوجه لربها ناظرة.. نور السماوات والأرض قبضة من

قبضات اللانهائي من نور ذاته. منها خلق الله أرواح الكائنات. وبها يمتد من كانها رسولا منه نورا على نور، وحياة من حياة في الساجدين لله عبادا له، وظلالا لعبده ورسوله.

يا أيها الكافرون.. لا أعبد فيما أعبد اليوم ما تعبدون، لا.. ولن أعبد ما تعبدون، فلن أفارق ما أعبد، وأنتم بيومكم لا تعبدون ما أعبد، ولن تعبدوا في غد لكم ما أعبد، فلن تفارقوا ما تعبدون. لقد مسحت على مكانتي، ومسختم على مكانتكم، فريق وفريق، كل حزب بما لديهم فرحون، لكم دينكم ولى دين.

إن تتبعون إلا الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئا. وإن أتبع إلا اليقين.. إني لا أتابع إلا شهودي، بوجودي، لموجودي، لموجدي أقرب إليّ من حبل الوريد، كشف عني غطائي، فحد بصري، وقام ببصيرتي، وانعكس مني فيَّ إليَّ، فإذاني من أنشد، فإذاني من أحب ومن أعبد.

عرفت قبلتي، ورضيت على يقين وجهتي، وحملت في قدس الوجود أمانتي، وآثرت على نفسي، وبذلت بعيني، تتكاثر بعيني، وتتواجد لعيني فيمن ليسوا هم عيني، فإذا هم عيني، وإذا هم وجودي ونفسي، وشهودي وحسي. فأنا موجود موجدي لمن يتواجدني في قائم الفطرة لقوانين الفطرة...

ومتواجدي لهم من موجِدي، ما كان لي من موجودي به، فرد هو أمة، هي أناي، وهي قيامي ومعناي، وأنا لها أناها، سيدها وخادمها ومولاها، وهي لي كل ما لي، فيمن هو لي وأنا له.. وأنا لها كل ما لها فيمن هي له وهو لها.

أكرمني فسواني وجعل عنوانه في عنواني، وإنسانه بمعنى عين إنساني، بإنساني يُشهد على ما في أزل شهد، وفى أبد يشهد، وبتعددي يتعدد على ما تواجد فوجد في موجوده أزلا ليس كمثله أحد، وبكوثري يملأ فراغ الوجود له بالوجود منه. خلق السماوات والأرض بأيدي له، أنا لها عنوان، وأنا لها بيان، وأنا لها منها بمعناها الإنسان.

ما عرفني غيره، وما شهدني غيره، وما قامني إلا معناه، وما قامه إلا من قامني، أنا الحق منه، وأنا الخلق له، باركني وبارك بي، وجعلني أحواض بركته، وبحار رحمته، وجديد ذكره لقديم ذكره، في قائم ذكري ذكرا جديدا لذكر قديم، في دورتي بدائم رسالتي، بقائم مستديمي، كتاب علمه ولسان بيانه ويد رحمته.

رسول الله.. عبد الله.. حق الله.. وجه الله.. يد الله.. نور الله.. قدس الله.. روح الله.. ظاهر الله.. باطن الله.. قدس الإنسان.. خلق الإنسان.. رحمان الإنسان.. رحيم الإنسان.. رحمة الإنسان.

ما ظهر الله وهو الظاهر في كل شيء، مثل ظهوره بالإنسان. وها هو قد جعل من إنساني عنوان إنسانه، فجعل مني إنسان عبوديته لإنسان ربوبيتي أنا عبده، وعبده من قام فيَّ، وعبده من عَبَّده بي،

وعبده من فتح قلبه لوجودي، ولأنوار شهودي، ولأحواض كرمي وجودي. ولا أحواض لي، ولا شهود لي، ولا كرم لي، إنما (أنا قاسم من القاسم وهو المعطي)[٤]، هو الذي عليكم يمن، وبرحمته عليكم لا يضن، وأنا يده إليكم تمتد بنفقته، كلكم إليه الفقير، وهو وحده الغني الحميد.

حقا إنك على خلق عظيم، وحقا رضي الله للبشرية الإسلام دينا، وحقا ظهر الله بظهور عبد الله، وقام الله بقيام رسول الله، ففِيمَ يكون الإنباء والنبوة؟ وليس الخبر كالعيان وقد قام ودب بقديمه على الأرض الإنسان، جاءها فقدَر فيها أقواتها في يومين، من يوم للدنيا ومن يوم للدين، جمعهم في يوم من أيام الله، به سقطت الحواجز بين الدنيا والآخرة، بين الأحياء من الأرواح والموتى من الأشباح.

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء[٥]

(الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)[٦]، (عش في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من الموتى [تكن مؤمنا])[٧]، {فاقتلوا أنفسكم.. فتاب عليكم}[٨]، {الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه}[٩].. (موتوا قبل أن تموتوا)[١٠]، فمن مات قبل أن يموت فقد زحزح عن النار، وأُدخل الجنة، وفاز بالمعرفة.

لا جنة إلا جنان العلم، وجنان المعرفة، وجنان الوعي، علم اليقين، كشف الغطاء عن الظنين حتى يذهب ظنه ويقوم علمه، فيراه علمه، ويرى علمه أناه، ويرى الله في أناه عين معناه، وجها لله بعث، وباطلا في الغفلة أزهق، وروحا بالحق قام في أمن مع الله وأمان، في سلم مع الله وسلام.

إن الإنسان لربه لكنود بطبيعة خلقته، وهو بالحق قائم في قديم نشأته. أما هو بأشباحه في دور السكنى من عوالم الكواكب بأعلام للأرواح في الأشباح فهو في دور للتكوين والخلق والتطوير، لا أمان لأهلها إلا بالتخلق بأخلاق الله في التخلق بأخلاق عباده رسلا من أنفسهم، نعيمها اختبار، وضنكها ابتلاء واضطرار، وعجزها تعريف وتعليم بالخالق وإكبار.

يا أيها الانسان.. ألا تنظر مِمَ خُلقت؟ ألا تقدر أن الذي خلقك على ما عرفت، وأوجدك على ما شرفت، ينتظرك منه خلق، وخلق، وخلق؟ خلقكم أطوارا.. خلقكم في وجودكم هذا من سلالة من طين، ويخلقكم من وجودكم هذا من أرواحكم، لقلوبكم، عوالم في أكنانها، خلقا من بعد خلق، في سلالة من روح، يطول بنا إسناد عنعنة لكم إلى وجود له، هي ذات قدسه، وظاهر حقه، لغيب عظمته، {كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك، ذو الجلال والإكرام}[١١].

وما وجهه الباقي إلا موجودكم يوم أن لا تفرطوا في أمره أمركم، {يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك}[١٢].

إنه أعطاك خلقك وهداك إليه معك أينما كنت عطاءً غير مجذوذ، فهو الذي {أعطى كل شيء خلقه ثم هدى}[١٣]، أكبرك، وأعطاك معاني الحق له، والاسم له، لتتواجد في وجودك، بوجودك، من تواجدك، لا مِنَّة عليك من أحد ولا له.

فلِمَ تمنُّ عليه وهو الذي أعطاك نفسك لنفسه؟ وهو الذي هداك بلا مِنَّة منه، وأنت بلسان حالك تَمُنّ بركعات، أو بتسبيحات، أو بخطوات، أو بدريهمات مما رزقك ومما مكنك، ولله المِنَّة يوم تتغاير معه، فتفنى عنه إلى معدوم لمعنى أناك.

إنك تمُّن عليه بألفاظك وأحوالك، وهو الذي منّ عليك بأنفاسك تتردد بين جنبيك باسمه وذكره، بقائمه وقيومه وأمره، فيها الحياة لك باسم الحي لوصفك، والحياة بها إليك تتضاعف من القيوم بالحياة عليك لطيفا يحويك ووجها لذاته يبديك، يصبر عليك حتى تعي، ويتابعك في غفلتك راعيا حتى ترجع، ويسبقك إلى هاويتك لتتلقفك يده حتى لا تفنى، ثم يردك إلى أحضانه حتى تسعد وبالحياة تغنى. هو الذي {يمسك السماوات والأرض أن تزولا}[١٤].

وهو الغني عن العالمين، لا يرى السعادة له إلا في سعادتك، ولا يرى الوجود له إلا في وجودك، ولا يرى الظهور له إلا في ظهورك، ولا يرى الاعتراف به إلا في اعترافك، ولا يراه معروفا حتى تعرفه، ولا تعرفه حتى تشرفه، ولا تَشرفه حتى تعلمه، ولا تعلمه حتى تتقيه، ولا تتقيه حتى تتابع رسوله منه إليك فيك فيه.

يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا استمعوه لاهية قلوبهم.. يا حسرة على العباد ما يأتيهم من ذكر محدث إلا استمعوه وهم يلعبون. وقد خَلق كل شيء من أجلهم، ولكنهم بالشيء يُشغَلون، وله يعبدون وما يدركون لما هم فاعلين، وبمجادلة كسبه يتعبون ويجهدون وهو لهم على ما كتب لهم لا يزيدون، وهو لهم على ما يريدون يوم أنهم أنفسهم لربهم مشهودا منهم، يُعبِّدون، وما خُلقوا إلا لربهم، أنفسهم له يعبدون ويهيئون. ولكنهم عن خلقهم ساهون، وبأمرهم أمرًا له يعبثون، وإليه بين جوانحهم ملكوته لا يرجعون، ومشكاة صدورهم لا ينيرون، وسُرج قلوبهم لا يُشعلون.

ليس الدين أو العلم كلاما بألسنتكم تلوكون، ولكن الدين والعلم حق فيكم يقوم، ولكم يشهد يوم أنكم إلى أنفسكم ترجعون، ولله تطلبون.

{ارجع البصر كرتين، ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير}[١٥]، {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}[١٦]. إن أرقى علوم الإنسان هو علم الإنسان عن نفسه، وأفضل مكاسب الإنسان هو كسب الإنسان للإنسان لنفسه.

إن قلوبكم اتسعت للحقائق لا تتسع لها عوالمكم. إن لله بكم طرائق بعدد أنفاسكم خلائق. وهو القائم على كل نفس بما كسبت، فهو المتواجد على ما تتواجدون.

فلمَ تتبعون كل ناعق؟ وتتعشقون كل فاسق؟ وترضون كل يائس؟ وتستعينون بكل عاجز؟ والله ورسوله بقدميهما من الإنسان على أزلي قديمهما على الأرض يدبون؟ (أخفى الله الولي في الخلق)[١٧] {عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما}[١٨]، (رُبَ أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره)[١٩]، (ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان)[٢٠]، (الظاهر مرآة الباطن)[٢١] من أمر الحق والحقيقة. إن عالم البشرية على ضآلته وضآلة شأنه يتميز بأنه صورة معبرة عن العالم الأكبر للإنسان.

بالحق عبدا جاء الحق ربا، وجاء الرب حقا، إذ يظهر الحق ببعث الخلق بالحق دائما وأبدا. {سنريهم آياتنا في الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق}[٢٢] فلن يجيئهم جديد من حق، وقد جاء الحق بقديم من حق في جديد من خلق بعث بالحق. ولكنه سوف يتبين لهم الحق، ينكرونه، قائما يجحدونه، {وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون}[٢٣]، (أول من تنشق عنه الأرض أنا)[٢٤]، (أنا حي في قبري)[٢٥]، هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[٢٦]، {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}[٢٧].

جاء رسول الله مُصَدِقا لما بين يديه. بُعِث ليتمم مكارم الأخلاق لا يفرق بين أحد من رسله، وطلب إلينا أن نكون له ومعه على دينه، لنكون لربه على ما هو له، ليكون ربه ربا لنا، وليكون على ما قامه قياما لنا قائم الله لنا، يوم يُكشف عنا غطاؤنا، ويحتد بصرنا، وتحيا أفئدتنا، وتعلم قلوبنا، وتشرق بنور الله وجوها له أعلامنا، عبادا لله.. ما أجمله! ما أكرمه! ما أرحمه! ما أحلمه! ما أصبره! ما أقومه! ما أقربه...

عبادا لله، وأعلاما له، شعارهم لا إله إلا الله، وقيامهم محمد رسول الله، أولئك هم المسلمون، يوم نتواصى بالحق ونتواصى بالصبر مسلمين، ويوم تصادفنا رحمته مؤمنين، ويوم يقومنا نوره عالمين، ويوم تتحرر فينا روحه منتشرين منطلقين، ويوم نتقدس فيه بأرواحنا ذواتنا ذاتا له مباركين حول ذات لعين ذاته وجها للأعلى، للصلاة مستقبلين. ذلكم هو الدين.

ويوم تقومونه كذلك فذاك يوم الدين، ويوم يقومكم بذلك فهذه قيامة الله للعارفين، ويوم ترونكم مغفورين، مكرمين، مأجورين، قاربكم فصرتم مقربين، وآواكم فكنتم اليتامى الواصلين، فتبناكم فيه كلمات له لله مُعبَّدين، وعبادا مكرمين، فرأيتموكم المغفورين...

فذلك يوم الحساب يوم يقوم في النفس للنفس معنى الحساب لمن طلبوا الحساب، وهم في حجاب الحياة، بالحياة، لحياة العمل والجزاء والحساب، فأحياهم الحي القيوم بالحياة، فعلمت نفوسهم ما قدمت وأخرت.

(من نوقش الحساب فقد هَلَك)[٢٨]، يوم هلك هالك بحساب، اللهم إلا حساب النفس، كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبكم أنفسكم.

أما محاسبة الله، فتعالى الله.. إنه لا يحاسب أحدا، ولكنه يمهل المحاسبين أنفسهم حتى لا تهلكهم أنفسهم، وينظر من حاسبتهم أنفسهم لأجل مسمى، {ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة}[٢٩].

يتكلمون عن الحساب.. وعن العقاب.. وعن القيامة.. وعن الحي القيوم.. وعن البعث.. وعن النشر.. وعن الحشر، ولا عِلم لهم من دين، ولا يقين لهم من علم، {ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد}[٣٠]، يخلطون بين الشيطان والرحمن، ويخلطون بين المراد والمريد، تعالى الله عما يصفون. {ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير}[٣١] .

وهم في كل يوم في لبس من خلق جديد، كرة وكرة، بين ضيق ومسرة في حيواتهم وفى لمحاتهم لعلهم يجأرون، ولعلهم يشكرون، فلا هم من النار يجأرون، ولا هم لأمر الله يصبرون، ولا هم لنعمة الله يحمدون أو يشكرون.

يا حسرة على العباد.. كيف هم بالله يهزأون! وبوهم التقوى له يتحدثون! وبدعوى العلم به يتخبطون! وما قام الدين إلا على علم ويقين، وما كان للدين قيام في ظنين، إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا.

تعالى الله عما يشركون، وتنزه الله عما يعبدون، والله أكبر عما يعلمون، وعما يقومون، له الأمر، وله الملك، وله الحمد، حين تمسون ففي ظلام أنفسكم تدخلون وتسكنون، وحين تُصبحون فتتفتح أبصاركم لنور الحياة، ونور العمل، لطيفا فيه تقومون، وله تجحدون، وعليه تنكرون، وأنتم بأنفاسكم تحصى عليكم معه تتعاملون، وبها أقلام قدرته صحائفكم فيه تكتبون.

اذكروا الله في أنفسكم مع معلميكم امتداد نور الله برسول الله فيهم وفيكم بالغدو والآصال، ولا تكونوا من الغافلين، تفلحون.

مالكم كيف تحكمون! والحق أبلج على ما تشهدون، لا إله إلا الله حصنكم وشعاركم، فِلِمَ لا تدخلون؟ ومحمد رسول الله قيامكم، فِلِمَ لا تجددون؟ واسم الله لكم أملكم، فِلِمَ للبعث به لا تعملون، وأنفسكم تجاهدون؟

ليس الشأن أن تعرفوا اسما لله أعظم من اسم، فله الأسماء الحسنى وزيادة مع الذين أحسنوا، ولكن الشأن أنكم اسما لله تقومون، قامه بينكم القائمون، طبقة بعد طبقة، وجيلا بعد جيل، وقوما بعد قوم، وإمامة بعد إمامة، وأعلام علم بعد أعلام علم، عبادا بعد عباد كلمات لله، وعبادا له حقائق قدسه، أصحابهم العلماء والأنبياء، وأحبابهم الأتقياء والأولياء، فما عرفتم، وما أدركتم، وما اعترفتم، وما شرفتم، وما تمسكتم، وما تواصيتم، وما استيقظتم، وما أسفتم أو ندمتم...

ولكن أحياءً بينكم باعدتم، ومقابر أقمتم وشهدتم ووليتم، لتراب اللاهوت أنفسكم له عبدتم، واللاهوت قام في مولدكم بالحياة، واللاهوت بمثله بينكم مبعوث سفن النجاة، قائم بالأئمة والهداة، واللاهوت على ما علَّمكم يقوم، لا ينقطع له بينكم وجوه بقيام، ولا يغيب له بينكم مثال بمقام، وما انقطع وما غاب له بينكم يد بفعل ولسان ببيان.

هذه هي تعاليم الإسلام جاءت بها جميع الأديان دائم رسالته على فطرته. وهذا ما جاء به أمر السلام ليتمم مكارم الأخلاق، محمد رسول الله جددها به قياما ودواما له الذين معه، سواء من كان منهم أشداء على الكفار، أو رحماء بينهم.

الذين آمنوا بما أُنزل على محمد وهو الحق من ربهم، كفر عنهم سيئاتهم ووضعَ عنهم أوزارهم، وأصلح بالهم. الخير فيه وفى أمته إلى أن تقوم الساعة مرة أخرى بانشقاق الأرض عنه، ولا تزال طائفة من أمته قائمون على الحق، لا يضرهم من خالفهم، إلى أن تقوم الساعة به مبعوثا بالمحمود عندهم بدءا آخر.

فِلِمَ تغيبون الرسول يا من آمنتم بالرسول مثلا أعلى لكم بالحق بينكم؟ ولِمَ تغيبون الحق عن أنفسكم يا من آمنتم بالحق بالحياة لأنفسكم؟ ولِمَ تغيبون القيامة أنتم فيها قيام بقائمه على كل نفس؟ ولِمَ تغيبون الندامة أنتم في دارها ويومها؟ ولِمَ لا تتخلصون من النار يحيط بكم سرادقها بما يحيط بأرضكم مما كشف العلم لكم عن أفق التأين الحراري على كثب من رؤوسكم، وأنتم تحت سلطان شمسها وزمهريرها بأشباحكم؟ ولِمَ لا تشعلون جذوة الحياة في نفوسكم خامدة بما تعشقون من أوزار أنفسكم، تحبون المال حبا جما، وتأكلون التراث أكلا لما؟

لِمَ تحرصون على موقوتكم وتغفلون عن خالدكم؟ وما كان موقوت قيامكم إلا وسيلتكم لإصلاح وتقويم خالد قيامكم، تزرعون في أرضكم من قلوبكم قائمة، وتحشرون في عالمكم بأنفسكم قائم، يتكشف لكم فيكم

ما تزرعون وما تكسبون في قادم، على ما تشهدون بحاضركم كشفا لماضٍ لكم أنتم قائم بعثه. (كل ميسر لما خلق له)[٣٢].

فلِمَ لا تتزودون في أولاكم لآخرتكم بيومكم لغدكم؟ وخير الزاد التقوى.. وخير التقوى المعرفة.. وخير المعرفة العمل بما علم.. وخير العمل الاستقامة.. وخير الاستقامة الصفاء والسكينة والطمأنينة.. وخير الطمأنينة اليقين.. وخير اليقين الشهود.. وخير الشهود القيام بالمشهود بالدخول في الموجود بحصن لا إله إلا الله، هي شعار دينكم، وشعار رسولكم، وشعار قلوبكم، وشعار عقولكم، وشعار أنفسكم يوم تستقيم نفوسكم بالحياة.

اسألوا الله أن يدخلكم في حصن لا إله إلا الله، فتشهدوكم لا إله إلا الله، وتعرفوه لا إله إلا الله، وتقوموه لا إله إلا الله، فتؤمنون به إيمانا بكم، وتعرفونه عرفانا لكم بلا إله إلا الله، محمد رسول الله.

اللهم قومنا بها حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، عابدين ومعبَّدين، ومعبِّدين، مشاهدين ومشهودين، مقيدين، ومنطلقين، على ما أردت بطريقك المستقيم يا أرحم الراحمين.

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك، يوم تكشف الغطاء عنا، فنراك فينا، ونرانا منا، ونراك لنا.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة يوسف - ١٠٨

٢ سورة الشورى -٥٢

٣ استلهاما من الآيتين "الذي يراك حين تقوم. وتقلبك في الساجدين." سورة الشعراء - الآيتان ٢١٨-٢١٩

٤ حديث شريف: "أنا أبو القاسم، الله يعطي، وأنا أقسم". أخرجه البخاري.

٥ من قصيدة للشاعر العباسي صالح بن عبد القدوس

٦ قول للإمام عليّ كرم الله وجهه. المحدث: السيوطي. المصدر: الدرر المنتثرة.

٧ حديث شريف، رواه عبد الله بن عمر: "أخذ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ببعضِ جسدي وقال: كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ وعُدَّ نفسَك في الموتَى." جاء بهذا الفظ عن ابن عدي". وأخرجه البخاري بلفظ: " أخَذ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بمَنكِبي - أو قال بمَنكِبَيَّ - فقال: (كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ) قال: فكان ابنُ عُمَرَ يقولُ: إذا أصبَحْتَ فلا تنتظِرِ المساءَ وإذا أمسَيْتَ فلا تنتظِرِ الصَّباحَ وخُذْ مِن صحَّتِكَ لِمرضِكَ ومِن حياتِكَ لِموتِكَ".

٨ سورة البقرة - ٥٤

٩ سورة الزمر - ١٨

١٠ حديث شريف. المحدث: الزرقاني، ولكن لم يثبت سنده، ويوافق الحديث الشريف: "كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ وعُدَّ نفسَك في الموتَى". أخرجه البخاري.

١١ سورة الرحمن - ٢٦-٢٧

١٢ سورة الانفطار - ٦:٨

١٣ سورة طه - ٥٠

١٤ سورة فاطر - ٤١

١٥ سورة الملك - ٤

١٦ سورة الذاريات - ٢١

١٧ مقولة للإمام عليّ (عليه السلام): إن الله أخفى أربعة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته، فلا تستصغرن شيئا من طاعته، فربما وافق رضاه وأنت لا تعلم. وأخفى سخطه في معصيته، فلا تستصغرن شيئا من معصيته، فربما وافق سخطه معصيته وأنت لا تعلم. وأخفى إجابته في دعوته، فلا تستصغرن شيئا من دعائه، فربما وافق إجابته وأنت لا تعلم. وأخفى وليه في عباده، فلا تستصغرن عبدا من عبيد الله، فربما يكون وليه وأنت لا تعلم.. بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.

١٨ سورة الفرقان - ٦٣

١٩ حديث شريف: " رُبَّ أشعثَ أغبرَ ذي طِمرَينِ، مُصفَحٌ عن أبوابِ النَّاسِ، لو أقسمَ على اللهِ لأَبَرَّه.": أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) بلفظه، وأصله في صحيح البخاري ومسلم بنحوه.

٢٠ مقولة صوفية تتناغم مع تكريم الله للإنسان.

٢١ من مقولة من خطبة للإمام عليّ ـ كرم الله وجهه: "...اعلم أنّ لكلّ ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه...". بحار الأنوار، المكتبة الشيعية.

٢٢ سورة فصلت - ٥٣

٢٣ سورة النمل -٨٢

٢٤ من الحديث الشريف: "أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر وأنا أولُ من تنشقُّ الأرضُ عنه يومَ القيامةِ ولا فخر وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مشفَّعٍ ولا فخر ولواءُ الحمدِ بيدي يومَ القيامةِ ولا فخرَ." صحيح ابن ماجه.

٢٥ حديث شريف يتردد في أدبيات التصوف، يتوافق مع الحديث الشريف: "الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ". أخرجه أبو يعلي والبزار.

٢٦ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩

٢٧ سورة الإسراء - ٧٩

٢٨ إشارة إلى حديث شريف عن عائشة أم المؤمنين: "ليسَ أحَدٌ يُحاسَبُ إلَّا هَلَكَ قالَتْ: قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِداءَكَ، أليسَ يقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: {فَأَمَّا مَن أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسابًا يَسِيرًا} قالَ: ذاكَ العَرْضُ يُعْرَضُونَ ومَن نُوقِشَ الحِسابَ هَلَكَ. صحيح البخاري.

٢٩ سورة النحل -٦١

٣٠ سورة الحج - ٣

٣١ سورة الحج - ٨

٣٢ حديث شريف: "ما مِنكُم مِن نَفْسٍ إلَّا وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ قالوا: يا رَسُولَ اللهِ، فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفلا نَتَّكِلُ؟ قالَ: لَا، اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ له ثُمَّ قَرَأَ: {فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بالحُسْنَى}، إلى قَوْلِهِ {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} {الليل: ٥ - ١٠}. الراوي: الإمام علي بن أبي طالب. صحيح مسلم

(٧)

سيادة الدنيا.. سيادة الآخرة.. سيادة العلم في دين الفطرة
اتقوا الله ويعلمكم الله
إن لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق

حديث الجمعة

٢٢ ربيع الأول ١٣٨٤ هـ - ٣١ يوليو ١٩٦٤ م

بسم الله

وبلا إله إلا الله

وبالله أكبر

نذكر الله، ونؤمن بالله، ونسلم أمورنا إلى الله

الله ورسوله حسبنا

الله ورسوله نعم الوكيل علينا

الله ورسوله نعم الوكيل لنا، ونعم الحسب لأمرنا.

عباد الله.. اتقوا الله، وآمنوا برسول الله، وتعلَّموا لتعلموا أنه لا إله إلا الله، يوم تعرفوكم لتشهدوكم محمدا رسول الله ظلالا له وقياما به، فتشهدكم عناية الله أسماءً لها، هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[١].

إن لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق، فهو القائم على كل نفس بما كسبت، وإن لله أديان بعدد من قام عليهم الديان، {واتقوا الله ويعلمكم الله}[٢]. إن الإيمان بالدنيا، والإسلام لها، والقيام في أمرها دين هو عبادة الدنيا، والدنيا حقه، وهي حق من حقائق الوجود في الله. دين له أهله، وله كتابه، وله رسله، وله

مُرسِله {وهديناه النجدين}[٣]، {إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا}[٤]، {ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب}[٥].

كذلك فإن الإيمان بالآخرة عزوفا عن الرضاء بالأولى طلبا للنعمة أفضل وأدوم، وطلبا للحياة أبقى وأقوم، هو أيضا في ذاته دين هو عبادة الآخرة، والآخرة حقه وهي حق في الوجود ينكر عليه رغم الشهود بعين الوجود، وهو دين له مرسِله، ورسله، وكتابه، وعلمه، وفلسفته، وحكمته، {من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه}[٦].

وسواء كان الإيمان بالدنيا كدين، أو الإيمان بالآخرة كدين، فأمران ودنيان ودينان بعيدان كل البعد عن دين القيمة، عن دين الحق، عن دين أهل الأمر لله، بعيدان كل البعد عن الله، وعن الإيمان بالله، وعن الإيمان بالحق للنفس نفسا لله في مصالحة أو مخاصمة...

متعجلة بدين الدنيا لربوبيتها، أو متاجرة في دين الآخرة لمتعتها، بعيدة عن الصلة بالقائم على كل نفس ليهيئها لنفسه الأعلى مخلفا، بتوثيق العلاقة فيه بتقواه لغضبه، والعمل على التحاب فيه بمرضاته لكشف القناع عنه في معيته للشهود وللوجود، {فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد}[٧].

فإيمان الرسول، والقيمة، يقوم على القراءة لكتاب الحياة في ألواح الحياة بالناس، للبعث بالحياة كتابا لها في قيام الفرد قيوما بالناس من عمله جماع الناس، {من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا}[٨] ...

حتى تقوم العلاقة بين الناس، ورب الناس، ملك الناس إله الناس، بالناس وفي الناس وللناس، (زويت لي الأرض وتبلغ أُمتي ما زوي لي منها)[٩]...

يوم يكون الفرد من الناس كل الناس، ويوم يقوم كل الناس فردًا من الناس في لا نهائي الموجود المحيط بوجود الموجد لوجود، مشهودا بالوجود للموجود، (ابدأ بنفسك ثم بمن تعول)[١٠]، (لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها)[١١]، {رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا}[١٢]، {قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا}[١٣]، {ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير}[١٤].

الإنسان للإنسان هو الحق من الله المزحزح عن معاني العدم بعزته بمنح معاني الوجود منه برحمته، القائم باسمه وعَلَمه في مجال الزمن، المستكمل لدائرته الخالدة بطرفي الأزل والأبد لنقطة وجوده، سرمد قيامه، وجماع أعلامه، ووجوه إنسانيته لأحد إنسانه، صمد ذاته وصفاته، آدم ظهوره، وإنسان بطونه، وعَلَم حقه، وعلمية حقيقته، كتاب بيانه، وترجمان إنسانه، رسول أمره إلى ذات مأموره، في قائم دائرته

لشأنه، إحاطة مركزه، ومركز إحالته، ونقطة زاويته بحاضره، لضلعي الأزل والأبد، لوجوده، وقيامه، وشهوده.

شهد لنفسه بأحديته عبدًا لربه على عين شهادته لربوبيته، في قيامه وأحديته بآزال للا أزل مدركا لقصوره، دون عَلَم كماله لمعتقده، ومثال منشوده برب شهوده...

لله المثل الأعلى هو دونه وإن كان في قيامه وظهوره رسوله ومضمونه، محاطا منه غير محيط به، يعلم ما في نفسه الأدنى محيطا بها بمعناه لمبناه قارئا متعلما، ولا يعلم ما في نفسه الأعلى وهو المحاط منه - مجاهدا سائرا حائرا في أمر نفسه عنها - بكلمة الله لحاضره بينهما مُبلغا معَلما...

كلمة لله عرفه في مرآة ذاته، مؤمنا مع مؤمن من أعلى ومع مؤمن من أدنى، كلمة لله تمت، قيامه نفسا مطمئنة دخلتها نفس أدنى يوم دخلت في نفس أعلى، عليها اجتمعت، وفيها دخلت، وبها ألحقت، وجماع كلمات لله بروح قدسه له تكاثرت فكثرت. ضرب ابن مريم مثلا لها فكان مثلا لمعاني المؤمن، لقائم المسلم، لحق المدرك، في رسول الله لا يدرك، (ما عرفني غير ربي)[١٥].

ضُرب ابن مريم مثلا لأبناء آدم المكرمين، وضُرب محمد مثلا للأوادم مصطفين، كلاهما يُحدِّث الناس في المهد وكهلا. فعيسى تنتظره له معاني أبوته يوم يتوفاه الأعلى للظهور بطلعته عبده وسر ربوبيته، فيقوم حقا يشهد بتمام وكمال آدميته، {إني متوفيك ورافعك إليَّ}[١٦]. أما محمد وهو ناشئة الليل بآدميته فتنتظره له من الأعلى كلمات الله لبنوته، لتمام أمره بأسرته، لسفور بيته كعبة لأمته، زويت له الأرض وجعلت له مسجدا وطهورا، يبعث روح القدس من الروح الأعظم ظاهرا بإنسانه وإنسانيته، كما يبعث من الأرض بجديده لتمام كلمة الله وكلمته عيسى في آدمه وآدميته، {إن لك في النهار سبحا طويلا}[١٧]، {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}[١٨]، (أنا أولى الناس بابن مريم)[١٩] ، (مريم إحدى زوجاتي في الجنة)[٢٠].

لم يسفر ابن مريم للناس بعد أخا لهم في كلمة الله، أو أبا لهم بكلمة الله، وهو ما وعد به لنفسه، ووعدت البشرية به لقيامها، إذ كان عيسى عليه السلام مثالا للعبد عَلَما على الرب، آلها منفردا بمعناه بإنسان الله لإنسان الله، آمن في معارج وغيوب الله، آمن بإنسان الرسول روح القدس لمعناه، وبالأعلى إنسان لمعنى مولاه. قام فيهما قيامه في مهده ثالث حقيقة لحقيقتين هي واحدية حق في أحديته لإنسان الله لوحدانيته.

جاء الأرض وسماواتها من عالم وجوده قضية من قضايا الحق في موجوده. أدخله إليها من هداه، وأخرجه للناس من خلقه فسواه. أدخله مَن عَلَّمه فآواه وأخرجه من بعثه رسولا فتولاه، فكان بالحق عين الحق ومعناه، لمعاني الخلق لمولاه.

الناس به يتحققون.. وبه يسعدون.. وبه يحيون.. وبه يتواجدون.. وبه يقومون.. وبه يستقيمون.. وبه يسلكون.. وبه الباب يدخلون.. والسلم يعرجون.. والطريق يطرقون ويقطعون. لا هو لهم بأخ على ما وعد أن يكون في القيامة، (إذا جئت في القيامة دعوتكم بيا إخوتي)[٢١]، ولا هو لهم بأب على ما وعد رسول الله أن يكون له، (بينا أنا نائم أطوف بالكعبة رأيت رجلا آدم قلت من قيل ابن مريم...)[٢٢]، أمران لم يتحقق أحدهما على الأرض بعد.

فابن مريم ومحمد معه ما زالت تنتظرهما رسالة، يقومان بها معا في قيام لهما بين الناس مظهرا لقيام لهما في الروح وفى عوالم الحياة رسالة الحق المؤاخي يوم يدعو ابن مريم الناس إلى أخوته في قائم أبوته هو في معيته، هي رسالة الحق الراعي يوم يظهر بين الناس بأبوته والابن في معيته، وهذا له في دين الفطرة أمر دائم، هو بالعترة للرسول أمر قائم، ببدايات تبعث بنهايات.

أمر الله بدأه الرسول بذاته المحمد والروح الأمين مصباحا مؤاخيا ملازما، كلمةً تمت أول عابدين بحقها لباطنها ينتظرها البعث بالمزيد بين معاني الأب والابن الوليد، يتواجد ويتكاثر ويتزايد من القديم بالجديد.

وهو ما قامه محمد وعَلِيّ للظاهر وللتشريع، وقامه محمد وفاطمة للعيان واليقين بآدمه لحوائه، لإنسانه في إنسانه لمعراجه، وهو ما قامه عَلِيّ وبنوه للطريق، وقامته فاطمة وبنوها للتحقيق...

إبرازا وتعريفا عن قديم الإنسان، ببيوت رفعت إلى أزل وقبل الأزل تتجدد لتعرف من خلال البيت الموضوع، يتكاثر ببيوت توضع في أبد وبعد الأبد، حتى تستكمل الدورة دائرتها لظهور بأول بيت وضع للناس كلما قام برسالته علما على أول بيت رفع من الناس بآدم البنوة، جيئة لكلمة لله، إعلاما عن بيت رفع بآدم الحكمة والأبوة من قبل.

فبمحمد كَمُل الدين وتمت النعمة، وبُعث الإنسان، وجاء الحق، وانقطع الإنباء بالعيان، وبدأ الحشر، وسُمع الذكر، وظهر الوجه، وقام الأمر، بدأ لتمام له، ويتم لبدء له.

الإنسان للإنسان رجل سَلم لرجل إلى أزل يدرك وإلى أبد يتواجد، هو قيام الإيمان بالله لهما في عبادة اليقين، وقيام العلم، وكشف الغطاء، ومغادرة الظن، ومفارقة الشك، ومجافاة الكفر والإنكار والجحود،

{قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا}[٢٣]، {قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون}[٢٤]، {لكم دينكم ولي دين}[٢٥].

فما كان عنده الدين؟ وما كان عندهم الدين؟ ما كان الدين عند رسول الله، إلا في العلم عن الله معية الإنسان بالحياة من الحي القيوم، لا نبأ ولا خبر، ولا اجتهاد ولا أثر، ولكنه كشف الغطاء، وتحقيق الرجاء، وأخذ الجزاء، وخلع الرداء، وتوفية النفس بالموت عنها لمعناها بالوفاء. نعم الاسم المؤمن والإيمان، (المؤمن مرآة المؤمن)[٢٦]، (المؤمن مرآة أخيه)[٢٧]...

أمرٌ يدركه المؤمن في إيمانه بنفسه.. في إيمانه بوحدانيته.. في إيمانه بقائمه لقيومه.. في إيمانه بقيومه إيمانا بقائمه.. في لا إله إلا الله، والله أكبر، بمعراج لهما بينهما، وتردد من أحدهما للآخر في قيامه بأحديته لهما تجمع كليهما، فالله أكبر للا إله إلا الله، ولا إله إلا الله هي لله أكبر، ما بين دنيبي الوجود.. ما بين دنيبي التواجد.. ما بين دنيبي الشهود، ما بين دنيبي الحقائق.. ما بين دنيبي الذوات.. ما بين دنيبي الأنانية، طلبا لدنيا الحق لعالم الرشاد، عالمٌ سقطت فيه قيمة الأسماء، فرده كله، وكله فرده.

فما بين دنيبي الإنكار على الأنا إلى الهو يتقلب الإنسان بين السماوات لاحَد لها، وبين الأراضين لا عَدَّ لها، حتى يتحرر من التقييد والإطلاق إلى واجب الوجود، المعروف بالتنزيه، يوم يقوم في قائمه عالم الغيب والشهادة.

يعلمه من لا شريك له يوم يعلمه عبد عرف ربه لمعيته فيه عَلما من أعلام الله عنه، يوم يراه عبدا قام ربه تخلقا بأخلاق الأعلى في إعلامه عنه في معراج في الزمن عبر الأزل، ارتدادا إلى نفسه الأعلى في نفسه إلى لا أزل، وعبر الأبد لتواجداته ومشاريع الحياة لحياته قياما بنفسه الدنيا إعلاما عن نفسه العليا إلى لا أبد، حتى يتلاقى الأزل والأبد بحاضره له في الحاضر السرمد لفردوس ذاته، لأناه، في القائم الأحد لوجوده.

يقوم إنسان الله بمعنى الإنسان الأب والولد.. الإنسان الروح والجسد.. الإنسان الواحد الأحد، ليس كمثله فيه أحد.. هو للهو أحد من آحاد الله، لقيام في قائم الله، بلا إله إلا الله، وبالله أكبر.

بذلك كان الأمر الوسط مركزا لدائرة الأمة الوسط، هو دين الفطرة المرضي من الفطرة أزلا وأبدا. وبذلك كان الرسول نور الفطرة الذي يقوم ويتقلب في الساجدين، سجودا لوجه الله من الأزل، ولوجه الله من الأبد، بوجه الله لهم به حَمد نفسه، وعلم نفسه بنفسه له، في لا نهائيته عنت الوجوه، وهو الحي القيوم بظاهره، وجوه لوجوه سجدوا عالمين.. سجدوا عابدين.. سجدوا قائمين، روح قدسه وجماع كلماته،

وجوهر مسحائه.. سجدوا وهم القيمة على العارفين، وهم عباد الرحمن للسماوات والأراضين، ووجوه رب العالمين للموقنين، والآباء الرحماء بالبنين.

لا يعرفون النبأ ولا الإنباء، ولا يعرفون الخبر ولا الإخبار، ولكنهم يعرفون العلم والمعلوم والعالم، قاموا العلم، وتحدثوا العالِم، وقرأوا الكتاب بالمعلوم، وما كانوا إلا العلم والعالِم والمعلوم في شتاتهم لأحديتهم في واحديتهم، يعرفون الشهود لله في شهادتهم، ويعرفون الغيب لله في قائم الجهل عنهم بهم عندهم وعند غيرهم، لا يعلمهم ولا يحيط بهم إلا الله.

تطور دين الدنيا عند المؤمنين بها في كشفه لنفسه، وتحول بهم إلى دين الآخرة بكشفه عن الكرات الخاسرة، يوم تكشف للمنظرين {تلك إذن كرة خاسرة}[٢٨]، {ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل}[٢٩].

وتطور دين الآخرة إلى دين العلم بتطوير الكرات الرابحة إلى صحف في كتب المؤمنين، يوم يكشف للمتقين عن كمالٍ مفقود منهم ينشد لهم، {علمت نفس ما قدمت وأخرت}[٣٠].

في دين العلم وحده عُرِف الله، وبُعث الإنسان بالله، وقام الحق، فكان الحق، رسول الحق، حقا جاء الناس، عبدًا وربا، بيتا لذكر الله بظاهره، وَعلَما لله، وكتابا عنه بباطنه، به بلغ الإنسان الرشاد، وخرج من العناد، ودخل في دائرة الحب والوداد، يوم التقى العبد حقا وربا بالرب عبدا وحقا، فقام الحق رسولا وروحا، ورحمة وأمرا.

بذلك كانت الفطرة من فاطر السماوات والأرض إلى الناس، فطرهم ليكونوا سماوات وأرض أصلا لهم، ولفطرتهم على ما فطرهم، حتى إذا ما تم لهم ما أُريد بهم من فاطرهم، فكانوا صبغة فطرته، وقيام حضرته، وبعث حقه في حقيقته، اجتمعوا ناسوت العبد لجماعهم على لاهوت الرب لهم، ملأً أعلى هم منه، قائما على أنفسهم، ظاهرا بهم، هو باطنهم وأقرب إليهم من حبل الوريد، معهم أينما كانوا، ومن ورائهم محيط، وجوها له، يوم يرثون الأرض عباده الصالحين...

يجمعهم حقه لعبوديته رسولا من أنفسهم، {كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام}[٣١]، {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}[٣٢]، {إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا}[٣٣]، {فَانتظروا إني معكم من المنتظرين}[٣٤]، {لمن عقبى الدار}[٣٥]، {الأرض يرثها عبادي الصالحون}[٣٦].

فبأي دين تدينون؟ وأي دين تدخلون؟ وأي رسول تتبعون؟ الدنيا برسلها إليكم قائمة، والآخرة برسلها عليهم قائمة، والله بعباده بعباد الرحمن فيه.. بعباد الرحمن منه.. بعباد الرحمن لكم، الله بهم بينكم قائم، وعليكم دائم، وبرحمته لكم راع.

فمن تختارون؟ وبمن تؤمنون؟ وأي طريق تسلكون؟ الأمر مرده إليكم، كونوا كيف شئتم، فهو كيفما تكونون يكون، من شاء فليؤمن بالدنيا أو يكفر بها، ومن شاء فليؤمن بالآخرة أو يكفر بها، ومن شاء فليؤمن بالله أو يكفر به، ومن شاء فليؤمن بالطاغوت أو يكفر به، لا إكراه في الدين تبين الرشد من الغي، {أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين}[٣٧]، {قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون}[٣٨]، {لكم دينكم ولي دين}[٣٩].

{ذَكِّر إن نفعت الذكرى سيذكر من يخشى، ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى}[٤٠]، بين جوانحه تشعل، تضيق بهم الدنيا على رحابتها، والسماء على سعتها، يوم تضيق بهم أنفسهم فيذوقون مس سَقَر تحت شمسها وزمهريرها، هم فيه بجلودهم تتجدد، وما أصبرهم على النار يصطلونها، دارا بعد دار، حتى يفيقون، وأمرهم إلى الله يُرجِعون.

مالكم كيف تحكمون؟ مالكم عن النار لا تتزحزحون؟ مالكم أنفسكم منكم وبينكم لله مخاصمة توادون، ونفوسا منكم وبينكم لله مصالحة تخاصمون، وباسم الله تعبثون، وقبلة من الطغاة تتخذون، وقبلة من الرعاة تنكرون، ووجها للشيطان تتعشقون وله تسجدون، ووجها للرحمن تظاهرون ومنه تنفرون؟ مالكم كيف تحكمون؟ أليس فيكم من رجل رشيد تتبعون؟ أليس بينكم من عليم خبير تسألون؟ أليس بينكم من تقي ورع تتابعون وإليه تنتسبون، ومثاليته لكم ترتضون، وتطلبون، فتجاهدون، وتحققون فمن الله باسمه تدعون وتسمون؟

الخير للسابقين تنسبون! والله هو الخير في السابقين والقائمين واللاحقين. أصفات الله تعطلون؟ أَنُورَ الله تطفئون؟ عطشى تتواجدون، وأحواض الحياة ظاهرة لا تردون، وأوهاما من السعادة ترسمون وتتخيلون، وسياط الطريق تسوقكم إلى الحق، إلى مستقيم الحياة حتى تجأرون، ولكنكم تطيقون، ولا تجأرون، وتشكون، ولا تستيقظون، وتصرخون وتتألمون، ولا تفيقون ولا تتعظون، وكل شيء عنده بمقدار، إن كان له عندكم تقدير واعتبار.

نفوسكم لا تتهمون، وربكم بين أيديكم توقفون! مسئولا مدينا متهما تستجوبون! لماذا فعلت؟ ولماذا منعت؟ ولماذا أعطيت؟ ولماذا علينا شققت؟ ولماذا عنا غفلت؟ ولماذا أنا من النعماء حرمت؟ ولماذا لغيرنا بذلت؟

وفى أنفسكم... لا، لا تبصرون! عدلا أقام لا تقبلون! وأعمالكم عليكم ردت، إنه فعلكم لا تعترفون! ليس لنا من الأمر شيء تزعمون! نعم ليس لكم كشيء من الأمر شيء لأنكم ممن يملك الأمر لكل شيء، ولأنكم من يملك الشيء، وهو أعطى كل شيء خلقه ثم هدى بقيومه على كل شيء، بقائمكم على شيئكم. {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره}[41]، (إنما هي أعمالكم ترد إليكم)[42]، {إما العذاب وإما الساعة}[43]، ساعة اللقاء وكشف الغطاء.

الذين كفروا بالله لهم.. وبالله معهم.. وبالله من ورائهم.. وبالله على نفوسهم بما كسبت.. وبالله هم له وجوه، نضرت أو قترت أو غبرت، {والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً فإذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فيوفيه حسابه}[44]، {كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا}[45]، (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا)[46] ، (من نوقش الحساب فقد هَلَك)[47].

إن دين الله إنما هو العلم عن الله.. والعلم عن الله إنما هو العلم عن الإنسان.. والعلم عن الإنسان إنما هو العلم عن النفس، {ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير}[48]، {وفى أنفسكم أفلا تبصرون}[49]، {لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء}[50]، (كل الناس هلكى إلا العالِمون، والعالِمون هلكَى إلا العاملون، والعاملون هلكَى إلا المخلِصون، والمخلِصون على خطر عظيم)[51]، فالإنسان كتاب عمله لذاته، وكتاب علمه لروحه، وكتاب ربه لحقه.

هذا هو دين الفطرة.. هذا هو دين العلم.. هذا هو دين الحقيقة.. هذا هو دين الرسالة.. هذا هو الرسول.. هذا هو دين الإنسان.. هذا هو دين الله.. ليس في دين الله جنة إلا معرفتك عنك، ورضاءك بك، ومعرفتك عن صانعك، من إنسان ربوبيتك في مرآة إنسان صنعك، وعبوديتك بأحديتك لجماع واحديتك في وحدة إنسانك مع إنسانه في مرآة نفسك، عبدًا وربًا لواحديته في أحديته.

فمن اعتقد ذلك وعمل له فحققه تحرر من سجن مادته، وانطلق عتيقا في موجود السماوات والأرض إنسانا كبيرا عرفه بابه إلى الحق لذاته وروحه، رسولا من نفسه وقياما من أنفسهم...

كما أنه ليس هناك نار، إلا نار جهلك، ونار قطيعتك، ونار كنودك، ونار غفلتِك، ونار عزلتك عن موجودك عن خالقك، عن معلمك، عن الأعلى، عن الأدنى، عمن جعلك ربًا راعيا، عمن جعلك ربا مسئولا عن رعيته، عمن جعلك عبداً مرعيا ربك مسئول عنك، عمن جعلك منه، وجعلك إليه، وجعلك به، في علمك عنك، علما عنه، وقياما به، كما عناه القائل:

وما عذابي سوي حجابي وما نعيمي سوي وصالي

الكل عندي جنة خلـد ما دمت في حضرة الرجال

سر بي إلى حيهم ودعني في أي طور فلا أبالـي.[٥٢]

ذلك دين الله.. ذلك دين القيمة.. ذلك دين الفطرة.. ذلك دين الإنسان.. ذلك دين رسول الله.. ذلك دين عباد الله لمن كان رسول الله أولى به من نفسه، يوم آمن به وجه الأعلى إليه، ووجه الأدنى له...

وقد عرفه أبقى منه خلقا، وأقدم منه حقا، وأوسع منه قياما، فقام به، وقام فيه، وقام له، فكان الرسول له ربا رحيما، بتقوى الله ربا لهما، عزيزا عليه...

فكان له بالرسول وربه جنتان، سار بهما في جنان، من جنة إلى جنة، في معراج من جنان، وفى عطاء غير مجذوذ من إحسان...

سيرا وراء قائد ركب عوالم الله إليه، ياقوتة أحدية ذاته، وعين مظهر صفاته، من به قديما وأزلا عُرِف الله، ومن به دائما وأبدا قُدِّر الله حق قدره.

بذلك كان الرسول لنا هو من به عرفنا كلمة الله اسما للإنسان وذات الإنسان وروحه، اسما لله، ووجها لله، وحقا من حقائق الله، يوم شهدنا وأشهدنا أنه لا إله إلا الله خلف رسول الله، فعرفنانا بحبه ومتابعته محمدا رسول الله، وظلالا له...

فشهدنا الله أكبر، وعلمِنا وعَلَّمنا وأعلَمنا الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، سيرا في صحبة الرسول، طلبا للرقي في المطلق بالمطلق لمعانينا إلى لا نهاية.

اللهم يا من أحييتنا بعبدك ورسولك.. عبدك وحقك.. قائمك وقيومك، وجه ذاتك وجماع أسمائك وصفاتك.. روحا تَمثل بشرا سويا.. وقام إنسانا دانيا عليا، تدانى كلما علا، وتعالى كلما دنا، عرفناه يوم عرفنانا، وعرفنانا يوم عرفناك، فدخلنا في حصن لا إله إلا الله يوم تابعناه، فتقلب فينا بالسجود فشهدنانا محمدا رسول الله.

توحدنا معك معتقدنا، وتوحدنا معه مشهود حقك لحقنا منك، فشهدناك يوم شهدنانا به، واعتقدناه يوم شهدناك بك لنا، فكنت معتقدا ومشهودا، وكان معتقدا وموجودا...

فقمنا بالحضرتين، ودعونا إلى الحضرتين، وعرَّفنا عن الحضرتين أعلام دين قمناه، بالفطرة كسبناه، نور الله تواجدناه من نور هداه، فكنا به القيمة على طالبيه، يوم أشهرناه، وللناس أشهدناه، وفيهم انتشرناه يوم بهم قمناه، فكنا به أقباسا من نور الله نورا على نور، نقوم ونتقلب في الساجدين، انتشار نور الله في الصادقين، وقيام نور الله بالعابدين، واستقامة الإنسان بتقوى الله، لمشهود الوجه لرب العالمين، قائم

المتقين، ووجه الحق لرب الناس أجمعين، وللأعلى لرب العالمين، وهياكل العباد الرحامين، ببيوت القبلة للمسلمين والمؤمنين.

هكذا عرفنا.. وهكذا آمنا.. وهكذا دعونا.. وهكذا أشهدنا.. وهكذا قلنا.. وهكذا أشرنا يوم أفصحنا ويوم أعجمنا.. وهكذا بما لا يطاق احتفظنا وكتمنا، وعما ينفر أو يعسر امتنعنا وأحجمنا. لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

اللهم برسول الله رحمتك فارحمنا.. اللهم برسول رحمتك فقومنا.. اللهم برسول رحمتك فتولنا، حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، مجتهدين ومتابعين، سالكين وواقفين، ساكنين ومتحركين.. اللهم به فقوم جوارحنا، وأحيِ قلوبنا، وأنر عقولنا، وحرر أرواحنا، وطور نفوسنا وذواتنا، على ما أردت بنا، وعلى ما أردت بإنسان وجودنا، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

من فلسفة (كارل ياسبرز) وهو من رجال التوحيد الصادقين:

(إذا صح أن التاريخ هو الكشف عن الوجود بالتدريج، فيمكن أن يُقال مع ذلك أن الحقيقة في التاريخ هي في كل مكان، وفى غير مكان، وفى حركة على الدوام، ومفقودة في اللحظة التي يبدو أنها قد اُمتلكت امتلاكا. ومن الممكن أن تقول إنه كلما كانت حركة التحول التاريخي أشد عمقا كان ذلك أكثر تَمكنا للحقيقة.

فإذا تم التحرر فمن شأنه إن كان كاملا أن يلغي الزمان وهو ما لا يمكن نقله إلى الغير إلا في الفكر التأملي أو في اللحظة الفائقة حين يتم التوافق بين كائنين).

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩
٢ سورة البقرة - ٢٨٢
٣ سورة البلد - ١٠
٤ سورة الإنسان - ٣
٥ سورة الشورى - ٢٠
٦ سورة الشورى - ٢٠
٧ سورة ق - ٢٢
٨ سورة المائدة - ٣٢.

٩ من حديث شريف: إنَّ اللهَ زوَى لي الأرضَ فرأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها فإنَّ أَمَّتي سيبلُغُ مُلْكُها ما زوَى لي منها وأُعطِيتُ الكَنزَيْنِ: الأحمرَ والأبيضَ... أخرجه مسلم في صحيحه.

١٠ حديث شريف ذات صلة: "خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى. وابدأ بمن تعول." صحيح البخاري وصحيح النسائي. أيضا من الحديث الشريف: "ابدأ بنفسك فتصدَّق عليها فإن فضلَ شيءٌ فلأهلكَ، فإن فضل من أهلك شيءٌ، فلذي قرابتِك فإن فضَل من ذي قرابتك شيءٌ فهكذا وهكذا، وهكذا." أخرجه مسلم والنسائي.

١١ استلهاما من حديث شريف يخاطب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلّم الإمام علي بن أبي طالب. " فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لكَ حُمْرُ النعم." أخرجه البخاري ومسلم.

١٢ سورة الزمر - ٢٩

١٣ سورة سبأ - ٤٦

١٤ سورة الملك - ٤

١٥ حديث ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكتّاني بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي". ولم نستدل على سند له في كتب الأحاديث الشريفة.

١٦ سورة آل عمران - ٥٥

١٧ سورة المزمل - ٧

١٨ سورة الإسراء - ٧٩

١٩ حديث شريف: " أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ قالوا: كيفَ؟ يا رَسُولَ اللهِ، قالَ: الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِن عَلَّاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فليسَ بيْنَنَا نَبِيٌّ." صحيح مسلم.

٢٠ حديث شريف: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى." أخرجه الطبراني.

٢١ إشارة لقول المسيح عليه السلام بعد القيامة أنه قال للمجدلية: "اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم" (يوحنا ١٧:٢٠). وتلك كانت المرة الأولى التي يدعو فيها تلاميذه بكلمة أخوتي. قبل القيامة، كان يسوع يدعو تلاميذه "أحبائي"، "عبيدي"، أو "تلاميذي".

٢٢ من الحديث الشريف: "بيْنَما أنا نائمٌ رأيتُنِي أَطُوفُ بالكعبةِ، فإذا رَجلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعْرِ، بيْنَ رجُلَيْنِ يَنطُفُ رأسُهُ ماءً، فقُلتُ: مَنْ هذا؟ قالُوا: هذا ابنُ مَرْيَمَ، ثمَّ ذهبتُ ألْتَفِتُ، فإذا رجُلٌ أحمَرُ جَسيمٌ، جَعْدُ الرأسِ، أعْورُ العيْنِ، كأنَّ عيْنَهُ عِنبةٌ طافِيةٌ، قُلتُ: مَنْ هذا؟ قالُوا: الدَّجالُ، أقْربُ الناسِ بِهِ شبَهًا ابنُ قطَنٍ". أخرجه البخاري ومسلم باختلاف يسير.

٢٣ سورة سبأ - ٤٦

٢٤ سورة الكافرون - ١-٢

٢٥ سورة الكافرون - ٦

٢٦ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفُّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه.". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني

٢٧ حديث شريف: "المؤمِنُ مرآةُ أخيهِ، المؤمنُ أخو المؤمنِ يَكُفُّ عليهِ ضَيْعَتَه ويحوطُه مِن ورائِهِ." أخرجه أبو داود والبخاري.

٢٨ سورة النازعات - ١٢

٢٩ سورة فاطر - ٣٧

٣٠ سورة الانفطار - ٥

٣١ سورة الرحمن - ٢٦-٢٧

٣٢ سورة النحل - ١٢٨

٣٣ سورة مريم - ٩٣

٣٤ سورة يونس -١٠٢

٣٥ سورة الرعد - ٤٢

٣٦ سورة الأنبياء-١٠٥

٣٧ سورة يونس - ٩٩

٣٨ سورة الكافرون - ١-٢

٣٩ سورة الكافرون - ٦

٤٠ سورة الأعلى - ١٢-٩

٤١ سورة الزلزلة - ٧-٨

٤٢ من حديث قدسي: ".. يا عبادي! إنَّما هي أعمالُكم تُرَدَّ عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمَدْني ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومَنَّ إلَّا نفسَه." الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح.

٤٣ سورة مريم - ٧٥

٤٤ سورة النور - ٣٩

٤٥ سورة الإسراء - ١٤

٤٦ مقولة من حديث للخليفة عمر بن الخطاب. أخرجه أحمد في (الزهد)

٤٧ حديث شريف عن عائشة أم المؤمنين: "ليسَ أحَدٌ يُحاسَبُ إلَّا هَلَكَ قالَتْ: قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِداءَكَ، أليسَ يقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: {فَأَمَّا مَن أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسابًا يَسِيرًا} قالَ: ذاكَ العَرْضُ يُعْرَضُونَ ومَن نُوقِشَ الحِسابَ هَلَكَ. صحيح البخاري.

٤٨ سورة الملك - ٤

٤٩ سورة الذاريات - ٢١

٥٠ سورة البقرة - ٢٥٥

٥١ حديث شريف جاء في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي باب "حقيقة النية ومعناها". وجاء في تاريخ دمشق لابن عساكر: سمعت ذا النون المصري يقول: "الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء كلهم نيام إلا العاملون، والعاملون كلهم مغترون إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم، قال الله عز وجل: "ليسأل الصادقين عن صدقهم." ولكنه يصنف في كتب الحديث بأنه موضوع.

٥٢ من الأناشيد الصوفية.

(٨)

المقصود وجه الله
وجودا وشهودا
وشهودا ووجودا

حديث الجمعة

٢٩ ربيع الأول ١٣٨٤ هـ - ٧ أغسطس ١٩٦٤ م

المقصود وجه الله.. المقصود وجه الله

يا أيها الإنسان، إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه.

يوم تلقاه، تلقاه به، لطيفا يخاللك إلى عينه لعينك، فتشهدك والرفيق الأعلى للأعلى بقدرته وجوها لله ناضرة، بنوره ناظرة، ولنوره منظورة في مرآة الوجود لكما في أحديته لأحده بكما.

فباتحادكما فيه، تراه لعين بصيرتك عين معناك بمعناه، إذ تراك وجها مخاللا لوجه هما للأعلى بجلاله، إذ المطلق اللانهائي هو دوما من ورائكما بأعلى لمعنى إحاطته. وهو بلانهائيته، لك فيك، ومنك إليك بمؤنس طلعته ومتواصل سعته، لا إله غيره لعينه لك، ولا عابد ولا معبود سواه لمعناك له. {كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام}[١].

يا أيها الإنسان، ما غرك بربك الكريم، الذي من نوره خلقك، ومن الكون ظهرك، وبقديم إنسانه سواك، فعدلك، ففي أي صورة لمعانيه بأسمائه الحسنى، ما شاء ركبك، وإن شاء تجلاك وظهرك. تأمل كيف خلقك، ثم حققك، حققك ثم به شغلك، فكان هواك، وبهواه قتلك، ثم به حقا بعثك، وبالحق علمك، فلم ترك سواه في عِلمك وعَلمك، ثم لأناه أشهدك، ولعين أناك تواجدك مؤمنا لمؤمن، معيتك بالحياة لقائمك بالحياة، أينما كنت، عرج بك في السماء، أو أولجك في الأرض، أو أخرجك منها إلى السماء الدنيا، تدب عليها بقدميك، عبدا وربا وإلها لوجودك في تواجدك، وللوجود مثلا أعلى أخرجك وعرفك، {في أي صورة ما شاء ركبك}[٢].

تفتح بنوره قلبك، فاتحد بصرك ببصيرتك، فرأى فؤادك ما رأى. وهو عين الحق كما ترى. فلست بحقك غير فؤادك ولست بفؤادك غير ضميرك.. ولست بظاهرك غير باطنك.

انصهر وفار قلبك كيانا هشا لطيفا انتشر في سائر جسدك، ثم من الجسد تحرر فطواه، وصار القلب كلا وأصلا لمعناه، بظاهر مبناه، وأحاط بالجسد مبنى فاحتواه، وجعل منه فؤادا لجديده ولطيف مبناه وواسع معناه.

تنطلق بفكرك وبصرك إلى ما حولك، ثم تنطلق بفكرك ووعيك وبصيرتك إلى ما فيك، كرتان تنتهيان إليك معنى ومبنى، فترى خلق الله لا تفاوت فيه، وترى فطرة الله هي عين صبغته، فتراك أنا لصبغة الله وفطرة الله في واسع فطرة الله وصبغة الله، أزواجا في ذاتك تواجدت، وأزواجا في الحياة تعاليت، وأزواجا في الحقيقة تلاقيت. ومن أحسن من الله صبغة وفطرة.

تعرف ذلك وتقومه يوم تدخل في حصن وحدانيته بشهادة لا إله إلا الله، يوم تطرق باب رحمته، وطريق استقامته، وسلم شرعته، بمن جعله لك وللكافة من الناس حقًّا، وصدقًا، وأمرًا لله، ومثلا أعلى منه لك عبدا له ومعلما لك، ورسولا منه ووجها له ووجه الحق لك، بشهادة محمد رسول الله، وآدمه قائما دائما متكاثرا لقائم حقه لآدمك ومعناك لقائمك لشهادتك وغيبك، دائما رحمة من الأكبر والأعلى عليك، رقيا لك خلفه لا ينتهي، وعطاءً بيده من الله لا يجذ.

أنت لمن كان لمحمد ربا عين وقائم العبد له، ولمحمد ظله وعينه. وأنت لمن به وبظله هداك، وقَوَّم فيه مسراك، وأقام بك حكمته، وعنون بك شريعته، وبين بك كتابه وسنته، مؤمنا مرآة لمؤمن، يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه. أنت بذلك رسول الله، وظل لرسول الله، ومن عترة رسول الله، يوم تقوم بنوره نورا لله، سرى فيك به، هو نور جديد أنانيتك، إليه تنقلب مبعوثا بالحق، وإليه في دوام مثلا أعلى لله بالحياة، المنقلب...

متخليا عنك ظلاما، ومتخليا عنك كلاما، إلى قيام به قياما لك، بقائم حق، بعلم وحكمة.. ينطق منك بحكمته رسالةَ الله.. ويقوم بك بعلمه كتابَ الله.. ويُبين بك معالم الطريق هديَ الله.. ويُشعل بك مصابيح الصدور شمس الحياة.. ويسقي منك أرض القلوب أنهار رحمة الله.

يا أيها الإنسان.. ما غرك بربك الكريم، إنك إليه كادح كدحا فملاقيه في كرة رابحة، بعد عديد من كرات خاسرة، بجلود ناضجة، يوم تلاقي العبد فيه.. يوم تلاقي الإنسان له.. يوم تلاقي الحق منه.. يوم تعرف في الله معلمك، والخبير برحمته إليك من الشهادة، هو وجه الغيب لك.

{إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا}[٣]، عبدا وأي عبد! {وقل جاء الحق، وزهق الباطل}[٤]، {والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم}[٥]، رحمة الله، ورسول رحمةٍ أكبر، من الأكبر لله. فكيف يتحقق للناس سلام بدونه! وكيف تستقيم لهم طريق بعيدا عن تعاليمه!

مَن محمد؟ إنه بذاته آدميةً مُجرد عنوان متعدد متكاثر متكرر لقبضة نور الله للسماوات والأرض، إنه نور على نور كلما قام برسالة، {والنور الذي أنزل معه}[٦]، {وبالحق أنزلناه وبالحق نزل}[٧].. {جعلناه نورا نهدي به من نشاء}[٨]، جعل الله له ذاتا تتواجد بروح متجسد، {فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا}[٩].. {فأرسلنا إليها روحنا}[١٠]، {جعلنا له نورا يمشي به في الناس}[١١] نورا يمشي به الله في الناس، (يقوم ويتقلب في الساجدين)[١٢]، يتلو كتابه على مكث ليبين لهم، وإذا سأله عباد الله.. إذا سأله عباد الرحمن.. إذا سأله عباد ربه.. إذا سأله الناس، وهو في قيامهم دائما بقيام، بَشَّرهم منه بالسلام، وأن منشودهم منهم قريب، وأنه لهم مجيب، مجيب دعوة الداعي إذا دعاه، فليؤمنوا به وبرسوله، ولا ييأسوا من روح الله لهم بالله ورسوله معيتهم بالحق، لعلهم يرشدون، فهو به للمؤمنين على كل نفس قائم، وأولى بها منها، وهو قائم الحياة في حياتهم، والقيوم عليها لهم حتى لا تزول عنهم، هو يد الله لهم والسماوات والأرض خلقُهم. هو الذي {يمسك السماوات والأرض أن تزولا}[١٣]، (والذي نفس محمد بيده)[١٤].

إن الذين آمنوا بالله ورسوله كانوا أعلام الإيمان بهما، وأسماء المؤمن لهما.. كانوا قيام وقيامة الرسول، كما كانوا بأحدية جمعهم قيامة الحق بأسماء الله وصفاته، له الأسماء الحسنى.. كانوا وجوه الله وآياته إليه بهم يتوسل.. كانوا إنسانية الله فيه، للناس فيهم بهم يشهد، وإنسانية الراشدين فيهم وبهم يعلم.

{أليس منكم رجل رشيد}[١٥]، (يسمع القول فيتبع أحسنه)[١٦]، هو {الرحمن فاسأل به خبيرا}[١٧]، رجل يذكر الله وحده، ويذكره لنفسه عبدَه، فيعرفه رسولَه، ويشهَده وجهه.. بيت قبلته لصلاتهم لظلاله ومعاني عينه، ومصباح حقيقته لقلوبهم بيوت ذكره، يوم يُشعل مصباح قلبه في مشكاة صدره بنور ربه، قيامة ذكره لقائم عبده ورسوله لمعاني نفسه.

رجلٌ لا تلهيه تجارة ولا بيع عن ذكر الله، يُعطى الدنيا شبحه وجسده هو حقها عنده لتتطور، ويعطي الله قلبَه وفؤاده وهواه وهو حقه ليظهر، ويعطي رسول الله عقله وحياته وهو أمره ليجاهد ويعمل، فيُشهَد نورُ الله به، يرده إلى مصدره، وتظهر حكمة وروح قدس ربه له ومنه رسولا لله في معراج دائم رسالته، زويت له الأرض، وظاهرته السماء، فيردها للأعلى هو له ظل.

صلى عليه أزل الجنس أعلاما لله وحقائق له ملأ لله، ملائكيا وحقيا به، يوم وجده منه، وعرفه خليفة الله في الأرض مزوية له، فناءً فيه، وحق الله لناظريه، المؤمنون ظلال له في قيامهم به، هو يد الله لطالبه، ووجه الله للسعيد به.

صلى عليه الإنسان وملؤه في كماله في قدم، لا بدء له بآزال لجنسه لا أول ولا بدء لها، وهكذا هو يفعل كلما تجدد القديم بظهور له في جديده بخلقه. وهذا ما عناه التبليغ من {إن الله وملائكته يصلون على النبي}[١٨]، فالنبي بهذا وجود حقي، ومعنى قائم بالله في دوام يظهره خلقيا في الخلق في سلام.

طلب الحق به ظاهرا بمحدث ذكره من خلقه رسولا إلى الناس أن يعرفوا الله خالقا لا خلق معه، وموجودا بالوجود لا شريك له، يعرف في التخلق بخلقه حق معرفته، وإلا ما طلب الرسول إلى قومه أن يتخلقوا بخلق الله على ما كان لأزل الإنسان به وفى أبد الإنسان له، معرفا عن الله أنه ما ظهر في شيء مثل ظهوره في الإنسان، وبالإنسان، وللإنسان، أزليا في ظهوره بالإنسان، أبديا في ظهوره للإنسان، سرمديا في ظهوره بالإنسان، فقام دينه واستقامت طريقه على أن يصل مُحدث الإنسان لقادمه قديمه عن طريق قائمه فطرة الله وصبغته في سرمده ودائمه.

طلب الرسول إلى إنسانية القيام سرمدية التواجد.. طلب إلى جِدَّة الإنسان متواجدا أبديا.. طلب إلى الناس.. طلب إلى الخلق أن يتخلقوا بخلق قديمهم في أحسن تقويم، تخلقا بأخلاق الله، فيصلون بدورهم على من صلى عليه قديمهم باسم الله، وباسم صبغة الله، وباسم ملأ الله حق قيامهم بقائمهم بين يدي رحمته لقيومه عليهم من أنفسهم، عروة وثقى لدورة الحياة بين ظاهرها وباطنها، بمعاني حقه وخلقه، دائبة سرمدية.

وما كان معنى الصلاة إلا أن يتخلقوا بخلقه فيتخلقوا في أنفسهم بخلق قديمهم من الله لظهوره بالإنسان، يوم يتخلقون بخلق الله في تخلقهم بخلق رسوله، إذ يستجيبون به لهم في حقيقتهم في استجابتهم لهديه برسولهم لحقهم منهم، وقد هداهم إلى ما يحييهم ببلاغه مع نبيه، وقد بلَّغهم أن تخلقوا بأخلاق الله لتكونوا عملكم لظهوركم بجديد الإنسان منكم، على ما كان لأبيكم ولآباء من قبله لجنسكم. {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون}[١٩]، (قبل آدم مائة ألف آدم)[٢٠].

ولا يتخلقون بأخلاق الله إلا يوم يتابعون من تخلق بأخلاق الله، رسولا بينهم، رسولا من أنفسهم، الله من ورائه بإحاطته لحضرة رحمته، كما هو من ورائهم بإحاطته لحضرة أمره...

وجهان لله بين شاهد ومشهود بنور الله يلحقهما ويقومهما، لوجوه لله عديدة لحقها لطيف نور الله يوم لحقها نور الله أُنزل معه، فامتد بنور الله معه، وبنور الله فيه، وبنور الله له في خلق الله، ليكونوا بنور

الله لهم عبادا لله، فيشهدوه به وجوها لله تشهد وجها لله، ويشهدها له وجه الله إليه من خلاله وجها جامعا لوجوه. هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[٢١]، {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}[٢٢]، {وقل جاء الحق}[٢٣] وهو لك، {وزهق الباطل}[٢٤] كان لهم.

البقاء لله وحده، والفناء لكل غير الله. كل من عليها فان من حيث غيريته، وهو عليها باق من حيث حقيته، وفي جنة عرضها السماوات والأرض منطلق، وساع، وجها لله، على ما كان لله، {كل من عليها فان ويبقى وجه ربك}[٢٥] في {جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين}[٢٦]. المتقون الذين يرثون أرض قلوبهم تحيا بذكر الله وتتكاثر بأسماء الله، يتبوؤون بتكاثرها من الجنة حيث يشاؤون، بهم تتسع السماوات، ويتكرر لوجوده الوجود كلمات طيبة باسم الله، فرعها في السماء تؤتي أُكلها كل حين، وأصلها على الأرض ثابت حتى تُبدل الأرض غير الأرض والسماوات، بجديد خلافة عليها بمحمود من مقام للإنسان عن الإنسان. {فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض}[٢٧]. يرث الله الأرض ومن عليها يوم يرثها عباده الصالحون، وهم وارثوها في دوام، ومورثوها في أمان وسلام، يوم تزوى الأرض لهم على ما هم بقديمه، وعلى ما يكون لجديد منهم قام أمره وبعث أصله.

إن من بقي وجه ربه، بنور ربه.. برحمة ربه.. بعزة ربه، بجلال ربه.. كان وجها ذا جلال، لمن خلق فسوى، باصطفائه لعين اصطفاء أبيه، فقد كان مضافا لأبوته، وجها له مكرما به، أكرمه الله.. وأعزه الله.. وأجله الله.. وقدَّره الله.. وأكبره الله.. ثم بالأكبر سواه فظهره، ورحم به، فظهر به فيمن رحمه كلمة لله ووجها له. {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم}[٢٨] يوم دخل في حصن وحدانيته، بالدخول في لا إله إلا الله شعار رسالة الفطرة، وشعار حقائق الفطرة، بأوادمها متوفاة.

هو ما كان شعار رسول الفطرة وعلمها، وشعار الحق الأزلي به من الله، وشعار الخلق الأبدي بالمؤمنين بالله ورسوله، وشعار عباد الرحمن، من كوثره يتواجدون، يمشون أعلاما له على الأرض هونا، في تواضع، في رحمة، في رقة، في علم ومعرفة وإحسان، يخفضون جناح الذل اقتداء برسول الله، ونفاذا وقياما بفيض رحمة اللـه.

رجال لله لا يستعلون ولا يستكبرون، وإذا خاطبهم الجاهلون يسالمون، وما في خصام مع أحد من وجوه الله يجادلون، ولا في حرص على الأشباح ينامون، دوام رسالته، وخدمة نبوته، وبيان كتابه، وجديد ألواحه، في مساء الإنسان وإصباحه، بأيام الله تتلاحق وتتعاقب، {ما ننسخ من آية أو ننسها نأتِ بخير منها أو مثلها}[٢٩].

هذا هو الإسلام.. هذه هي الفطرة.. هذا هو الحق من الله بمحمد جاء ولم يغب، وعمل ولم يحتجب.

فماذا فعل ويفعل الناس لكسب جنتهم في محنتهم من حجابهم؟ ماذا يفعل الناس في سمائهم من الدنيا بداية معراجهم وأول خلاصهم؟ ماذا يفعل الناس بعملهم لتطورهم على أرضهم لنشأتهم؟ ماذا يفعلون بأنفسهم ليحيوها ومن معاني ومباني العدم يخرجوها؟

أفي أنفسهم يبصرون! أعن الله في أنفسهم يبحثون! أعن أنفسهم من الله وإلى الله يحارون! أفي الله به يقومون وبه يضلون وبه يهتدون، ينشغلون!؟ أأرواحهم أم أجسادهم لأنانيتهم يختارون! أالله معهم ينشدون! أالله عليهم يتقون! أالله في خدمتهم يقدِرون! أالله فيهم بعضهم البعض يحترمون ويتحابون! ويسالمون!

أأربابا معلمين لهم به فيهم من بينهم يتخذون! ومن دونه يحذرون ويجانبون! أالمثل الأعلى بينهم من عباد الرحمن يقتدون! أإن غاب عنهم ينشدون! أبضرورة دائم قيامه بينهم، مخرجا من الله، على ما وعدهم يؤمنون وعنه يبحثون، فَمثل السوء بينهم منهم منها ينفرون، وأنهم لم يكونوها لله يحمدون، ولحديث الله دائم الترديد منهم بينهم يسمعون، فبه يشعرون، وبقدرة الله معهم مجندة لهدايتهم وخدمتهم يدركون؟ ذلك لهم يوم هم للرسول بينهم يلاقون، وعليه يتجمعون، فيه يحمدون ويحمدون.

أفبحكمة الله أبرزها في دوام يتعظون؟ أببطشة الجبار بكل جبار على ما يشهدون يرعوون والله يرهبون، وعن طغيان أنفسهم يقلعون؟ أم أنهم لكل ناعق يسمعون! ولكل جبار يوالون! فريقا له يطيعون! وفريقا معه يتخاذلون! وفريقا به يقتدون! والظلم يعشقون، ولأنفسهم يرجون! وكل جاهل مثلا أعلى يتخذون! مالكم كيف تحكمون! أآلهة مع الله تقبلون! وإذا ذكر الله وحده تكفرون! وتجحدون وتنكرون! وعباد الرحمن بينكم تحقرون وتتجاهلون! فريقا تقتلون! وفريقا تخاصمون!

في كل يوم له على أرضكم ومن أنفسكم وفى أمركم آية! أفلا تتعظون! انظروا الأمم من حولكم ماذا يفعلون! أنتم أمة الفطرة مقطعين! قصاعا لهم، عليكم باستعمارهم يتجمعون ويتخاصمون! وبماذا بأنفسكم أنتم تعملون! يبطشون بكم متخاذلين! وأنتم بالهوان راضين! فإذا حرركم الله من قبضة الظالمين تظالمتم بينكم طاغين! انظروا كيف أنكم إذا بطشتم بينكم بطشتم جبارين! انظروا إلى ما يتردد بينكم اليوم في سوريا والعراق مثلا للمسلمين! وعما هو قائم في فيتنام أو في الكنغو، أو في اندونيسيا، أو ماليزيا، ومعظم البلاد الحديثة التحرر في أفريقيا وآسيا، وأمريكا الجنوبية والشرق الأوسط من المنظرين! وانظروا كيف تتعامل الدول القوية من المختبرين مع جماعة الدول المستعمرة من إخوانهم في الاختبار والإنسانية، باسم السهر على السلام والحريـة.

أمة هي باز (أمريكا أو روسيا مثلا) تنقض على أمة هي عصفور (فيتنام أو كوريا أو كوبا أو المجر مثلا). انظروا كيف تزهق الأرواح، وكيف تختفي الأشباح. انظروا عواصف النفوس ثور إعصارات جبارة، تهب على بستان الله في أرضه، فتسقط الثمار فجة، وتذهب بالزهور خديجة...

لا تتركها لتنمو لتعطي الزهور عبيقها في أرضكم بأريج الله، وجمال الله، أو تترك الثمار حتى تنضج فتتساقط ثمارا طيبة، ناضجة في بستان الله.

قطوفها دانية، لمن يملكه من الآباء والأحياء آبوا إلى الله وبقوا بجوار رحمته ممن مروا في أرضكم، وبلغوا في الله رشادهم فكانت الدنيا متاعا لهم، {وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع}[٣٠] وما الحياة الدنيا لأهل الآخرة إلا متاعا مملوكا لهم، (ينقطع عمل ابن آدم إلا من ثلاث، علم ينتفع به، أو صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له بخير)[٣١]، والأرض يرثها في دوام الصالحون، يوم ينكشف للصالحين أمرهم، وللمصلحين إمامُهم.

إنكم أبناء من سبقكم من طبقات الإنسان إلى أزل، وأنتم في عين الوقت رد وبعث الآباء لسبق لكم من طبقات الإنسان لم تتوفَ بحق بين صالح وطالح، فطبقات الإنسان كما ترفع على ما تشهدون طبقا فوق طبق، ترد وتبعث على ما يجب أن تعلموا طبقا بعد طبق، {والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع}[٣٢].

فأنتم الطبقة الوسطى بين طبقتين من طبقات الإنسان بأخياركم، والطبقة السفلى والأسفل بشراركم، فما أنتم إلا مواصلة طبقات الإنسان لعملهم في قديم إلى عملهم في قادم، أنتم أعمالهم ترد إليهم. يسعدون يوم يرونكم في هداية من الله، وفى رحمة من الله، وفي رعاية من الله، هي نعمة الله عليهم. ويشقون يوم يرونكم في غضب من الله، ومقت من الله، وغفلة عن الله، وفى هذا عذاب الله برد أعمالهم إليهم. فالصالحون من أنفسكم رسل حقائقهم لإنسانكم إليكم. كان رسول الله جماعهم بوجه جامع لوجوهه بهم وجها لله لجماعهم وجمعهم.

إن رسول الله، وهو أصل أصولكم لقادم، وثمرة الأزل للجنس في خلقيته بقائم، والأمر الوسط، والطور الوسط، للإنسان في سرمديته، في دائم أوليته، أولية خلقكم لأوليات خلائقكم، حقيقته حقيقة حقائقكم، ورسالته رحمة الذات والمعنى المطلق لكم، ونعمته عليكم، ووجه طلعته بينكم، وقيوم رحمته عليكم، يقول لكم (تُعرض على أعمالكم فإن وجدت خيرا حمدت الله وإن وجدت شرا استغفرت لكم) [٣٣]، (أمة مذنبة ورب غفور)[٣٤].. هو العَلم على الأعلى عند الأدنى دائما.

زويت له الأرض مُعلما وشفيعا، وجُعلت له مسجدا وطهورا، فلا تفرقوا بين أُممها وأهلها ودُولها، وبقاعها، نسبة إليه، وهو رسول الفطرة وكسبها.

تأملوه يُعرِّفه عنه النائم يطوف بالكعبة بالناس نيام، رسول رسالة الفطرة، وأساس العلم، جعلت الأرض له مسجدا وطهورا. فهو في كوريا كما هو في فيتنام، وهو في أمريكا كما هو في روسيا، وهو في الهند كما هو في الصين، وهو في أفريقيا، كما هو في آسيا. فما كان إلا كافة للناس رحمة من الله يُبعث في أُمم الأرض روح قدس الله لها لأُممها وسماواتها.

هو رسوله إلى أهلها أحياء وأمواتا، {إن لك في النهار سبحا طويلا}[٣٥]، {إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا}[٣٦]، (يقوم ويتقلب في الساجدين)[٣٧]، يحدث كل قوم بلغتهم، {وما أرسلنا من رسول إلا بلغة قومه ليبين لهم}[٣٨]، {ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء}[٣٩]، {وما أرسلناك إلا كافة للناس}[٤٠]، {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا}[٤١]، (كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[٤٢]. أما الإسلام فدين الفطرة، وها رسول الفطرة وابن بجدتها.. ها هو إنسان الفطرة وحقيقتها.. ها هو رسول الفطرة وكتابها.. ها هو عَلَم الفطرة وأحواضها.. ها هو نور الفطرة ومشاعلها قام في الناس خاتما وطابعا مرضيا للنبيين، على خطرهم وخطره بينهم ليكون أولا للعابدين، وإماما للنبيين، وروحا للساجدين، أما ما هو أخطر لأمره ولأمرهم فكونه أصلا لظلاله من الأئمة للمؤمنين، والعلماء العارفين، بعثا للنبيين في أمته متوفين، كلمات لله مكملين، شهيدا على الشهداء محيطا لهم محيطين.

الخير فيه وفى أمته إلى يوم الدين، علماء أمته كأنبياء بني إسرائيل وهم على عين بصيرته بما هو أقوم، وبما هو أظهر وأعلم، رقيا له برقيه بهم، وقد أظهره الله على الدين كله، وهو مظهره على الدين كله، يقوم ويتقلب في الساجدين ممن دعا بدعوته، قياما ببصيرته بصيرة له، وقام بدعوته دعوة له بعثا به وجديد قيام له، حتى يبعث بالمحمود لربه يوما بعد يوم للدين.

فما كان بدعا من الرسل بذاته، ولكن الذي تميز به بحقيقته تجديده لبدء عبوديته بعترته، جديدا لقديم بتكاثر على ما كان من أمر آدم، باصطفائه في مستديم يتواجد، وبكلمات الله إليه يتصاعد، تمهيدا لتوفيه رقيا لتمام، بتوفيه إنسانا وحقا لقيام بقيام خلافته على جديده، بإنسانه بحقه في قديمه مبعوثا بالحق على قائمه بالخلق، لتعريفه عن معروفه لغيبه، يتجدد بذوات مرسلة لتصنع على عينه، لعين حقه بمعاني الحق واسمه، هو له في قائمه ودائمه بعثا لظلال له في قديمه لتكون في قادمه لعين حقه من خلال قائمه بوصف خلقه، كما هي في أزلها لأبدها بقائمها، دورة الحياة الخالدة في مشروعها الأبدي الدائم لحقها الأزلي القائم.

باسم الله الرحمن الرحيم قام الرسول.. وباسم الله الرحمن الرحيم قام كل نبي من قبله لتمامه، وكل ولي من بعده لتمام بعثه بمحمود قيامه، وكل حكيم من قبله ليبعث به بأحسن تقويم، وكل إمام من بعده لتمام قيام به بالحق القويم.

والرسول يقول وهو الصادق (أُعطيتها لي ولأُمتي)[٤٣] فقمتها، ويقومها أهل البصيرة من عترتي. قمتها كتابا حيا يكتم أمره ويبين عن أمر الله به، كتابا منزلا به قمت، وبه بلغت، وبه أبنت، وبه يقومون، وعن نوره لأنوار هديهم وحكمتهم يصدرون، وعنه لا يفترقون. فالثقلين تركت كتاب الله وعترتي هديا قائما، وطريقا مشروعا مستقيما، وعلما متجددا قديما، وخلقا متخلقا متحققا قويما، وبكوثري متكاثرا، ممتدا متواجدا، نورا منتشرا متزايدا.

إن المعصية للمأمور والمشروع من المناسك لا تعنيني كثيرا، ولا تحول بيني وبين الناس مستغفرين مؤمنين بالله ورسوله، ولا تقطع الناس دوني مغفورين محبين لله ورسوله، أنا ظاهر لباطن للرب الغفور، والرفيق الأعلى، أُرسلت رحمة للعالمين، ولم أُرسل نقمة على العالمين، بل موقظا لهم ما دخلوا بيتي.

عرفت مُعلمي إنسانا هو وجه ربى الجامع لوجوه أسمائه، وهو على عين معناي للأعلى لإنسان الله عبدا، في معراج إلى الأقدس والأعظم. علمني وأعلمكم أن العبودية لله وحده، وأن الرب لمعنى وجه الله غيب عبده، والعبد في الله عين ربه، يراه حقه في الله ذي المعارج إلى حضرة أهل الرشاد به حضرة لله لا عبد ولا رب فيها، ولكنه الله في أحدية واحديته بآحاده وجوه لوجوه له، وقلوب لقلوب له، وقوالب بعوالم لقوالب بعوالم هي عروش ملكه في ممالكه لا عد ولا حصر لها، حقية الله بالحق لهم هم أسماؤه، وهم آحاده، وهم حقائقه، في مطلقه يتواجدون ووجوه لانهائية يتراءون.

إذا كان هذا ما منه لكم يوم به تؤمنون، ورسوله تتابعون، فعلى أي أمر بعد هذا على أرضكم تختصمون؟ ولأي سبب أرواح بعضكم البعض تزهقون وكل نفس منكم هي الناس جميعا يوم تصلحون؟ ألسلطان باطل لنفس على نفس لا قيمة له موقوتا لا يدوم، له بعضكم على بعض تفرضون، وفى سبيل فرضه عليها كرها عنها لها تزهقون، وعلى سلطان باطل ونعيم زائل تتقاتلون؟

أعلى الأرزاق أعطيت لكم من فاطر السماوات والأرض تتزاحمون وتتقاتلون، وقد أُعطيت لجمعكم ولأفرادكم، لعاصيكم ولطائعكم، لجاهلكم قبل عالمكم، لغافلكم قبل يقظكم بما يكفيكم وأكثر من كفايتكم، هي لكم بالعدل والإيثار تتقاسمون، أعليها تتصارعون حتى الموت؟ مالكم كيف تحكمون! ما هذا الذي تفعلون! إنكم تُسقطون ثمار أشجار جنتكم لذواتكم قبل أن تنضج، حتى إذا جاء موسم اقتطافها كانت الأشجار خالية منها، فكانت قفرة من أهلها الدار.

أما آن لكم أن تنشدوا السلام مع الله في نشدان السلام مع بعضكم البعض! ألم تسيروا في الأرض فتنظروا كيف كانت عاقبة الذين من قبلكم، كانوا أشد منكم بأسا، هل يُسمع لهم من صوت؟ هل يسمع لهم رجزا؟ أين عاد؟ أين ثمود؟ أين هولاكو؟ أين آل رومانوف؟ أين آل هوهنزوليرن؟ أين العثمانيون؟ أين أبناء قولة؟ أين المماليك؟ أين التتر؟ أين الملوك؟ وأين الغجر؟ لقد حصدهم من زرعهم، وما ربحوا من زرعهم يوم تواجدوا في مزرعة آبائهم، فما استطاعوا مضيا ولا هم إلى أهلهم يرجعون.

فماذا تنتظر أمريكا وحلفاؤها أو روسيا وحلفاؤها في غدهم، إن بقوا على أمرهم من المنابذة والخصام؟ إن الذي لحق من قبلهم لاحقهم، وإن حاصد الناس حاصدهم، وإن الباطش بالطغيان وأهله باطش بهم، إن كانوا هم أو غيرهم، من أُمم الأرض.

ما استعلى إنسان على إنسان، أو بطش إنسان بإنسان مستعليا بمعنى الإنسان له، متجاهلا معنى الإنسان لأخيه، مُذِلا له بوصف الخصم له وكلهم للأب الواحد في البيت الواحد، إلا بطش به الله معزا للضعيف مذلا للقوى. {وتلك الأيام نداولها بين الناس}٤٤.

أبرز الله للناس رسلا من أنفسهم، حكماء وأنبياء وعلماء وأئمة وأولياء، وما كانوا إلا رجالا يوحى إليهم. وها هي السماء تجيء بكلها وكليلها.. ها هو الوحي يأتي بنفسه ومعناه ليبرز ويُعرِّف عن الجزاء والعطاء، ويدعو إلى السلام ويعمل له.. ها هي دواب السماء تجتمع على دواب الأرض من سكان الكواكب.. ها هي إنسانية العباد لله، إنسانية الرشاد، إنسانية الأرباب، إنسانية الآلهة، إنسانية الحقائق، تداني إنسانية الخلائق، ويخاطب أهل السماء أهل الأرض بجديد من الأمر، وبميسر من الوصل، عن طريق بعضنا مصطفين للبعض مساقين رسلا من أنفسنا، هم وسطاء للأعلى من الإنسان في مجالاته إلى من هم له من بيننا ومن أنفسنا، وآخرون ومن أنفسنا وسطاء لمن كانوا في عالم أدنى ودوننا من عالم الجان فصاروا منا وصاروا لنا، وصاروا إلينا، وصاروا معنا، وإخوانا لنا باستقامتهم ومجاهدتهم.

ها هي البشرية يظهر فيها نظام الوساطة بالوسطاء بيانا لما أنكرنا لأنفسنا بالاستقامة من حال الأنبياء، مُثلا أبرزها الله لنا للاحتذاء، يعطينا بمتابعتها نفس العطاء. ها هو يتجمع للوسيط في عين إنائه، في غيبوبته عن نفسه غيبوبة كاملة أو غيبوبة واعية، يتجمع له عيانا بيانا الحياتان، من الدنيا وما قبلها، أو من الآخرة وما بعدها، من عالم الروح بعد الجسد، ومن عالم الروح قبل الجسد، ومن عالم الروح متجسدا في عالم الأشباح من قائم هذا العالم، أو من عالم الروح من أهل هذا العالم معلوما لنا، يأتي روحا محررا من سجون الذوات والنفوس والأجساد. ها هي سائر العوالم الروحية والكوكبية تتصل بنا

حتى يتبين لنا أنه الحق في كل مكان وفى كل زمان وفي سائر العوالم والأكوان، حتى يتبين لنا أن الله أقرب إلينا من حبل الوريد حقيقة ويقينا، وأنه معنا أينما نكون صِدقا وفعلا بحقائقه وأسمائه.

بدين الأنانية للروح حقا، ودين الغيرية للذات، يفجر الله الأرض عيونا وأحواضا لماء الحياة هو متخللها، وتتفتح أبواب السماء بماء الحياة سحبا ينهمر ماؤها ويداني الأرض بالحياة لطيفها، ويلتقي الماء على أمر قد قدر من أهلها، انشقت عنهم الأرض انشقاقها عن سرابها لأهلها لسراب لقائها من رجع سمائها.

عباد للرحمن من الغيب، وعباد للرحمن من الشهادة، يتلاقون في صعيد واحد من أنفسهم، أرواحا في إطار الأشباح، وأشباحا هي عين الأرواح، وهذا ما وعد به كتاب الله بين أيدينا، وهو يقول لنا {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق}[٤٥].

{هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك، يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا}[٤٦]، {ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة وانه على جمعهم إذا يشاء قدير}[٤٧]. {وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون}[٤٨]، {ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء}[٤٩].

إن الذي نشهد من أمر رسالة السماء بالروح لأهل الأرض، بالوسطاء والعلماء والأئمة والرواد في هذا العصر، إنما هو كمال الرسالة القديمة بالحكماء والأنبياء والأئمة والعلماء إلى دورة الحق لإنسانية الأرض، ليظهر الحق للإنسان، بالإنسان، عند الإنسان، في عوالم الإنسان.

إنه تقارب واجتماع الإنسان روحا في قوقعة ذاته، والإنسان استكمل معناه، وانشقت عنه أرضه من قوقعة ذاته، منطلقا في داره عرضها السماوات والأرض، لا تظله سماء، ولا تقله أرض، ولا تحجزه السماء عن الانطلاق في الواسع العليم، ولا تمسكه الأرض عن التحرر إلى معنى الإنسان الطليق، عباد للرحمن ذوو قلوب كبيرة تدخلها نفوس مطمئنة في عالمي الحياة للبدء والمواصلة، هي بذواتها عوالم الجنة، أبوابها لحقائقها، أوادمها لخلائقها.

هذا هو الذي تبينه لكم رسالة السماء برسالة الروح، استكمالا وتماما لدورة رسالة الفطرة، بإنسانية الشهادة، بجديد بدء لمحمود قيام، حتى تجتمع إنسانية الشهادة على إنسانية الغيب.. حقائق العبودية وحقائق الربوبية، حقائق لله، وأسماء لله، لا فرق بينهما ولا فرقة لهما ولا بين لمعنىً بينهما.

فيتحقق إنسان الشهادة بإنسان الغيب، ويعلم حقيقةً أن الإنسان، إنما هو وجه لله، وحق من الله، وجارحة لذات الله، في عظمة ذاته، بإنسانية ذاته، من ذوات الإنسان الكامل، قائما بمجالاته في عوالم الغيب والشهادة لعالم رشاده...

وحتى يظهر لنا بصدق لعيانه بلاغ الفطرة، {إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون}[٥٠]، وحتى يعرف الإنسان أن ما اتصف الله به عنده، إنما هي أوصاف الحق فيه، وأوصاف إنسانية الحق له. فإن قام بذلك، به مؤمنا، وله عارفا، وبه عاملا، قَدَر الله حق قدره، وتقدر الله عنده على ما يليق بالله في تقديره، فقدره الله ولنفسه اصطفاه فأبرزه وجه جلاله للمؤمنين بالله ورسوله وجوها له.

لو أن هوية البشرية.. لو أن مدنية البشرية دارت في فلكها الحقيقي في فلك الإنسان، والعلم عن الإنسان، وعلم الإنسان، وعلم الروح للإنسان، وعلم الذات للإنسان، وعلم الوجود للإنسان، وعلم الأطوار للإنسان، فعرف الإنسان مِمَّ خُلق؟ وعرف الإنسان كيف يتخلق، ووصل الإنسان في تطوره في معراجه في الله ليكون لله وجها، ولله اسما، ولرسول الله روحا وكسما، ولعبد الله حقا وقياما، ولنور الله فعلا وإعلاما، لحققت الإنسانية غايتها من السلام، وغايتها من الأمان، وغايتها من العدل والإحسان.

لو أن مدنية الإنسان دارت في الإنسان، وحول الإنسان، لتضاءلت أمام ناظريه وخضعت بين يديه قضايا الطبيعة، ونعمة الأرض، ونعمة السماء، فما أزهق روحا، ولقام في الله مسيحا سبوحا، ولعرف أن من قتل نفسا بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا وأتى فعلا قبيحا.

فكل نفس إنما هي نواة لآدم، وكل آدم إنما هو نواة لوجود، وكل وجود إنما هو نواة لإنسان حق، وأن من أحيا نفسا، فكأنما أحيا الناس جميعا.

ابدأ بنفسك فأحيها تُحيي الناس جميعا وتكن الناس جميعا، ثم بمن تعول لترفع طبقا عن طبق، ولو أن الله هدى بك رجلا واحدا لكان في ذلك من الله لك هداية للناس جميعا.

فإن هدى الله بك نفسا وأنت المهتدي، مقرا لله وحده بالذكر والهداية والفعل، لكنت الهادي بالله للناس جميعا، لكنت رسول الله.. لكنت الحق من الله.. لكنت العبد لله.. لكنت الاسم لله.. لكنت اليد لله.. لكنت الوجه لله.. لكنت القدرة لله، قدرك وبك هدى لتتعالى وتتدانى بالحق في ذي المعارج.

هو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، هو الذي قدر فهدى، وهو الذي أخرج المرعى، فجعله غثاءً من حيث مظهره، وجعله حاويا لما لا تدركون من حيث مخبره، فهو أحيا مما تدركون، إنه يحمل

معاني الحياة، ويغذي معاني الحياة لمن يحييه الله حياة طيبة من بعد حياة، وحياة طيبة من بعد طيبة، حياة بعد حياة، طيبة بعد طيبة، هو الذي خلقكم أطوارا، خلقكم من سلالة من طين، خلقكم من المادة ومن الكون، وجعل من الكون والخلق جلبابا لكم بأشباحكم، وفى الحقيقة لقد تواجدكم لا خالق ولا مخلوق بأرواحكم فهو بكم متجل، يوم نَفخ فيكم من روحه، وسرى فيكم بنوره، (كان الله ولا شيء معه، ثم خلق الخلق، وهو الآن على ما عليه كان)[٥١]، لا موجود بحق سواه، ولا موجود معه، فالوجود له، وهذا هو ما جاء به محمد عليه السلام بشعار لا إله إلا الله، فأبقاكم به عبادا له يوم أشهدكم محمدا رسول الله، يقوم ويتقلب في الساجدين، فشهدتم الله أكبر بعين لا إله إلا الله لكم، وشهادة محمد رسول الله أنتم.

عباد الله.. اتقوا الله، واعلموا أنه لا إله إلا الله، وأنه الحق في قائم وقيوم الحياة، ظهر لكم بقيام للحق بينكم محمد رسول الله ليكونكم في متابعتكم له، فلا تضيعوا أنفسكم معه وهو معكم، ولا تجعلوا أعمالكم كسراب بقيعة تحسبونه ماءً، ويوم تأتونه لا تجدونه شيئا، وتجدون ما أنكرتم على أنفسكم من الحق، ومن معية الله لكم، تجدون الحق من الله معكم، تجدون الذي كنتم تنشدون معكم كان، ولكم كان، وبكم كان، وأنكم عليه أنكرتم، وبه أشركتم، فحبط عملكم، وله فقدتم، فقلاكم يوم قلوتم، فلم يجعل منكم وجوها له، ولم يجعل بكم جارحة فيه، إذ لم تقوموا به فيه ظلالا له وحقا لكم في متابعة رسوله، بالحق جاءكم، وباسم الحق قامكم، فبالحق صبغكم، وبالأنبياء هو خاتمهم وطابعهم وصفكم (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[٥٢].

عباد الله.. إنكم تتخذون بعضكم بعضا أربابا من دونه، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله، (ولا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله)[٥٣] على ما تفعلون، وعلى ما تقومون، وليتخذ بعضكم بعضا أربابا بالله، ولله المثل الأعلى في السماوات والأرض، هو الرحمن فاسأل به خبيرا...

وعباد الرحمن بينكم يربونكم، دينهم دين القيمة، وهديهم هدي القيمة، ظلالا لمن لم يجعل له عوجا قيما. إن الله بكم قائم، وبعباد له عليكم قيوم، والله لا إله إلا هو الحي فيكم، والقيوم بالأحياء منكم عليكم، يدعو كل أناس بإمامهم. إن إبراهيم كان أمة، وقد جعل محمدا أمة وسطا.

طبقا فوق طبق ترفعون بشهدائكم معكم، وطبقا بعد طبق تبعثون وشهداؤكم معكم. ترجع السماء منكم خبيثكم في دوام، وتمسك السماء منكم طيبكم في سلام، وتصدع الأرض منكم خبيثكم، وتخضع الأرض لطيبكم تزوى له، ولمن خاف مقام ربه جنتان، جنة قيامه على الأرض مزوية له، منطلقا في جنته باسم الله ووجها له، وجنته في نفسه بملكوت ربه سبحا في جنة سمواته إلى جنة الفردوس نزلا، لا يبغي عنها حولا، لتمام إنسان رشاده.

{الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه}[٥٤]، فلِمَ أنكم من أحسن القول تنفرون؟ وبالتافه من العلم ومن المعرفة تتمسكون؟ ومزيدا من العلم لا تطلبون؟ وإن قُدِّم لكم تنفرون وترفضون؟ ووراء الخزعبلات تجرون وتتعقبون؟

ليس الدين في المناسك وما كان بها يوما، ولكن الدين في العقائد وكان بها دوما. بأي منسك تتمسكون أنتم به عند الله مقبولون، يوم أنكم في عقيدة قلبية صادقة مستقيمة تقومون، يهودا أو نصارى، أو بوذيين، أو برهميين، أو مسلمين تكونون، فلله كل الدين ما لله كنتم. والله محل العلم ومحل اليقين ما في الله استقمتم، ووجه الله طلبتم، يوم أنكم له في كل شيء شهدتم، فبه تواجدتم، وله وحدتم، ووجهه قمتم، فشهوده ووجوده هو المقصود للعابدين، يقومونه، ويشهدونه، ويتلاقونه، ويتراءونه في يقين، هم به مؤمنين، وبعرفان قائم متحدثين.

ها هو الحق يداينا بآياته في كل وقت وحين، وها هو العلم يتكشف كل يوم بأمر بيقين مبين عن حق كنا منه نافرين، وبه مكذبين. فأساس الإنسان إنما هو العلم عن معناه، وليس أساس الإنسان في الشبح بمبناه، إحساسا به وخدمة له.

وما شبح الإنسان له إلا كتاب وألواح في كتاب الوجود لرب العالمين، أو هو أقلام كتابه لتخطيط صحائفه للقادر الهادي والمعلم المعين. {ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون}[٥٥]، {قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون}[٥٦]، {هل تعلم له سميا}[٥٧] على ما يتصورون ويتوهمون ويزعمون، ويدعون!؟

قال الرسول (كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[٥٨]، وقيل لعَلِيّ أصحابك قد خولطوا، فقال (نعم فقد خالطهم أمر جلل)[٥٩]، والناس للأمر لا يدركون وبه لا يشعرون، وان كانوا جميعا به يقومون. نعم، (نحن آل بيت لا يقاس بنا أحد، نحن عبيد الرحمن، والناس بعد عبيد لنا)[٦٠] ليكونوا بنا عبادا للرحمن يوم يعرفون، يوم يرتضونا مُثلا عليا لوجه الله من عباد الرحمن، يوم يؤمنون بعباد الرحمن وجوها للرحمن ينظرون ويشهدون، فيعبدون أنفسهم لله يوم يتابعون، نحن لله عباده، وله لظهور حقه وجوه طلعته، ونحن له لظهور فعله أيدي رحمته، ونحن بين الناس وللناس عترة رسول الله، وبيان شريعته بكتابه، وأبواب الرحمة لسكينة حجابه، نشهده في الناس وجوها لنا، لعين وجهه بنا.

هكذا سمعنا.. وهكذا تناقلنا.. وهكذا قام بيننا من قام بالحق من عباد الرحمن، فعليه أنكرنا، وآيات الله به جافينا وخاصمنا، والله مخرج في كل يوم، وفى كل وقت، وفي كل حين دابة من الأرض تكلم الناس أن الناس كانوا بآيات الله لا يوقنون، أليس في الناس من رجل رشيد!؟

لقد قالت دواب الأرض من القوم - وقد دبت فيهم الحياة - لبعضهم البعض "تكلموا تعرفوا نحن القوم أهل إشارة ولسنا أهل عبارة"، تجنبوا العبارة واكتفوا بالإشارة، ولكن الناس من عبارات الله أصابعهم في آذانهم يضعون، ومن موت أنفسهم بالحق يحذرون، وبموات من أشباحهم يحتفظون، وعلى الموت يكزون، ويصرون، ويحرصون، والحياة يرفضون، والله بجديده وقديمه أحواض الحياة لا يريدون، ولا يردون، (أنا فرطكم على الحوض)[٦١]، ماذا تفعلون؟ أنا الغفور وأنتم المذنبون.. أنا النور وأنتم المظلمون.. أنا الحق وأنتم الفانون، (كل الناس هلكى إلا العالِمون، والعالِمون هلكَى إلا العاملون، والعاملون هلكَى إلا المخلِصون، والمخلِصون على خطر عظيم)[٦٢]. مالكم كيف تحكمون!؟

أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم لكتاب الله تتلون، أفلا تعقلون!، أأسفارا تحملون، وحمرا مستنفرة تفر من قسورة دوما تقومون؟ وبحيوانكم من الأرض تحتفظون؟ وعلى ما في أنفسكم من حيوان أنفسكم تكزون، لا تغيرون، ولا تبدلون، ولا تستبدلون بحيوان السماء ودوابها بهم تبعثون، ولمعنى الإنسان لكم لا تطلبون، وفى معراجكم إليه لا تعملون؟

أبناءً لآدم بينكم لا تبايعون ولا تخاللون فيصطفيكم من اصطفى آدم وجعله إنسانا، ونفخ فيه من روحه فكان حقا وعلما وعنوانا، وكرم أبناءه فبعث ابنه بمعناه، وأرجعهما إليه والدا وما ولد إلى حق الله، مولى لهم ولكم، خالقا لهم ولكم، قائما بهم وبكم، فلِمَ لا تدخلون في حصن لا إله إلا الله، فتشهدوكم محمدا رسول الله يقوم ويتقلب في الساجدين فتغيروا ما بأنفسكم إلى ربانيين؟

إلى متى أنتم عن الحق غافلين، وعن الحق في أنفسكم صادين، وبالله أقرب إليكم من حبل الوريد مجافين، ولوحدانيته وأحديته قالين أو متجاهلين؟ {رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى}[٦٣]، فأنتم بحالكم في آخرة من أعمالكم على ما كنتم من الإنظار مبعوثين، وعلى الباطل لأمركم مواصلين، وعن الحق فيكم تعمهون، بالعمى محشورين.

اسألوا الله أن يصلح أموركم برسول الله، وتوسّلوا إلى الله برسول الله، فهو وسيلتكم إلى الله، وهو وسيلتكم إلى أنفسكم من الله، يوم يكشف عنكم الغطاء، فتشهدوكم حق الله به، نفخ فيكم من روحه، وسرى فيكم بنوره وهو الحي القيوم، رسولا منه لا يغيب ولا يحتجب. وسبحان الذي جعل الذين كفروا بربهم عن الكفر يعدلون، وعلى النبي والمصلين يصلون وله يسلمون.

اللهم ولِ أمورنا خيارنا به، ولا تولِ أمورنا شرارنا بنا.

اللهم به فأصلح أحوالنا، وقوم جوارحنا، وألف بين قلوبنا، وأنزل سكينتك على عقولنا ونفوسنا وقلوبنا، وأنزل السلم والسلام على أرضنا، وادفع عنا من البلاء ما نعلم، وما لا نعلم، وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.

آمنا بك ربا وإلها لنا وحق حياتنا، وقائم وقيوم معاينا، وآمنا به إلينا منك وجها لك، ربا ومعلما لنا، وبعترته حقا منك ووجها لك بيننا لا نشهده إلا بوجهك بنا، يوم يقوم فينا بحقه وجه لك ووجها لنا وجوها لك، أنت من ورائنا بإحاطتك، في حصن لا إله إلا الله حصنا لوحدانيتك.

به نشهد أنه لا إله إلا الله، وبك نشهد أن محمدا رسول الله.

أضواء على الطريق

من أكرم خلق الله على الله يا رسول الله؟ (الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق)[٦٤]، ليقدم مثلا لمن حق فيه، {ذرية [طيبة] بعضها من بعض}[٦٥] لإبراهيم، جعل في بيته الكتاب والنبوة مقدمة وبشرى لمن جُعل رحمة للعالمين أظهره وجدده من ذريته، طابع وخاتم لنبيين ولمرسلين وأول عابدين كافة للناس مثلا أعلى مرضيا منه لهم ليكونوه.

يقول (السيد فيزر) من عرفناه في طور من أطواره بيوسف الصديق: (يجب أن تعلموا أن الفرصة التي أعطيت لكم بهذه الدنيا أكبر من أي فرصة تنتظركم في المستقبل.. إن دنياكم هذه مليئة بالتجارب والآراء لأن الشر فيها ينتشر أكثر من الخير.. وعليكم أن تختاروا بينهما.. فإذا كان الأرجح خيرا فإنكم تنجون.. وإذا كان الشر دائما حليفكم فلا بد أن تستروا حتى تصفى أنفسكم من الكبرياء الذي يسكنها.. ولتطهروا أنفسكم من هذا الشر المكتوم.. لا تعالجوه في أنفسكم منفردين، بل إخوانكم في الطريق.. لأنه يجب أن يدرك دائما أن الفضل للآخرين، لأنه بإمكانهم أن يروا بمعاملتك وحديثك معهم كوامن الشر في نفسك، فيكشفوه لك ويطلعوك عليه، فيسهل عليك علاجها والتخلص منها، والله هو الذي يوفقكم، فسيروا في طريقكم على بركة الله. وتخلصوا من أكثر الذي يسكن في قلوبكم أولا بالاتجاه الدائم إلى الله معكم، وهو الذي يسكن أفكاركم، وهو الذي لم يظهر. إن هذا الشر أقوى من الذي يظهر، لأنه إذا ظهر كان بإمكان الإنسان أن يتعلم منه، وأن يواجهه بشتى الطرق لإصلاحه، وهذا لا إصلاح له إلا بالاتجاه إلى اللـه).

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الرحمن - ٢٦-٢٧
٢ سورة الانفطار - ٨

٣ سورة مريم - ٩٣
٤ سورة الإسراء - ٨١
٥ سورة محمد - ٢٠
٦ الأعراف - ١٥٧
٧ سورة الإسراء - ١٠٥
٨ سورة الشورى -٥٢
٩ سورة مريم - ١٧
١٠ سورة مريم - ١٧
١١ سورة الأنعام - ١٢٢
١٢ استلهاما من {الذي يراك حين تقوم. وتقلبك في الساجدين} سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩
١٣ سورة فاطر - ٤١
١٤ قسم للرسول صلى الله عليه وسلم، يبدأ به بعض أحاديثه.
١٥ سورة هود-٧٨
١٦ استلهاما من {الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه}. سورة الزمر - ١٨
١٧ سورة الفرقان - ٥٩.
١٨ سورة الأحزاب - ٥٦
١٩ سورة آل عمران - ٥٩
٢٠ حديث شريف ذكره ابن العربي الحاتمي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله خلق مائة ألف آدم". واستعمال كلمة "آدم" عند السيد رافع لها معان كثيرة تناسب السياق الذي جاءت فيه.
٢١ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩"
٢٢ سورة النحل - ١٢٨
٢٣ سورة الإسراء ـــ ٨١
٢٤ سورة الإسراء ـــ ٨١
٢٥ سورة الرحمن - ٢٦-٢٧
٢٦ سورة آل عمران - ١٣٣
٢٧ سورة الرعد - ١٧
٢٨ سورة آل عمران - ٥٩
٢٩ سورة البقرة - ١٠٦
٣٠ سورة الرعد - ٢٦
٣١ إشارة إلى الحديث الشريف: "إذا مات ابنُ آدم انقطع عمله إلا مِن ثلاث: صدقةٍ جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له." صحيح مسلم

٣٢ سورة الطارق - ١١:١٢

٣٣ حديث شريف: "تعرض عليّ أعمالكم، فما رأيت خيرا حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم." أخرجه النسائي والطبراني.

٣٤ حديث شريف: "دَخَلْتُ الجنةَ فرأَيْتُ في عارِضَتَيِ الجنةِ مكتوبًا ثلاثةُ أَسْطُرٍ بالذهبِ – لا بماءِ الذهبِ: السَّطْرُ الأولُ: لا إله إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ. والسَّطْرُ الثاني: ما قَدَّمْنا وَجَدْنا، وما أَكَلْنا رَبِحْنا، وما خَلَّفْنَا خَسِرْنا. والسَّطْرُ الثالثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ ورَبٌّ غَفُورٌ". أخرجه الرافعي في تاريخه (٣/ ٩١) ، الإمام أبو القاسم في تاريخ قزوين، وابن النجار في تاريخ بغداد عن أنس ابن مالك. ويعتبره المحدثون ضعيف الإسناد.

٣٥ سورة المزمل - ٧

٣٦ سورة المزمل - ٦

٣٧ استلهاما من {الذي يراك حين تقوم. وتقلبك في الساجدين"}. سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩

٣٨ سورة إبراهيم - ٤

٣٩ سورة الشورى - ٥٢

٤٠ سورة سبأ - ٢٨

٤١ سورة الإسراء - ١٥

٤٢ إشارة للحديث الشريف: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ. صحيح ابن حبان. كما أخرجه البخاري ومسلم مطولا.

٤٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٤٤ سورة آل عمران - ١٤٠

٤٥ سورة فصلت - ٥٣

٤٦ سورة الأنعام -١٥٨

٤٧ سورة الشورى - ٢٩

٤٨ سورة النمل -٨٣

٤٩ سورة الشورى - ٥١

٥٠ سورة يوسف - ٨٧

٥١ حديث شريف: "كان اللهُ ولا شيءَ معه، وهو الآن على ما عليهِ كانَ". المحدث: ابن تيمية، المصدر: مجموع الفتاوى. كما أخرجه البخاري رحمه الله في كتاب بدء الخلق بلفظ: "كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض."

٥٢ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داوود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داوود والحاكم.

٥٣ استلهاما سورة آل عمران – ٦٤ {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}

٥٤ سورة الزمر - ١٨

٥٥ سورة القلم – ١، ٢

٥٦ سورة الأنعام - ٩١

٥٧ سورة مريم - ٦٥

٥٨ إشارة للحديث الشريف: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ. صحيح ابن حبان. كما أخرجه البخاري ومسلم مطولا.

٥٩ من كتاب نهج البلاغة، في وصف الإمام علي للمتقين: " نظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض. ويقول قد خولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم. لا يرضون من أعمالهم القليل. ولا يستكثرون الكثير. فهم لأنفسهم متهمون. ومن أعمالهم مشفقون."

٦٠ ربما إشارة إلى حديث للإمام علي كرم الله وجهه، ومنه: " نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد من عباد الله، ومن والانا وائتم بنا، وقبل منا ما أوحي إلينا، وعلمناه إياه، وأطاع الله فينا، فقد والى الله، ونحن خير البرية." جاء في بحار الأنوار من المكتبة الشيعية. ويمكن فهم المغزى من السياق.

٦١ حديث شريف: "أنا فَرَطُكُمْ علَى الحَوْضِ، فَمَن وردَهُ شَرِبَ منه، ومَن شَرِبَ منه لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا، لَيَرِدُ عَلَيَّ أقْوَامٌ أعْرِفُهُمْ ويَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحالُ بَيْنِي وبيْنَهُمْ. قالَ أبو حازِمٍ: فَسَمِعَنِي النُّعْمانُ بنُ أبِي عَيَّاشٍ وأنا أُحَدِّثُهُمْ هذا، فقالَ: هَكَذا سَمِعْتَ سَهْلًا؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قالَ: وأنا أشْهَدُ علَى أبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فيه قالَ: إنَّهُمْ مِنِّي، فيُقالُ: إنَّكَ لا تَدْرِي ما بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فأقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَن بَدَّلَ بَعْدِي." الراوي: سهل بن سعد الساعدي وأبو سعيد الخدري. صحيح البخاري.

٦٢ حديث شريف جاء في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي باب "حقيقة النية ومعناها". وجاء في تاريخ دمشق لابن عساكر: سمعت ذا النون المصري يقول: "الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء كلهم نيام إلا العاملون، والعاملون كلهم مغترون إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم، قال الله عز وجل: "ليسأل الصادقين عن صدقهم." ولكنه يصنف في كتب الحديث بأنه موضوع.

٦٣ سورة طه – ١٢٥، ١٢٦

٦٤ حديث شريف ذات صلة أخرجه البخاري ومسلم: "قيل يا رسول الله من أكرم الناس، قال أتقاهم لله، قالوا: ليس عن ذلك نسألك، قال: يوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله..."

٦٥ سورة آل عمران - ٣٤

(٩)

إنسان الله وجماع كلماته
آدم أوادم الحياة وآياته
الحق ومسيح الكمال الموجود بالوجود في المطلق للانهاياته
رسولُ الله بقبله وبعده لقائمه هو العروة الوثقى للحق لا انفصام لها بقائم لقيام من الأزل والأبد له، في دورة كوثره بأوادم مبناه، لقائم وقيوم إنسان الله لمعناه، حق كلمة الله للبدايات والنهايات، لقائم وقيوم فطرة الحياة، بسرمدي رسالته، وسرمدي تكاثره، بظلال معناه، وقيامات مبناه، للمثل الأعلى لمولاه من الله، قدوة وأسوة، كافة للناس في السماوات والأرض.

حديث الجمعة

٦ ربيع الآخر ١٣٨٤ هـ - ١٤ أغسطس ١٩٦٤ م

نعم، لا إله إلا الله.. نعما هي بقائم بها.. ونعما هو بقيوم بها.. ونعما الله قائما وقيوما ومحيطا بها.

أفضل ما جاء به الحكماء والعلماء والنبيون من قبل محمد الحق لا إله إلا الله.

وأفضل ما جاء به إنسان الحق رسولا، ومرسَلا إليه ومرسِلا لا إله إلا الله.

وأفضل ما قام به إنسان، أو قام به حكيم، أو عالم أو نبي أو رسول، أو حقٌّ بعبد أو ربٌّ بحق أبرزته الفطرة لا إله إلا الله.

وأفضل ما قام فيه عالم أو مُعلم أو متعلم، أو عَليم بالله عن الله لا إله إلا الله.

وأفضل ما ظهر به ولي قام وجها لله في خلق الله، أو عبد للرحمن بُعث رحمة من الله، بحضرة رحمته لا إله إلا الله.

وأفضل ما أَمَّ به إمام الناس في طريق الله، أو هدى هادٍ بكتاب الله عترةً لرسول الله لا إله إلا الله.

وأقدس ما جاء به كتابٌ من الله لخلق الله مع نبي أو حكيم، أو كلمة لله، أو روح من الله لا إله إلا الله.

وأقوَم ما قامت به طريق في الناس بعبد لله لعبد الله من آحاد الله يهتدي بها الناس، ويهدي فيها الإنسان أخاه الإنسان لا إله إلا الله.

فما تكون لا إله إلا الله؟ وما يكون الإنسان في لا إله إلا الله؟ وما يكون الإنسان بلا إله إلا الله؟ وما يكون الإنسان حول لا إله إلا الله؟ وما يكون الناس مستقبلين قبلة لهم لا إله إلا الله؟ وما يكون الناس مظاهرين للا إله إلا الله أو مظاهرين بلا إله إلا اللـه!؟

على هذا ومنه وحوله يقوم الدين، وبه تُقوَّم وتستقيم عُمده، وحوله يدور فقه الدين، ويكشف غلالة المادة عن حق الخلقية، عن هيكل الإنسان وعن هيكل الكون بيوتا لذكر الله، يقوم العلم، ويتلون العلم، ويتعدد العلم، ويتكيف العلم، وتتعدد كتب العلم، وصحائف العلم، وأقلام العلم، وتظهر قدرات العلم، وفطرة العلم، وصبغة العلم، وإنسان العلم.

فما يكون العلم؟ وكيف يعلم الإنسان؟ وما هو العلم عند الإنسان؟ ومن هو المعلم للإنسان؟ وما هو المعلوم للإنسان؟

إن أشرف العلم، عِلم الإنسان عن الإنسان.

وإن أقدس الكتب، نفس الإنسان عند الإنسان.

وإن أقوم الطريق، استقامة نفس الإنسان.

استقامتها على ما عَلمت عن الإنسان، ومعنى الإنسان، ومعارج الإنسان، وأطوار الإنسان، وفطرة الإنسان، وطبيعة الإنسان، ومراقي الإنسان، وهاوية الإنسان، وكراسي الإنسان، وعروش الإنسان،

وحقائق الإنسان، لأمر الإنسان ومعنى الإنسان، وتأبيد وتأزيل الإنسان خروجا وتخلصا وخلاصا من توقيته وقابليته للعدم.

إن العلم البعيد بطبيعته وثمرته عن خدمة الإنسان لا يليق أن يتصف باسم العلم عند الإنسان.

فالعلم هو المعرفة في خدمة الإنسان، ما كان الإنسان في طلب العلم عنه.

وطلب الإنسان للعلم عن نفسه، هو طلبه للعلم عن ربه.

وطلبه للعلم عن ربه، هو استشرافه للعلم عن إلهه.

وتحقيقه عن إلهه، منتهٍ به إلى يقين العلم عن أمره ونفسه بظاهره لباطنه وبمعلومه به لمجهوله عنه.

إن الدورة الخالدة تبدأ من الإنسان، وتنتهي إلى الإنسان.

إنه يبدأ بجهله عن نفسه بحقه في عمائه بوصف خلقه، وتنتهي إلى علمه عن نفسه بكشف غطائه من المادة عنه، نورَ وروحَ إنسان حقه لفطرته، فتتم له فيه به عنه إليه دورة الحياة.

فالحياة دورة تعبر عنها به فيه له بدورته الدموية بكراتها الحمراء والبيضاء لمعنى أهل عالمه من الأحياء بيتا لله وهيكلا لذكره، ومسالكها ومنازلها من عالم جسده نواة لوحدة السماوات والأرض، لرتقها قبل فتقها لمعنى ذاته بطورها لأطوارها، فهو التعبير عن بشري قيامه الكبير بقيامه الصغير.

فالإنسان الصغير هو بعينه الإنسان الكبير في قائم وقيوم الحياة. وهو ما نشير إليه معنى مقدَّرا، وقياما محيطا بلفظ (الله) اسما لمعنى الحق للوجود، كما نشير إلى معروف الاسم له بظاهر منه، كبيرا بتمام أو صغيرا ببدء، بأصل لمعنى الإنسان، أو بفرع عنه وظل له بلفظ (كلمة الله وروح منه).

إن الإنسان إذا حلل له نفسه على ما هي في قائمها من مادي وجودها وعالمها - ظاهرا برجل أو امرأة - لباطن من علقة أو بويضة على ما كانت ذاته في طورين لثالث لما هو به الآن كائن مدرك، وجده بما عرف عنه معبرا بقيامه على ما كان عنه بما هو كائن بالنسبة إلى ما سوف يكون، وجد نفسه الآن وجودا صغيرا، ونواة صغيرة لوجود كبير ينتظره...

إذ هو وقد جددته الفطرة من علقة ضئيلة في حاضره كانها في ماضيه لإنسان سوي الفطرة من إنسان وجوده لشهوده، فهو الآن مرة أخرى وقد تَكَوَّن ونَما من ثمار الأرض، ينتظره دوره ليولج فيها كعلقة كبيرة متكاثرا بلبنات بمن يعقبه من تكاثره لجديد بناء له في باطنها ورحمها لتلده كطفل لها لا تلبث أن تلده أرضا جديدة.

فنفسه في حقيقة باطنها لما ينتظرها بأطوارها نواة لأرض على مثال من هذه الأرض التي هي منها اليوم، وهي لها أُم، فهو بحاضره ذرة تكاد أن لا يكون لها وجود يدرك بالنسبة لمصدرها، كما كانت العلقة والبويضة بالنسبة له ولأبيه وأمه من قبله إلى طرفي الزمن، لسرمده من أزل لحاضره، ومنه إلى أبد لقادمه.

فإذا كان حاضر الإنسان غريبا عليه بماضيه ومعدوما عنده وإن عُلم له، فإنه بحاضره ومعلومه لن يكون له مع كائن مستقبله من العلم عنه الآن حظا أوفر. إن الذي يعرف الحياة على صورتها وعلى حقيقتها في دورتها، هو من يجتاز بوابة العدم ليدخل بيئة الحياة، وهذا لا يكون إلا لمن يمارس ويتدرب على رياضة الموت لحاضر الوجود من العدم.

إن من يدخل الحياة لا يخرج منها.. إن الحياة معية الأحياء بها. لا يدخلها إلا من دخلهم، ولا يعرفها إلا من عرفهم، (أصحابك قد خولطوا! نعم فقد خالطهم أمر جلل)[1]، {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما}[2]، {يا أيتها النفس المطمئنة ادخلي في عبادي وادخلي جنتي}[3].

إن الموت المادي الطبيعي لا يُدخِل الحياة، ولكنه ينتقل به الكائن إلى جديد من حياة العدم بوجود يكشف به ما فقد في سابق عدمه، بعارية تواجده مع الأحياء على أرضهم، (دع الموتى يدفنون موتاهم)[4].

فالغيب المعتقد، والغيب المتقى، والغيب المقصود، والغيب الذي هو بالإنسان موجود، باعتباره واجب وجود، أوجب وجوده عين وجوده بموجوده، بمعنى الإنسان الهيكل للإنسان الحق، إنما هو غيب ظاهر مفردات الإنسان بإنسان جامع بروحه لظاهره بالبشرية، إنسانا واحدا قد ترجم عن وجوده بالبشرية، بظاهرٍ لوجوده بعباد للرحمن وجوها له، فيها منها إليها في دوام، إنسان لإنسان في مطلق فطرة الإنسان.

فالإنسان في فرده لرتقه.. والإنسان في أسرته لبدء فلقه.. والإنسان في جماعته لأحديته.. والإنسان في جنسه لواحديته.. إنما هو تعبير بظاهر عن باطن لوجود واحد، عنونه وترجمه الظاهر له منه. (الظاهر مرآة الباطن)[5].

فالإنسان يحسب أنه جرم صغير، وهو في ذاته على ضآلتها ترجمان بوجوده لعالم كبير ينتظره، هو له على مثال من عالم كبير عنه تواجد. فإذا عرف عالمه الصغير بالخلاص منه إلى الأعلى والأكبر مع رسول الفطرة إليه، لزمنه ظل قديمه، كان على يقين من عالمه الكبير، هو له وهو له.

ولن يعرف عالمه الصغير أو الكبير وهو في سجين من عالم، صغيرا كان أو كبيرا. إنه لا يعرف عالمه ولا يحيط به، ولا يُشهد له ولا يشاهده، إلا إذا تجرد منه، وتحرر من سجين ذاته إلى معيته من الفطرة بالحقيقة، أنًا لها من الحق بها، فقام بذلك في اتحاد مع معيته بعد مخالطة بصحبة، ثم فناء فيها لها، فقام بها لها منها، أنًا على عالمه لمعنى نفسه لقديم أناه محيطا به. عندئذ يعلمه مصاحبه لعين نفسه، فكلما تساءل فيه له عن مجهول من أمره وجده يدخل بإرادته في دائرة شهوده فيدخل في دائرة إدراكه، بكل ما عرف أو شاهد أو أحاط، لأنه بفطرته في حيوات موالده الفطرية على هذه الأرض وسماواتها في عماء عن أمره، من أمره، لأمر ربه، لمعنى معراجه وعروجه بفطرته.

من يكون هذا الرجل يا أخي يا جبريل؟

وقد رأى رجلا عن يمينه سواد من الناس، وعن يساره سواد من الناس، ينظر إلى سواد الناس عن يمينه فيبتسم، ويشرق بالمسرة، وينظر إلى سواد الناس عن يساره فينقبض ويظهر عليه الأسى والحزن. من يكون هذا؟ من يكون هذا الرجل يا أخي يا جبريل؟

إنه آدم.. إنه نفسك.. إنه ما تجردت أنت منه وانسلخت عنه. إنه أول انطلاق لك من السجن الذي كنت فيه.. إنه التخلي عن الوزر الذي وضع عنك، وها قد تخلصت منه يوم جاءك الخلاص، يوم اختارك شديد القوى لنفسه، وأمرني فهيأت نفسي لنفسك يوم هيأتك لنفسي، فهيأك الأعلى لنفسه يوم سوى بيننا لنفسه، وقد جئتك فقاربتك قاب قوسين أو أدنى، مقاربا لك لقيام لأحديتنا في أحدنا منه، هو لنا ونحن له على مراد الأعلى لي ولك لعين أنانا لأناه على ما نحن لنا أحدنا لأخيه، ها هو يسوي بيني وبينك.. ها نحن نتجرد من أنفسنا، وعن التعدد والتغاير بيننا، وعن التمايز لمعانينا أو مبانينا.. ها نحن أحدنا عين الآخر، ولا آخر لنا بيننا، على ما نحن اليوم مع الأعلى لنا على ما صار بيننا.

ها نحن نتذاكر فيه واسعا مطلقا بوعينا، وها أنا أصارحك بما عرفت، ولا أدرى غدا ما أعدَّك الأعلى له. إن جليلا من الأمر ما تُعَدُّ له، لقد سوى بيني وبينك اليوم، فأنت أخي وأنا أخوك، ها أنا اليوم أُعلِمك، ومن يدري؟ فقد يأتي اليوم الذي قد تعلمني أنت فيه علما عن مطلق الحق، أنا اليوم في غفلة عنه، وأنت في عماء عنه. ها أنا بينك وبينه، وها أنت بوحدانيتنا أصبحت بيني وبينه أيضا، فأنا رسوله إليك، وها أنت بدورك رسوله إليَّ.

ها أنا ذا أحمل إليك الحديث أمينا فيه، وأمينا عليه، وأرى فيما أحمل إليك ما هو معجم عليّ، ولا أراه معجما عليك. ها أنا أرى في مصاحبتك جديدا من الأمر.. ها أنا يتكشف لي أني إنما أحمل إليك

منك، فأعلم عني ما كنت أجهل مني، بقانون الفطرة بقائمك مشهودا لي، أنا في قيامي بها على ما أنت.. ها هي الفطرة تعلمني بك، كما هي معلمتك بي.

ها أنا أعرف أن الأمر إليك إنما هو منك، فأعرف عني أمرا لله بينك وبينك لأمرك إذ أراك أمرا مُرسِلا، وأمرا مرسَلا إليه.. ها أنا أراني اليوم إليك منك، فهل أبقى كذلك لكوثرك بك دائما منك ودائما إليك؟ هل أبقى أبدا بين أمريك لأبدك فأعرفني بك لك فيك في أزلك لأزلي عين عينك، وعين بيني لعين بينك؟ كم يسعدني أن أكون من أهل الأرض مرة وأخرى لأجمع عليك أهل الأرض، كما أنا في السماء لأهل السماء بالحق إليك جمعا عليك.

ها أنا أؤاخيك راضيا عنك، فخورا بك، وها أنا في الله معيتك منه لك، وها أنا من الله هدية لك على ما أنت هدية الله، ورحمة للعالمين للمؤمنين بك معية الله لهم، ربا ساهرا عليهم عبادا لربه في الله، تنزه عن وصف الرب أو العبد له، وها أنت بي، مجالا لك دونك، وقياما بك، وقياما عليك، رحمة الله للناس، وأمرا لله للناس. فما يكون أمري؟ وما يكون شأني؟ أنت معيتي بدورك! ها أنا أحار بدوري في أمري! على ما كنت أنت في حيرتك.

ها أنت يكشف عنك غطاؤك، ويحتد بصرك، فتخترق ببصيرتك الآفاق وترى ما لا أرى! وقد كنت في صحبتك معية لك أرى ما لا ترى.. فهل بصحبتك معية لي سأرى ما لا أرى مما ترى؟ وهل أتجاوز بدوري ما ترى إلى ما لا ترى، كما أنت على ما كنت معي لا ترى، فأريتك ما أرى، فتجاوزت ما أرى إلى ما لا أرى؟

يا صاحبي.. يا أخي.. يا رفيقي.. يا خليلي.. يا حبيبي.. متى لا أرى معك أني لا أراني، وقد سبقتني إليها فيك معي، على ما عرفتني وعرفتك فعرَّفتني وقد رأيتني ونسيتَك، وقدمتَني وتأخرتَك، وأشهدتني وأنكرتَك؟

متى أرد الجميل لك؟ متى تتهيأ لي الأسباب فأنزل إلى الأرض، فأُعرِّف عنك، وأجمع عليك، منكرا على نفسي على ما أنكرت؟ فقد أعطيتني باستجابتك لي وتحقيق الأمر لك رسالة لها وعيت، وقمت بها معي أمرا له قَدَّرت، وبالكمال لك شهدت يوم رأيتك لما أقام الله فيك من الحق، له قد سَترت حتى لا يفتتن الناس بجسد من هيكلك، بعيدين عن معناك، ولما أقام الله من الحق في الناس أكدت وقَدَّرت حتى يستبشر ويطمع ويرجو الناس رفد الله، ومع الله فيهم تأدبت، وإلى مرضاته في معاملتهم سعيت حتى يقتدى بك، ويتابع الناس لك على ما ظهرت، عبدا لله يذكر الله وحده، ويذكر بالله لا شريك له.

لقد كنت رسول الله إليك، وها أنت يا رسول الله إلى الناس رسول الله إليَّ بدورك أخا لي، وأنا أخ لك. ها أنا لم أخرج عن الناس، أنت رسول الله إليهم ورسول الله لي، مني وإلي، والروح الأعظم عندي من الروح الأعظم لي، أعنِّي يا أخي على أمري للناس إليك، ساعدني، ورافقني، زاملني، خاللني إلى الناس أمة لك حتى أستطيع أن أقوم في الناس، بين الناس، للناس بخدمة لهم على ما استطعت أنت، وعلى ما قمت، وعلى ما دانيت، وعلى ما تواضعت، وعلى ما تحملت وصبرت، حتى أجمع الناس عليك جمعا لهم على الحق بك، على ما سبق أن فعلت أنت يوم جمعتهم عليَّ روح الحق لهم، حتى أجمعهم عليك روح الحق عيني لعينهم.

ولكن أين هم الناس؟ إني لا أراهم.. إن عظمتي، إن كبريائي، إن عزتي، إن تكويني، إن سعتي، إن انطلاقي، إن قدراتي تحول بيني وبين الناس، فَمَن هم الناس عندي! ولكني أريد أن أكون مع الناس على ما أنت مع الناس، وعلى ما هداك ومكنك ربك وربي، وما كان غيرك أو غيري، وعلى ما هداه ومكنه الأعلى ربه وإلهك، وما كان غيره أو غيرك، وما كنت معلما غيركما في معراج يطول بنا إلى ذات أقدس لأحديةٍ للمطلق، نقف عندها جميعا أحدية واحديتنا بها فيها لها، ونسجد عند قدميها جميعا، ونرجو الرحمة بين يديها جميعا.

إني أريد أن أذكرني دائما بضآلتي مع الأعلى في معراجه، متجردا عن عظمتي بالحق مع الأدنى، على ما أنت، وقد عرفتك وشهدتك فيما فعلت، وفيما فيه بينهم قمت وأقمت على ما كنت معك به نفسا بينهم، وقد عرفتك على حقيقتك. يا أخي يا رسول الله هيئ الناس للقائي رحمة منك بهم ولا تيئسهم مني، وأعدهم لي بشامل قدرتك، بقائم حقك على ما أعددتك نفسا بقيوم حقي عبدا للأعلى لي وللأعلى لنا، حتى تهيئ لهم بعزتك بحقك أسباب الاجتماع عليك حقا لهم بالاجتماع عليَّ روحا لهم وقيوما عليهم وحلقة الاتصال بينك وبينهم، يوم يتخلون عن ظلام أنفسهم ليشرقوا بنور الله لهم، يتخللهم ويحييهم فيبقيهم أعلاما لله، وأعلاما على الله، بنور الله للحق بي لقائم الحق بك.

فأجابه الرسول.. نعم سأفعل، وستجد مجالك في أهل بيتي، وستجده معدا لك في عترتي من بينهم، كلما وضع مني لي بيت في الناس يذكر فيه اسم الله، كنت معيته دائم اسم الأعلى لنا، وسنتبادل النظرة بيننا إلينا خلقا وحقا.. أزواجا نتخلق.. وأزواجا نتحقق.. حتى نشهد فينا بدوام لنا الأعلى والأدنى لمعنانا بنا.

فقال له الروح الأمين.. يا إنسانية الإنسان.. يا وجه وجوه الرحمن.. يا وجه جماع وجوه الله.. يا حق حقائق الحقيقة.. يا من تقدست بظهورك فيها الخليقة.. يا من تحقق الناس بحقك يوم رأوك حقا.. يا

من اجتمعت الوجوه عليك ناضرة، ناظرة، منظورة لوجه لربها به معظمة مجلة مكبرة مقدِرة، يوم تتلاقى وجوه الحق بك فيك أحدية العبد والرب، حقا ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره بالإنسان.

يا حق الله.. يا وجه الله لمن صار وجها لله وحقا لله، ما قُدِر الله حق قدره إلا بمعرفتك، ومتابعتك على وعيك، والقيام في حكمتك، والتحصيل من علمك على ما عرفته، فقدرته، فظهرته، فقامك فسترته، وظهرك فتواضعته، فكنت تحت الناس، لما قال لك إني قائم على كل نفس. وما قام على كل نفس إلا بحقه بك حجابا عنه بعظمته رحمة للناس بك.

زويت لك الأرض فأحطت بالناس، أفرادهم عوالم وجودك، أنت لهم بإنسانيتك، بواسع إنسانك، بمحيط قلبك، بقبس نور الله لك، بقائمك قياما له، وقيومك عليهم أمرا له، معنى الرب عليهم، ومعنى الرب لهم، ومعنى الرب منهم، حقائق الله لجامع حقه بك لهم، وبك عليهم وفيهم ومنهم معلما ورسولا من أنفسهم.

كافة للناس جعلك.. وكافة للناس وهبك.. وكافة للناس رحم بك، فجعلك رحمة للعالمين، وجعلك رحمة للناس في السماء الدنيا من أرضهم، وفى الجنة العليا من سماواتهم، وفى الأرض السفلى من هاويتهم.

جعلك مُخَلِّصا لهم برحمته، وإماما لهم بكرمه وجوده وقدرته، وكتاب علم لهم بإحاطته، وحق قرب وجوده لموجودهم في عين وجودهم.. محييا بك يوم يحيا الناس بإحياء قلوبهم، علمَ ومعنى الحياة للناس منه، بك أحيا قيوما على الحياة بالحياة، مميتا بك يوم يحرم الناس معاني الحياة، من أحواض قربك، وسفن خلاصك، مفرطين في أمرهم من أمره، أمرا لك منك لهم، يوم هم منك، منه وإليه بك، في كرة رابحة.

كان فضل الله عليك عظيما، كان تأديب الله لك تاما، كنت على الخلق العظيم، وقد أماتك من خليقتك مُحدَثا، وبعثك في إنائك بحقيتك قديما، هي عينك لا غيرك بحقي كوثرك بعينك لحقك، لا عطاءً ممنونا، ولا جزاءً بعدل، ولكنه حق بحق لحق، وأمر بأمر لأمر، في أزل الله حقا، أظهرته أزليا بعبوديتك لحقائق عبوديته وقمته أبديا بربوبيتك من ربوبيته لحقائق عباده لأزليته. تقوم وتتقلب في الساجدين، كوثر بطونك بظهورك، بمعاني الحق لك لحقائقه بك غيبا باطنا لأحدك بحقك، وحقا ظاهرا متكاثرا بواحدك لواحديتك، لوجوه أسمائه لحقه بك، من أحدية مطلقه لوجهه لك.

شُهدت لمشاهد لك، بين باطن وظاهر وما بينهما، ما قبل وما بعد الوالد والولد.. ما وراء وما أمام الروح والجسد.. ما وراء وما بعد الإنسان والآدم.. ما وراء وما بعد وجود وموجد.. ما وراء وما بعد

معلوم وعالم.. ما وراء وما بعد إطلاق وقيد.. ما وراء وما بعد الحرية والجبر، عبدا لرب وربا لعبد في دوام أمرك، ودائم رسالتك. بك قُدِر الله حق قدره، وبك عُرِف الله على ما يليق بالله، معروفا بعلم، ومشهودا بقيام.

ارتفع الله بك، قائم وناموس الفطرة، فوق الطاعة والمعصية.. ارتفع الله بك فوق العلم والجهل.. ارتفع الله بك فوق الإيمان والكفر.. ارتفع الله بك فوق كل ما عرفنا.. فهل نعرف بك وبصحبتك في معراجك متوحدين في دوام معك، كل ما عرفت يا أخي يا رسول الله؟ وهل نعي ما وعيت يا أخي في الوجود والروح، يا أخي في كل وجود له، وفي كل تواجد لنا، يا أخي في كل زمان، يا أخي في كل عنوان؟

فما آمنت مكر الله في تواجدي معك إلا بصحبتك، وهل كنت إلا أنت يوم آمنتُ؟ وهل أنت إلا أنا يوم عرفتُ، وهل أنا غيرك يوم تواجدتُ، أو تواجدتَ، أو فيه وُجدنا، وفي عرفانه توحدنا؟

لقد عرفتك خليلا لي في قديمي.. وها أنا اجتمع عليك خليلا لي في جديد لك وجديد لي.. وها أنا أعرف، وأسأل الله أن لا يغير مما أعرف، إنك أخي ومرافقي وصاحبي فيه نتبادل النظر الواحد والوجود الواحد لنا به، خليلان لا يفترقان أبدا، زوج متحد وحق واحد، وأحد لا يتعدد، متجدد أبدا، متقادم متوحد أزلا.

ها أنت، لا فرق بينك وبيني يا أخي.. وها أنا لا فرق بيني وبينكَ.. وها نحن لا فرق بيننا وبين من نُؤَاخي على ما عاملنا الأعلى لنا، إذ بحبه لنا وحبنا له يسقط الفرق بيننا وبينه، فيوم يسقط الفرق بينه وبيني يسقط الفرق بينه وبينك، أو بينه وبينك فيسقط بينه وبيني. إنه لا ييأس من روح الله له متوحدا مع الذات للروح أو مع الروح للذات لنا مُؤاخيا، كان له من الله ما لنا متابعا.

فلنتأمل الرسول وهو يقول: (يا عَلِيّ، أما يرضيك أن تكون أنت أخي، إنك مِني بمنزلة هارون مِن موسى.. وإن كان لا نبي بعدي)[٦] ، (عَليّ مني وأنا من عليّ)[٧]، نحن أخوان، نحن خليلان، على ما أنا مع صاحبي ورفيقي الروح الأمين، وعلى ما أنا مع الرفيق الأعلى لنا من الروح المرشد، وإنسان الحق القادم والقديم، أنا معك على ما هو معي، صاحبك ورفيقك.

(أمرني الله أن أفتح لعَلِيّ ألف باب من العلم ففعلت، وسألت الله أن يفتح له في كل باب ألف باب ففعل، أنا مدينة العلم وعَلِيّ بابها، من كنت مولاه فعَلِيّ مولاه، أنا حرب لمن حاربه سِلم لمن سالمه)[٨].

وما أنا بمولى إلا لمن طلب المعرفة معي، وصاحبني على علم، ليأخذ من العلم، ويحيا بالعلم، ويتنفس بالعلم، ويستقيم بالعلم، ويدرك بالعلم، ويتحدث بالعلم، ويقوم بين الناس بالعلم، العلم أساس الدين (العقل أصل ديني)[٩] والعلم خُلقي ومشربي.

بهذا جاء رسول الله، وقام في الناس رسولَ الله، روح الله، وقدسَ الله، فأعلنها بَيِّنة خطيرة يوم قال: أنا روح القدس، ليعلم الناس أن ملأ الحق من الروح يتجسد بين الناس ويتمثل لهم بشرا سويا، وضرب فيها مثلا قائما يوم قال: (أخي جبريل)[١٠] اتجاها إلى أعلى من عالم الروح وتخلصا من المادة وعالمها، وكرر ضرب المثل لمعاني قيامه ودوامه يوم قال (أنا مدينة العلم وعَلِيّ بابها)[١١]، ويوم قال لعلي (أما يرضيك أن تكون أنت أخي)[١٢]، اتجاها إلى أدنى من عالم الناس، قيوما عليه بروح القدس لقائم روح قيومه به، أخوة لا تنقضي في الأولى ما كانت، وتبقى في الآخرة ما تواصلت.

فهو ما بين جبريل روحا لآدمه، وعَلِيّ بداية لجديده بآدم أخوان له، ورفيقان له، وحقان عنده لعين معناه إلى الأزل والأبد، ووجهان ويدان له، لأحدية قيامه ومعناه، فهو بذلك آدم بين آدمين، آدم توفى وأمسكته يد الله روحا تجرد من جلباب مادته باسم الروح الأمين، وآدم اصطفي ليتوفى لتمسكه يد الله هو في طريقه لقيام حقه...

أو هو كلمة لله بين كلمتين له، كلمة تمت في الله فتخلصت من المادة ومكنت منها، ولم تثاقل إلى الأرض وسلطت عليها، وكلمة في طريقها للتخلص من المادة، والأديم والآدم إلى القيام بالروح والتمام لمعنى الإنسان.

فكان الرسول بذلك أمرا لله وسطا بين أمرين لله، وآدما لله رجلا سويا بين آدمين لله، بين رجلين لله لمعنى الإنسان، كان حقا وإنسانا لله، يسانده ويظاهره في الله حقان من حقائق الله، معه يتوحدان، بهما يظهر وبه يظهران، هما له يدان، كلتا يديه يمين، به جاء الحق.

فبه جبريل إلى أعلى يظهر، وبه عَلِيّ إلى أدنى يظهر، وجوها لله وأعلاما على معروفهم منه وعينه لهم، في المنشود الحق لمطلق الله عند من يطلب الله بحبه وتقواه، بحب رسول الله وطاعته فيما أمره وأوصاه ذاتا أو روحا.

هو بهما كلما قام، وكلما بالحق نزل إلى ملأ رسالته في الناس من الإنس والجن، أو عوالم الروح، وكلما لكتابه للناس بين الناس من الناس رسولا من أنفسهم على اختلاف طبائعهم، قام فبيَّن في عوالمهم على اختلاف مستوياتها، وعلى اختلاف أطوارها وألسنتها ولغاتها ولهجاتها، وعلى اختلاف كثافاتها في معارجها بين الأشباح والأرواح، وكلما لكتابه في الناس تلا نورا لعقول تشرق بمعارفه وروح الروح لهم

بحقائقه، وهو على مكث يتلوه، يدعو إلى الله على بصيرة في كل أمة وبكل عَالِم أو حكيم، هو ومن يتابعه على عين بصيرته، وعلى عين حقه، وهو في رسالته على دوام قيامٍ بها، يتجدد بتواجد وجوهه بين عوالمها في الأرض والسموات.

أنكر الناس عليه في الأرض في عصر قيامه بقيومه بكامل الحق لهم، وبعثه بقديم أوليته بينهم، قيامه وتقلبه في الساجدين فيهم، ظهورا لأصولهم لهم متقلبا بالحق فيمن قبلهم، جاهلين بأمرهم فيه بيتا لله رفع ووضع، وبأمره فيهم نورا لله في دوام يشرق، وبأمره عليهم حقا لله لا يغيب ولا يفتر. ولكن الناس على حالهم من حال آبائهم ذاكرين له دائما كلما غاب بهيكل القيام له فيهم فقدوه، قبرا وثنوه وبيته لقلوبهم أنكروه، والقبر نصبا استقبلوه وطافوه. آمنوا به كلما ذكروه ألفاظا وعبارات، بعد أن أنكروه قياما وآيات بينهم بجحدوها، ولأنفسهم فقدوها، وفى دوام كلما ظهرت أو عرفت خاصموها.

وكم حن كلما قام إلى أقوام يؤمنون به ولم يروه، يكون لهم من الله ما له، يستمعون إلى ما بين أيديهم من قوله، ومن كتابه، ومن فيض قوله بهم لهم منهم، صديقين لمن لم يروا ولا يرون، مستجيبين لمن لم يسمعوا أو لا يسمعون، فإذا بهم يوم يؤمنون يشهدون لمن لم يروا، ويتحدثون مع من لم يسمعوا. فيقول أحدهم (لو غاب عنى رسول الله طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين)[١٣]، ويقرر الكثير منهم ما عن نفسي صدرت فيما يصدر عنه من الحكمة ومن آيات الله، بل عن شيوخه ظلالا للرسول أو عن الرسول أو عن الله.

حن إليهم الرسول في (عصره محمدا) شوقا، وقد أعلمه الله ما كان وما يكون إلى يوم عودته وقيامته تنشق الأرض عنه، بقيامه مرة أخرى بالحق سافرا، على ما سبق أن كان وبدا، وهو عين ما به في قديم قام، ومنه بقائم ظهر، على سابق ودائم وقائم سنة الله معه، بدورة الحياة مع دورة آدم. ولكنه لنفسه حقية عن الناس أشار ولم يبِن، وإليها بالقول تلميحا ذَكَّر، وبالحكمة أمر، وبالنور سرى، وبالنار في خفاء وستر صلصل، وبالسلاسل خفية عن الانكشاف في يده جرّ وأغل، وبالأحواض من ماء الحياة سقى وبدل، وبالرزق من الحياة بذل، ومن هاوية العدم خلص، وبالحق وصل، وبالاستقامة للقويم قاد وعمل، فأظهر ما أظهر، وكتم ما كتم، وتخير ما تخير لمن تخير.

من إنسان الله روحا وقدسا وعالما إلى آدم روحا وذاتا وجمعا ووجودا، وإلى أزل لهما، قامت دائرة قديمه بأخيه من الروح ومن الأعظم، فقامت به وصلته بقائم وسابق الحق له. ومن عليّ ظلا وولدا وفرعا ذاتا وروحا إلى بعث لآدم ذاتا وروحا، واصلت ذاته معارفها عنها لمعناها، فعرف قائمه بجماعه لجمعه للاتجاهين، بجمعه لهما لحاضره امتدادا بهما في مجتمعه لعصره، وتعاقبه بعصوره لظلاله بجديده من كوثره لأمره، أمة وسطا لأمر وسط، بعث الماضي لحاضره، حاضرا لآدم، ليكون الأصل للقادم

لآدمه له على ما هو لقديم به. بذلك قام قائم حقه بشُعب ثلاث، فكانت أمته كتاب الفطرة له إليه، فيها رأى الماضي إلى آدم، والمستقبل إلى آدم، وكشف له عنه غطاؤه من آدميته، فإذا هو الإنسان في جلبابه بآدم حاضره، فإذا هو الحق المنشود لطالبي الحق، فإذا هو إنسان الله وعبد الله في هيكل لمعنى وجه الله وباب الله وطريق الله، هيكل العبد ومعنى الرب، في هيكله مذكور اسم الله يذكر، ومعروف حق الله يعرف باتحاد آدمين فيه، يقوم اسم الله بظاهر من عبد وباطن له من رب. فهو بظاهره بأحدهما مسيح باطنه بالآخر، وبجماعه لهما حق آدم مبناه لإنسان معناه، إنسانا لاسم الله زويت له الأرض، فكان بحقه لها جماع ملكوت أهلها، وأول بيت وضع للناس يذكر فيه اسم الله، فكان روح قدس الله تمثل بشرا سويا، قبضة نور الله للسماوات والأرض، تمت به كلمة الله لباطنه وربه وإنسان قديمه، إذ تمت لذات آدم له كلمته لتمامه ببعثها بالحق مسيح إنسانها، مغفورة القديم والقادم، {إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما}[١٤]، {ليظهره على الدين كله}[١٥]، {ألم نشرح لك صدرك}[١٦]، (إنجيلي في صدري)[١٧] ، (قوم أناجيلهم صدورهم)[١٨].

عرَّف عن رسالته فقال أُعطيت ثلاثا من العلوم.. علم احتفظت به لنفسي، وعلم خُيرت فيه، وعلم أُمرت بتبليغه، وقد أُمرت أن نكلّم الناس على قدر عقولِهم. أعطيت القرآن ومثله معه. لكل حرف من حروف القرآن ظاهر وباطن.

إنه كتابي.. إنه حجابي يوم يتجاهلني متجاهل تمسكا به دوني، (تركت فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لا تضلون أبدا، فإنهما لا يفترقان أبدا)[١٩]، ولكن إذا تمسكتم بالكتاب دوني، وأنا في دوام كوثر وجودكم كلما تخلق خلق، كنت بينكم رسولا من أنفسكم بعترتي، أعطاني التكاثر بعيني، بروحي وجلدتي، لا أفارق أُمتي في جلودها جلدة بينهم رسولا من أنفسهم، وجلودا لي أنا روح قدسه لكم بدائم قائمي بينكم فالخير فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة، وما القيامة إلا جديد قيامي ببدء آخر لتمام قديم بدئي، وتجديده لنفسه ليعرف لمنظر قيامه منه، بقيومه عليه بمعروف قائمه بحمد.

فحياتي خير لأُمتي ومماتي خير لأُمتي، ففي أُمتي تتكاثر جلدتي ظلالا لحقي وحقيقتي بعترتي من أهل بيتي، فإن كنت اليوم فردا، فإنني في غد بينكم جمع وأمة، {إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا}[٢٠]، وها أنا دعوته لعينه بينكم أنتم أبناؤه، فرد وبيت وأمة. وها أنا بينكم وفيكم وبذاتي لحقي لظلالي بذواتكم اليوم أمة. إنكم أمتي، إنكم ظلال ذاتي، إنكم جسديتي لمعاني نفسي، أنا لكم نور ربي مخاللا روح الحياة أبدية، أنا روح القدس. (المؤمنون كأعضاء الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر

والحمى)[٢١]، فأنا جماع أناكم الجامع لذواتكم، (ما شكت مؤمن شوكة إلا وجدت ألمها عندي)[٢٢]، {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}[٢٣]، (أمة مذنبة ورب غفور)[٢٤].

ها أنا على ما أنا، كلما ظهر بينكم لكم تواجدي بكم، ما شكت مؤمن شوكة إلا وجدت ألمها عندي. لا تعرفوني فردا، ولكن اعرفوني بيتا وجمعا، اعرفوني أُمة، وعصرا ودهرا، أنا أنتم جميعا، يوم تتابعوني حبا وتشريعا. من فارق سنتي فليس مني، ومن تابعني فإنه مني، ومن كان مني كنت منه، فأنا دورة آدم بجلدتي أمة، وأنا دورة الحياة بإنساني حقا، وأنا دورة الإنسان وجودا وحقيقة، وأنا دورة الحق اسما لله كلما تمت لي به كلمة له، وأنا دورة آدم الخلق بأبدي عبوديتي لأزلي عبوديتي حقائق عباده، وربوبية قديمه بهم على جديدهم لهم.

أول من تنشق عنه الأرض أنا، وأول من يظهر بالحق حقا أنا، أقربكم مني منازل في القيامة، أحاسنكم أخلاقا، الموطؤون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون، بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق. ولتكن منكم في دوام أمة تدعو إلى الخير، تجدد رسالة الفطرة، وتستقيم بالفطرة لتأمر بالمعروف لأنفسهم بأنفسهم، وتنهى عن المنكر من نقيض معروفهم، وتؤمن بالله حياة وجودهم.

إن الأرواح المرشدة لمعاني الإنسان الكامل والكلمات التامة لله، التي تظهر بآدم والرسول أحدهم عبدا من عباد وحقا من حقائق لا عَد ولا حصر لها، تراها في حالة عجز عن إبداء وعيها لعالمكم لإيصال الرحمة إليه من أحواضها بها كتب علمه وسبيلَ هدايته، لعدم توفر الوسيط من بينكم - وهذا في مختلف عوالمكم - المتسع لوعيها برحابة إنائه العقلي والنفسي لإمكان قيامه به بينكم، وهو ما هم الرسول الأعلى أن يتوفر لعالمكم، فضحى بنعيمه في عالمه إلى دوام قيام ذاتي له فيكم، يوفر به لحقيقته دوام اتصالها بكم وعملها بينكم، ويوفر لرفاقه من الملأ الأعلى أن يواصلوا نشاطهم معه في الأرض عن طريق إنائه بفرده وبيته وجمعه بدائم أمته. (أنا حي في قبري[٢٥] من حج ولم يزرني فقد جفاني[٢٦])، طأها.. {طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى}[٢٧]، {إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيد}[٢٨].

إن الدين في العقائد.. إن الدين في العلم.. إن الدين في المعرفة.. إن الدين في المعاملة مع الله.. إن الدين في تقوى الله.. إن الدين في محبة الله، وإن محبة الله في الإيثار، وفى الخدمة للناس، وإن التقوى في تجنب الظلم والاعتداء والطغيان، وفي عدم التجاوز عن الحقوق للإنسان في نفسه إلى ما أعطى الله لغيره.

ما كان الدين يوما في المناسك، وما قامت المناسك في وقت تأسيس الدين إلا كأسلوب ووسيلة للتعارف ونظام للمجاهدة للنفس ولظهور الجمع المسلم للنبي الجديد بالجديد لنفسه من المؤمنين، وللمجاهدة الفردية للنفس، والتعبير الإشاري والحركي واللفظي للمعنى المقدم بالرسالة، لتعريف الإنسان عن نفسه في الله، فيعرف الله في معرفة معنى الإنسان لنفسه فيه مع من يخالل من المؤمنين به لا ينقطع لهم تواجد بظلال لطابعهم وأولهم، وهذا هو الأساس المشترك عند مؤسس الدين في كل عصر وبأي أمة.

بكل هذا جاءت رسالة الفطرة.. وبكل هذا جاء دين الفطرة.. وبكل هذا جاء رسول الله، وبهذا بلغ وسن، وشرع باسم الله وباسم رسول الله لمعناه وللرفيق الأعلى له. فأبان رسول الله جامعا لكل ما تواجد من قبله لمعناه، وممهدا لما سيأتي من بعده لعين معناه بجديد لمبناه. فأقام الطريق، واستقام هو عليها أمام الناس، ليكون قدوة للناس بما عمل وبما قال، وليكون كتابا للناس بما حدث وبما فعل.

جعل الدين في شهادة أنه لا إله إلا الله، بالعلم. وفى قيام وشهادة ومشاهدة محمد رسول الله وظلاله متكاثرة لظله مبلغا، خاتما وفاتحا، قياما بها لليقين، فقام فقه الإسلام على شهادة محمد رسول الله قبلة الاجتماع ولحمة الجماع ونُصب الاتباع.

فأين محمد رسول الله الذي تشهد أنت له من بعده في قيام متواصل بعترة لبيت مشغول بأهله أنه محمد رسول الله!! أهي شهادة مؤرخ لمعلومات يسجلها التاريخ! أو شهادة رواية لمروي عنه في قصة إلى مُشاهد روى!

ما تكون الشهادة؟ إن الشهادة في دين الفطرة إنما هي الرؤية والمشاهدة.. إنما هي النظر، والنظر إنما هو القيام بالمنظور المدرك. إن الراوي لما شاهد هو النبيء من مشهوده بما شهد.

وقد طلب إلينا أن ننظر الأمر في أنفسنا، {ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير}[٢٩]، وهو أمر لكل نفس، وهو توجيه لكل نفس، وهو حق لكل نفس، من الله القائم على كل نفس بما كسبت.

وما كسبت إن كسبت إلا كشف الغطاء عما هي به قائمة من روح الحياة، فإذا كشف لها غطاؤها عنها فرأت الحياة بها فقد شهدت أنه لا إله إلا الله.

فإذا تكاملت بمحامد ومحمود الخلق إلى مرضيها وقد عست بإيمانها بمعنى عيسى لها، شهدتها محمدا رسول الله، وهذا هو المراد بشهادة أنه محمد رسول الله، ورضوان من الله أكبر في معراج لا يتناهى، ولا يجز العطاء فيه، بقيامها ظلا ومسيحا له، إنسان حقها ووجودها.

اللهم يا من بعثت محمدا بالحق، عَلَمَ رحمتك، وساحة عنايتك، ودار حكمتك، وبيت قدسك، ووجه جلالك، وطلعة جمالك، ويد نجدتك، وقدم سعيك، وجعلته كافة للناس قدوة وأسوة، رحمة للعالمين ظلالا له.. اللهم به فارحمنا.. اللهم به فوفقنا.. اللهم به فيسر أمورنا.. اللهم به فاغفر ذنوبنا.. اللهم به فادفع عنا من البلاء ما نعلم، وما لا نعلم، وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.

اللهم لا تحرمنا منه، روح قدسك لأرواحنا، نورا على نور.. حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، عالمين وجاهلين، مشرقين ومظلمين، مهتدين وضالين، متقين ومتجرئين، يقظين وغافلين، وقد جعلته رحمة للعالمين.

اللهم به فاختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين، وأنزل به سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، وألف به اللهم بين قلوبنا، وأنر به عقولنا، وقوم به جوارحنا، وقوم به فيك طريقنا. لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

(من حكم القـوم)

- غبت عن الله ثلاثين سنة، وكانت غيبتي عنه ذكري إياه، فلما خنست عنه وجدته في كل حال حتى كأنه أنا. ثم تنقلت من إله إلى إله حتى نادوا مني فيَّ (أنت أنا)[٣٠]
  - سبحان من أظهر ناسوته - سر سنا لاهوته الثاقب.
  - ثم بدا لخلقه ظاهرا - في صورة الآكل والشارب.[٣١]
  - وخاطبهم..
    - مزجت روحك لروحي -كما تمزج الخمرة بالماء الزلال
    - فإذا مسك شيء مسني - فإذا أنت أنا في كل حال.[٣٢]
    - أنا من أهوى، ومن أهوى أنا ـ نحن روحان حللنا بدنا
    - فإذا أبصرتني أبصـرته ـ وإذا أبصرته أبصرتني.[٣٣]
  - فقال الإنسان..
    - إن تبدى حبيبي - بأي عين أراه
    - بعينه لا بعيني - فليس غيرٌ يراه[٣٤]

- وكشف أمره..
  - إذا تفتحت عين بصيرة العارف، نامت عين بصره، فلا يرى إلا الله.[٣٥]

- قيل لأحدهم.. أخبرنا عن المحبة، أي شيء هي؟ قال يا أخي، ليست المحبة من تعليم الناس، المحبة من تعليم الحبيب.[٣٦] لا يري الله شيء ويموت، كما أنه لا يرى الله شيئا ويبقى، لأن الله أزلي خالد، فمن رآه فقد خلد، ومن خلد تأزل.[٣٧]
- قال بن مريم عليه السلام.. (أنا في الآب والآب فيَّ [٣٨]، من رآني فقد رأى الآب)[٣٩]، {ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون}[٤٠].
- فقال الرسول عليه الصلوات.. (من رآني فقد رآني حقا[٤١]، وما أعطيته فلأمتي[٤٢]، فإن الشيطان لا يتمثل بي[٤٣] وللـه المثل الأعلى في السموات والأرض[٤٤]، وما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان.[٤٥])

مصادر التوثيق والتحقيق

١ من كتاب نهج البلاغة، في وصف الإمام علي للمتقين: " نظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض. ويقول قد خولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم. لا يرضون من أعمالهم القليل. ولا يستكثرون الكثير. فهم لأنفسهم متهمون. ومن أعمالهم مشفقون."

٢ سورة الفرقان - ٦٣

٣ سورة الفجر – ٢٧, ٢٩, ٣٠.

٤ "فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ، وَأَمَّا أَنْتَ فَاذْهَبْ وَنَادِ بِمَلَكُوتِ اللهِ»." (لو ٩: ٦٠).

٥ عبارة متناغمة من مقولة من خطبة للإمام عليّ ـ كرم الله وجهه: "...اعلم أنّ لكلّ ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه...". بحار الأنوار، المكتبة الشيعية.

٦ إشارة إلى حديث شريف حين آخى رسول الله عليه الصلاة والسلام بين أصحابه بعد الهجرة، فقال لسيدنا عليّ: "أنت أخي في الدنيا والآخرة.". أخرجه الترمذي، وابن عدي، والحاكم، كما الحديث الشريف: "أنت مِنِّي بمَنزلَةِ هارونَ مِن موسى إلا أنَّه ليس بَعدي نَبيٌّ". صحيح مسلم وصحيح البخاري.

٧ حديث شريف: " إن عَليّا مني وأنا منه." رواه الترمذي والنسائي.

٨ العبارات تضم أكثر من حديث منها مقولة للإمام علي بن أبي طالب: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) علّمني ألف باب من الحلال والحرام، وممّا كان وممّا يكون إلى يوم القيامة، كلّ باب منها يفتح ألف باب، فذلك ألف ألف باب حتى علمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ - محمد الريشهري - ج ١٠، وحديث الرسول " أنا مدينةُ العلمِ، وعليٌّ بابُها، فمَنْ أرادَ العلمَ فليأتهِ منْ بابِه". أخرجه الطبراني، وابن عدي، والحاكم.. والحديث الشريف: "اللَّهمَّ مَن كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ، اللَّهمَّ والِ من والاهُ وعادِ من عاداهُ [وفي روايةٍ] زادَ فيهِ: وانصُر مَن نصرَهُ، واخذُلْ من خذلَهُ". أخرجه ابن ماجه وأحمد.

٩ عن علي ابن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن سنته فقال: المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمتي، والعجز فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حبي، والجهاد خلقي، وقرة عيني في الصلاة. ا المحدث: العراقي. وصفه أنه موضوع، وذكره الغزالي في الإحياء، والقاضي عياض في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ومعظم المتصوفة.

١٠ عبارة "أخي جبريل" يستخدمها بعض المتصوفة.

١١ حديث شريف: "أنا مدينةُ العلمِ، وعليٌّ بابُها، فمَنْ أرادَ العلمَ فليأتِ الباب". المحدث: السيوطي. المصدر: الجامع الصغير، أخرجه الطبراني، وابن عدي، والحاكم.

١٢ إشارة إلى حديث شريف حين آخى رسول الله عليه الصلاة والسلام بين أصحابه بعد الهجرة، فقال لسيدنا عليّ: "أنت أخي في الدنيا والآخرة.". أخرجه الترمذي، وابن عدي، والحاكم، كما الحديث الشريف: "أنت مِنّي بمَنزلَةِ هارونَ مِن موسى إلا أنَّه ليس بَعدي نَبيٌّ". صحيح مسلم وصحيح البخاري.

١٣ عبارة صوفية يقال إنها للسيد أبي الحسن الشاذلي، كما يقال إنها للسيد أبي العباس المرسي

١٤ سورة الفتح - ١:٢

١٥ سورة التوبة – ٣٣، سورة الصف – ٩، سورة الفتح - ٢٨

١٦ سورة الشرح - ١

١٧ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها في السياق.

١٨ من الحديث الشريف: "صِفَتي أحمدُ المتوكّلُ، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، يجزي بالحسنةِ الحسنةَ، ولا يكافئُ بالسيئةِ، مولدُه بمكةَ، ومُهاجرُه طَيبةُ، وأُمَّتُه الحمَّادون، يأتزِرون على أنصافِهم، ويوُضّؤون أطرافَهم، أناجيلُهم في صدورِهم، يَصفّون للصلاةِ كما يصفُّون للقتالِ، قربانُهم الذي يتقرَّبون به إليَّ دعاؤُهم، رُهبانٌ باللَّيلِ لُيوثٌ بالنَّهارِ". أخرجه الطبراني.

١٩ إشارة إلى حديثين شريفين: "إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض". أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. و"إني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما". جاء في سنن الترمذي:

٢٠ سورة النحل - ١٢٠

٢١ حديث شريف: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى." أخرجه البخاري ومسلم.

٢٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها في السياق.

٢٣ سورة الأحزاب - ٦

٢٤ حديث شريف: "دَخَلْتُ الجنةَ فرَأَيْتُ في عارِضَتَيِ الجنةِ مكتوبًا ثلاثةُ أَسْطُرٍ بالذهبِ – لا بماءِ الذهبِ: السَّطْرُ الأولُ: لا إله إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ. والسَّطْرُ الثاني: ما قَدَّمْنا وَجَدْنا، وما أَكَلْنا رَبِحْنا، وما خَلَّفْنَا خَسِرْنا. والسَّطْرُ الثالثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ ورَبٌّ غَفُورٌ". أخرجه الرافعي في تاريخه (٣/ ٩١) ، الإمام أبو القاسم في تاريخ قزوين، وابن النجار في تاريخ بغداد عن أنس ابن مالك. ويعتبره المحدثون ضعيف الإسناد.

٢٥ حديث شريف يتردد في أدبيات التصوف، يتوافق مع الحديث الشريف: "الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ". أخرجه أبو يعلي والبزار.

٢٦ حديث شريف رواه الدارقطني، يتوافق مع الحديث الشريف: "ما من مسلمٍ يُسلم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتى أردَّ عليه السلام." رواه أبو داود بإسنادٍ جيدٍ، وحديثين ذكرهما الشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة": "أنا في قبري حي طري، من سلم علي سلمت عليه" و "الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ". أخرجه أبو يعلي والبزار.

٢٧ سورة طه - ١-٣

٢٨ سورة النساء - ٤١.

٢٩ سورة الملك - ٤

٣٠ هذه الكلمات لأحد المتصوفين كما أشار السيد رافع، ولم نتمكن من الوصول لمصدرها.

٣١ من أبيات شعر للحلاج.

٣٢ من أبيات شعر للحلاج.

٣٣ من أبيات شعر للحلاج.

٣٤ من أبيات شعر للشيخ محيي الدين بن عربي: إذا تجلى الحبيب باي عينٍ تراه؟ . . . بعينه لا بعيني فما يراه سواه.

٣٥ عن معروف الكرخي، توفي في بغداد سنة ٢٠٠ هجرية/ ٨١٥ ميلاديا: «إذا انفتحت عين بصيرة العارف، نامت عين بصره، فلا يرى إلا الله."

٣٦ من كتاب "قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد". أبو طالب المكي (المتوفى: ٣٨٦هـ). الفصل الثاني والثلاثون. ومن كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف، المؤلف: محمد الكلاباذي أبو بكر: قيل لمعروف الكرخي أخبرنا عن المحبة أي شيء هي قال يا أخي ليست المحبة من تعليم الناس المحبة من تعليم الحبيب.

٣٧ من كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف، المؤلف: محمد الكلاباذي أبو بكر. جاء في بدايته: " يقول العلامة الصوفي أبو سليمان الداراني القلب الصوفي قد رأى الله وكل شيء يرى الله لا يموت فمن رأى الله فقد خلد."

٣٨ إنجيل يوحنا ١٤: ١٠-١١

٣٩ إنجيل يوحنا: ١٤: ٩

٤٠ من سورة الزخرف - ٥٧

٤١ إشارة إلى الحديث الشريف: مَن رآنِي فقَدْ رَأَى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُنِي." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآنِي في المَنامِ فقَدْ رآنِي، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

٤٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٤٣ من الحديث الشريف: "مَن رآنِي في المَنامِ فقَدْ رآنِي، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان..

٤٤ استلهاما من سورة الروم -٢٧ {وله المثل الأعلى في السموات والأرض}

٤٥ مقولة صوفية تتناغم مع تكريم الله للإنسان.

(١٠)

إنسان الله وحقه
ناموس الفطرة وصبغتها
نعرف أنفسنا يوم نعرفه
ونعرف الله يوم نكبره وظلاله نشرفه

حديث الجمعة

١٣ ربيع الآخر ١٣٨٤ هـ - ٢١ أغسطس ١٩٦٤ م

باللـه.. بسـم اللـه.. بلا إله إلا اللـه.. باللـه أكبر، نستعيذ ونعوذ.

بالحي القيوم.. بالأحد الصمد.. بالواحد السرمد.. بحق الله.. بالرحيم الرحمن.. نستعين ونفعل.

به ندخل في حصن وجوده، وفي جمال شهوده، فنسجد لمن جلت قدرته سبوحا، عالما، شاهدا لنفسه بنفسه أنه لا إله إلا الله.

نراه لنا قائما مقيما، حيا محييا، مُوجدا، متواجدا، لمعناه متجليا، بنا لنا فينا، لمعنى نفسه لقائم اسمه، بوصف الخلق مبتدئا، ولحقه بنا منتهيا، نصله بشهادتنا له حق الحياة لنا، وبرسول الحياة بنا، نشهده الأكبر والأكبر كلما به تواجدنا وله شهدنا.

يا أيها الذين آمنوا بالله لا شريك له، اتقوا الله، وآمنوا برسوله، لا بدء ولا انتهاء له، هديَ فطرته وإنسان صبغته وجمال طلعته، وجلال عزته، وعلم أحديته، وكتابَ معرفته، وقائم ودائم طريقه، وقائم وقيوم أحواض الحياة فيه له، إنسان وجوده، ووجه شهوده، وبحار جوده، واسعا عليما، كوثرا متكاثرا لا يُبتر ولا يُشارك، معبِدا لنفسه، مُعظما لإنسان ربه، ظاهرا بمقام الإنسان لإنسان غيبه من إنسانية حقه، معروفا للإنسان من إنسانية خلقه، متجليا للإنسان بالإنسان من الإنسان.

من صَلح، من هياكل الإنسان، عبدا للرحمن، معبِّدا نفسه للديان، أصلح الله له من صلح من آبائه، ومن أزواجه، ومن ذرياته، فقام لقديمه رحمة القديم والأقدم رجوعا إلى أحسن تقويم، وقام في قادمه

مرحوم دائمه والأحدث سيرا إلى أحسن تقويم، وقام في قائمه رحمة قيومه والأقوم، كشفا للغطاء عن قائم الحق وجها لأحسن تقويم.

بذلك كان الإنسان بقديمه وقادمه، طرفا قائمه، في أحدية معناه، إنسان الله، القائم بالله على نفسه، معلوم نفسه، وقيوم نفسه، وقائم نفسه. هو بقائمه عين قيومه.. هو مسيح قيامه لإنسان سلامه، وآدم إعلامه، وكلمة علامه.. حق الله، وعبد الله، وكلمة الله، وإنسان الله، للرفيق الأعلى لمعناه، والرفيق الأدنى لمبناه، في حصن لا إله إلا الله، الحي القيوم.

هذا هو المسلم لله في إسلامه لدائم رسول الله. متابِع هو عين من تَابع. قائم محمد لقيوم شهوده، وقيوم محمد لقائم موجوده، عبد الرحمن في قيام المؤمنين من أُمته بوجوده.

هذا هو الإسلام.. وهذا هو الخلاص والسلام.. وهذا هو الوتر والشفع.. وهذه هي أحدية الله، لآحاد الله، في أحد الله لا شريك له، ولا موجود معه، واسعا عليما، وقائما مطلقا. الوجود له، ومعنى الموجد له، فلا موجد ولا وجود، ولكنه القيام الموجود، والقيام المشهود، وما وراء الموجود، وما وراء المشهود، يوم نُقَدر الله حق قدره، فنقدر الإنسان فيه، فنقدر الاسم له، فنقدر العبد له، فنقدر الرسول منه، فندخل في حصن لا إله إلا الله موحدين، بلا إله إلا الله لنا، صِديقين.

بلا إله إلا الله في قيامنا نُبعث فنقوم فنشهدنا بها محمدا رسول الله يُبعث ويقوم، ويتقلب في الساجدين، يسجد وظلاله، في السماوات كان أو في الأرض كان، لمعروفه، ورفيقه الأعلى، بمعاني الرب له، وبمعاني الحي القيوم عليه، اسما وعلما لمطلق المعروف عنده، والموجود بسم الله، والمذكور بلفظ وكلمة الله، والمعروف في ذات الإنسان، لذات الإنسان، بذات الإنسان، من ذات الإنسان، روح قيامه، ومراكب وسفين سلامه.

من صَلح أصلحنا له من صلح من أصله وفرعه وأزواجه بخلته ليكون إنسانا. من صلح أصلحت الفطرة له بقوانين الفطرة قديمه رجوعا إلى الله بالرجوع إلى أحسن تقويم، وأصلحت له قادمه سيرا إلى الله بالسير إلى أحسن تقويم، بإصلاح قائمه لأنانيته في معناه لأحسن تقويم، في صحبة من بُعث بأحسن تقويم، أمرا وسطا لله، عبدا لرب، وربا لعبد.. ابنا لأب، وأبا لابن، ذاتا لروح، وروحا لذات، فكان أمر الله الوسط، وخير أمور الله، بين أمور الله عند الله الأمر الوسط.

بالأمر الوسط قام رسول الله رسول قديمه لإنسانية أزله، إلى عين قادمه لإنسانية أبده، بذات قيامه لروح قيومه، فما بين جسم وروح كان مظهره، روحا لذات في أعلاه، وذاتا لروح في أدناه.

أزواجا وجد وتواجد، وأزواجا خلق وتخلق، وأزواجا حُقق وتحقق، في عوالم الروح من أهل الرشاد تمام أنانيته وأخوته، روحا لروح، وروحا مع روح. والروح بانتشارها به منه إليه معنى أبوته وبنوته في أحديته، روحا لروح. والروح بقيامها منه له، بنوته روحا من روح. والروح إليه ومنه، وُصلته، ورسالته روحا لروح، ولأكبر من عوالم الروح.

وبالذات كانت نشأته وجدته لظهوره، روحا تجسد، وأزواجا تواجد، والدا وما ولد، وولدا وما منه وُلد أو منه توالد، فكان لأناه بمعناه مواصلا وصف الأب والجد والولد، في أحدية معناه. بقديم قيامه كان كذلك، وبقادم قيامه يكون كذلك، وفي كل قيام بقائم لقيامه يكون ذلك. هو بين يدي رحمته لقيامه، برحيم قديمه، لمرحوم قادمه، من الرحمن الرحيم لقائمه، مواصلا متصلا بين الأزل والأبد بقائم في سرمد الإنسان لسرمد الله.

به جاء الحق من قديمه، وبه جاءت البشرى من قادمه، وبه استقامت الطريق بقائمه لمتابعه، ومخالله إلى عين ما هو بحقه وخلقه.

جبريل الروح المتجسد لمعنى الذات والمنطلق المنتشر لمعاني الصفات، عينه وأخوه، وولده وأبوه، هدية مُرسلة إليه له معلما وربا ورفيقا أعلى، وقبس نور من الأعلى عليهما لربوبية ربهما هما أقباس نوره، وعليٌّ وجهه وولده وأخوه، ومرآته لرؤية أبوته فيه. هو قادمه بآدم لبعث قديمه به، من الذات والروح منه يتواجد، ومعه يتآخى، على ما كان منه فيه له في قديم لهما مرآة نفسه له معه، وبعثا لآدم بدئه في معيته، في دورتهما في خلقهما وحقهما، ليشهد به منه نفسه على ما تواجدت من الرفيق الأعلى له، ردا للبصر كرتين من قديم الإنسان في أحسن تقويم، وقادم الإنسان في أحسن تقويم لمعنى إنسانه بقائمه بمجهول أناه له، في إحاطته به إلى أحسن تقويم.

ارتد إليه البصر، قياما إلى أحسن تقويم لذاته، يرجوه عبدا لقديمه وعبدا لقادمه، فحمد الله يعرفه بعجزه عن الإحاطة به محاطا منه غير محيط به، يعلمه ما قبل قديمه بروزا من أزله بالإنسان لإنسانه، ويعرفه ما بعد قادمه بروزا من أبده بالإنسان لإنسانه، يشهده في قائمه إذ يراه ظلا لقيومه، ويد معبوده، ووجه مشهوده، وعين طلعة شهوده لمشاهده لنفسه، محيطا بما شاء الأعلى أن يحيط به من علمه عنه بما علم عن نفسه منه.

قامت رسالته إعلاما عن الفطرة بأنه لا إله إلا الله، فأشهره، وأشهده على ما شهده لا إله إلا الله، فكان بها رسول الله لرسل الله، ورسول الله من رسل الله، ووجه الله لوجه الله، ووجوه الله لوجوه الله. فأعلمه وعلمه لأهل الحق أنه الحق فيهم حقية العبد لحقائق العباد فيه، لمن شهده له عين الحق وعين

الحياة فيه. وما شهده الحق والحياة فيه إلا من رآه منه، وما رآه منه إلا من رآه حقا من الحقائق، فرآه الرسول، عرفه حقا من حقائق الله بحقيته فيه منه له.

أعلنها رسول الله داوية، بعزة الله، وبرحمة الله على ما رآها له، ظاهرا بها على ما ظهر له الأعلى له، (من رآني فقد رآني حقا)[1]. فما رآني من لم يرني حقا، فأنا المثل الأعلى من المُثل العليا لله في السماء والأرض، بها يشهد الحق إماما ودليلا، وفيها يشهد الحق قياما وبعثا، وبها يتابع الحق رسولا وربا، {وقل جاء الحق وزهق الباطل}[2] كلما انشقت عنه أرض أو انشقت عنه سماء. كلمة الله الذاتية لروح قدسه تتردد بين السماء والأرض أزلية أبدية، وارفة متكاثرة الظلال، مستقيمة المقال، قديمة الحال لعوالم الخلق وعوالم الحق، بمن مِن عوالم الأشباح وعوالم الأرواح كان موجودا متواجدا فيهما على دوام.

من شهدني، بمعاني الحق له، لقيامه بالحق بي، شهد ربي حقا بي وبه، ومن شهد ربي حقا لي وله، في أحدية الحق لنا، شهد أنه لا إله إلا الله، ودخل في حصن لا إله إلا الله، وركب سفين النجاة بلا إله إلا الله، إلى لا إله إلا الله، في لا إله إلا الله، بفضل لا إله إلا الله، من لا إله إلا الله.

لا إله إلا الله شعار رسالتي.. وشعار حقي.. وشعار قيامي.. وشعار خلقيتي لحقيتي.. من تبعني فهو مني، ومن كان مني كنت منه، ومن كان مني وكنت منه كان من حقائق الله.. ومن كان من حقائق الله كان اسما لله لمعنى الحق به، لعين الحق بي، فمنه كانت كلمات الله إلى آدمه له، على ما أنا اليوم كلمة لله، تمت لآدم بي كلمته له، وقد عرا له بي القديم من الإنسان له.

أنا والمؤمنون بالله ورسوله في ربي بربي نقوم لا إله إلا الله، ونشهد لا إله إلا الله، ونُشهد لا إله إلا الله، أُمة وسطا بين أمم الإنسان لا بدء لها، فيمن لا بدء له، إلى أُمم الإنسان لا انتهاء لها فيمن لا انتهاء له، أمة وسطا، وأمرا وسطا، ورسالة وسطا، وحقا وسطا، وإنسانية وسطا، طرفاها بدايات الخلق، وبدايات الحق.

ولتكن منكم أمة تدعوا إلى الخير، تأمر بالمعروف لها ربا موجودا مشهودا قائما على كل نفس، وتنهى عن المنكر من أوزار خلقها منها منكرا، وتؤمن بالله لها قياما، وبها من قديم إنسانيته تجليا، بها يتجلى القديم لها، والقديم عليها، للقادم للإنسان منها وجوها للرحمن، وأيدي للإحسان، وسفنا وأعلاما للسلم وللسلام.

خير أُمة أخرجت للناس، أعلام بيانه، وكتب عرفانه، وعباد إحسانه، وأرباب رحمته، ورحمة قيومه، يأمرون بالمعروف متخلقين بأخلاق المعروف لهم، ما أجمل الأداء، وما أكرم العطاء، وما أوفى الجزاء،

وما أعظم الإحسان. بالمعروف يأمرون في رفق وحب وحنان، يؤثرون على أنفسهم، رحماء بينهم، خرجوا من الظلمات إلى النور، أحرزوا النور في حجب من الظلام لماديهم رحمة بالعالمين. محوا الظلمات عن قلوبهم، وصقلوها رقيقة شفافة لقوالبهم، قتلوا الغفلات، جانبوا السيئات، أبصروا الزلات، تجنبوا العثرات، عرفوا الآيات وقاموها، سجدوا لرب الآيات وما عبدوها، وآية الله بهم لربهم أسجدوها، رأوا الحق للعيان، يقوم ويتقلب في الساجدين للبيان، ساجدا بهم بقوالبهم، وهو المسجود له فيهم بقلوبهم، أمة عنوانها فرد، وفرد عنوانه أمة. {إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا}[٣].

فكانت القلوب به قبلة السجود، لمن طلب الشهود، لمن طلب الحياة، لمن طلب البيت، لمن طرق الباب، لمن طاف بالقبلة نُصبا لمعناه، لمن عرف ما يشير إليه القول من التبليغ فعرف قبلته يرضاها، فاتبع أحسن القول، وأدرك ما وراءه من الحكمة، فطلب الله مع المحسنين، فكان منهم، فكان محسنا...

فتكشف له عن الله من الله معيته من المحسنين حياة وإحسانا. سمع القول فاتبع أحسنه، قتل نفسه، فقتل الناس جميعا بأشباحهم له، وأحيا بالله نفسه، فأحيا الناس جميعا حقا له. قتل الناس في كنودهم، وأحيا الناس في سجودهم، وتواجد الناس في وجودهم، يوم حيا بالله قلبا وقالبا، فحيي به الناس قلبا وقالبا.

أحب أن يعرف فعُرف، طلب أنه بالله يشرف فبالله شرف، وحد الله فكان اسما لله، آمن بالله ورسوله ثم لم يرتب في إيمانه، ولم يرتب في الله ورسوله، فلم يُمسخ على مكانته بمن قبله من أصوله منظرا، ولكنه مسح على إيمانه ببعده بشرا مبشرا، وعلى مكانته كلمة من الله ورسوله مقدرا، وقد غير ما في نفسه من ظلامها وظلمها، فحل به لطيف الله بنوره لرسوله، فشهد ربه من الله برسوله، وشهد الرسول بربه من الله، فشهد الله بالله، وشهد الرسول بالرسول، يوم عرف للرسول ربا ورفيقا أعلى، وعرف الرسول لربه عبدا، حقية العبد، ورفيقا أدنى، فعرف في الرسول، وهو عين ربه، ربا له، لا مستكبرا ولا مستعليا، ولا متجاوزا له، فكان الرسول أولى به من نفسه، وحق قيامه وقيومه.

شهد به فيه الحق.. شهد به فيه من ينشد.. شهد به فيه من يعبد، ومن نفسه له يعبِّد، فعبَّد نفسه لرسول الله، ربا له، فتعبَّدت بطابعه وفطرته لربه، فعرفه هيكلا للرسول وربه، وللرب وربه، عرفه عالما للحق وحقه، عرفه قياما للإنسان بخلقه وقدسه، عرفه بيتا لله ورسوله، وقبلة لله ورسوله...

فقدَّر الله حق قدره، في معارج العبودية والربوبية فيه منه إليه، بشهادة أنه لا إله إلا الله، ونشدان (الله أكبر)، فعرج في وحدانية الله، بإدراك وحدانية نفسه لله ورسوله، في إدراك وحدانيته مع مشهود رسول الله وظله، عبدا لربه...

ثم بإدراكه أن وحدانية نفسه مع الرسول هي طريقه وقيامه لوحدانيته مع ربه، دخولا في حصن لا إله إلا الله، دخولا ومعراجا في لا إله إلا الله، في الأكبر والأكبر من حقائق الله اتجاها إلى لا نهائيه، سبحا في مطلقه، (السير إلى الله له نهاية، والسير في الله لا نهاية له)[٤]...

على هذا العماد، عمادا تعددت ظلاله، فكان وظلاله من عمده، عمدا للدين.. وعمدا للعلم.. وعمدا للمعرفة.. وعمدا للطريق.. وعمدا للحياة.. وعمدا للحقيقة.. عمدا لكل شيء، عمن هو كل شيء، ومن ليس كمثله شيء، وكيف يحيط الشيء وهو الجزء بالكل؟ وكيف يحيط الشيء بكل شيء؟ إن إحاطة شيء بشيء مفتاح العلم عن المحيط بكل شيء.

من كان في الله شيئا، تقبل كلَّ شيء، لله وجها، وله ربا، وللإله مظهرا، ولقيامه في قيومه جوهرا.. فبذلك كان كائنا من شيء، وكان في كائنه له أشياء، وكان بوحدانية أشيائه بكائنه إماما مبينا، وكتابا محصيا، وقياما عالِما، وحقا معلوما، في مشهود لا إله إلا الله، بموجود محمد رسول الله له ولأناه ولمعناه.

هكذا كان الإسلام.. وهكذا يتجدد الإسلام.. وهكذا يقوم الإسلام.. يوم يقوم المسلم بالإسلام، فيتواجد بالمسلم الإسلام تواجدا ظاهرا بالمسلم، (المسلم من سَلِم الناس من يده ولسانه)[٥]. ليس المسلم من جعجع بالإسلام لفظا، وبعبارات الكتاب قولا، تنغيما أو ترتيلا، وبأحاديث الرسول ترديدا أو تأويلا، ولكن المسلم من قام بأحاديث رسول الله، قياما وفعلا، فكانت قوام خلقه، قام بكتاب الله معاملة وعملا على أساس من حكمة الله، فأوتي الحكمة، ومن أوتي الحكمة فقد أُوتي خيرا كثيرا، فكان ظلا لعالم الحكمة وكتابَ الحكمة، وكان ميزابا من حوض الرحمة، وحوضا من بحار الحياة.

من كان كذلك، كان كلمة لله في كتاب الوجود، وكان آية من آيات الشهود.. كان وجها لله، الحق من ورائه بإحاطته، والحق في قيامه بقيامته.. كان إنسانا بحقيقته، ومسيح الإنسان بشهادته.. كان ظل الإنسان بعظمته.. كان عبد الرحمن.. كان آدم وجوده، إنسانا بموجوده، آدما بظهوره وشهوده.

من كان كذلك فقد عرف من خلق فسوى، من خلقه ابنا وجعله لأبيه ولدا، ثم سواه به فكان والدا، ثم سوى ما ولد منه به فأصبح والدا وما ولد، فتساوى مع والده مولودا، ومع ولده والدا، أمرا وسطا، فعرج في معراج أزلي الإنسان وجودا، ودانى وتجدد في أبدي الإنسان تواجدا، فقام بأناه لأناه أحدا، وبقي في وجوده من الله لله اسما، وتواجد منه فيه له صمدا، فعرف الله في معرفته عن نفسه يوم أرجع البصر كرتين، من القديم له والقادم منه، فارتد إليه البصر خاسئا فانحسر الحجاب، فكشف عنه غطاؤه، فحد في الله بصره، وتراءت في الإبصار بالإدراك بصيرته، جمع الزمن بقديمه وقادمه لحاضره، واتصف

الإنسان والدا وولدا وما ولد. آب إلى الروح لمعنى الحق أو آب إلى الخلق بأناه من الحق، رسول الله وحقا إلى الخلق، وإمام الناس وخلقا إلى الحق.

ذهب بالبصيرة إلى الأزل لا يتناهى، لا ينتهي عنده إلا إليه، وإلى الأبد لا ينتهي، ولا ينتهي عنده له إلا إليه، فعرف ما كان وما سيكون وما هو كائن، يوم أظهره الأعلى على الدين كله، وعرف أن مُظهره على الدين كله إنما هو فطرته في قديمه، ببشراه له في قادمه، فعرف نفسه على ما كان، وعرفها على ما يكون، وعرفها على ما هو كائن، فعرفه الفطرة في الوجود، موجودا متجددا من أزله إلى أبده في موجوده، فعرف عن الإنسان تعريفا عن الله، فكان لفظ الله، وكلمة (الله) في الإسلام، لفظا مرادفا لمعاني حقي الإنسان، في حقائق الإنسان، في معارج الإنسان، في تداني الإنسان، في تخلق الإنسان، في تجلي الإنسان، في تكنز وتعالي الإنسان، في الكائن الصمد، الواحد الأحد، المطلق بوجوده، اللامتناهي بتجليه لشهوده. لا تدرك له ذات تسمى عند ذوات وجوده لشهوده، ولا تبلغ كمالات صفاته للقائمين بصفاته لمعالم تقديره لظهور قدرته.

قال رسول الفطرة وقائمها ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره بالإنسان، الإنسان العبد، والإنسان الرب، والإنسان الإله، والإنسان الغيب، والإنسان الوجود، والإنسان الموجد، والإنسان المتواجد، والإنسان الموجود، في أي صورة ما شاءت فطرته ركبته، وفي أي معنى من معانيه شاءت رسالته فأظهرته.

أتظنون أن الحق من الله يكفي لمعرفته وإبرازه وبروزه وتجليه وخروجه من تكنزه، وعودته لكنزيته رسالة واحدة؟ أو رسول واحد؟ أو أُمة واحدة؟ أو عصر واحد؟ أو بشرية واحدة؟ أو فلك واحد؟ أو وجود واحد؟ {ما قدروا الله حق قدره}[٦].

لقد جاءت رسالة الإسلام رسالة الفطرة، رسالة أمر الله.. رسالة إنسان الله.. رسالة عين ذات قدس الله عَلما على الأقدس.. رسالة روح الله.. رسالة الأقدس لله، بالقدس لله، في قدس الإنسان عَلَمًا على الأقدس، بمن عرفناه محمدا، بمن عرفناه رسول الله، بمن عرفناه عبد الله، بمن آمناه الحق لنا من الله، بمن به نُبعث بالحق، بمن به نشهد الحق، بمن به نتوحد مع الحق يوم نتوحد معه، بمن به نعرف أنفسنا يوم نعرفه، ونعرف ربنا يوم نشرفه، ونعرف إلهنا يوم نكون لربنا مسحاء، وله ظلال، وبه وجوه لوجوه، وبقدرته أيدي فعل، وبلسانه كتاب حكمة، وبنوره روح قدس وأمناء بلاغ يوم نستخلف ونخلف منا على ظاهر أنفسنا متكنزين فيه.

كل هذا جاءنا به رسول الله.. كل هذا قام بين أيدينا برسول الله.. فهل امتدت أيدينا للاغتراف منه؟ هل تفتحت خياشيمنا لشميم أريجه؟ هل تفتحت أفواهنا لإطفاء الظمأ بماء رحمته؟ هل تفتحت عيوننا

لجمال شهوده؟ هل تفتحت آذاننا لأنغام ترديده؟ يوم تفتحت آذان داوود لأنغام ترديده أوَّبَت الجبال معه، فكان عازفا، الطبيعة فرقته، وجمال الوجود أنشودته. {يا جبال أوبي معه}[٧].

هل امتدت أيدينا للعمل به أيدي قدرته، فأوجدنا ما نريد من الوجود بعزته، على ما أدركنا من حكمته، وعلى ما وهبنا من قدرته؟

بهذا كله جاءت رسالة الفطرة، أزلية سرمدية، وهل هناك ما هو قبل الفطرة! فكان بالفطرة صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة، فاطر السماوات والأرض بصبغته، مستوٍ على عرش الكائنات بقيوميته، معلمها يوم يعلمها بعزته، لا عزيزا عليها، ولكن عزيزا بها، فهو مهلكها يوم يظهر عليها بعزته، معلمها يوم يقدِّرها بقدرته، يوم يجعلها أيدي إرادته. وهو مهلكها يوم يظهر لها أو عليها بقدرته لإحاطته، بعيدا عن قيوميته لقيامه، مستقلا عنها في تواجده ووجودها به.

أمات وأحيا، وأحيا وأمات، وما أمات يوم أمات فقد كان الميت ميتا، كشف له عن معناه بغير مولاه. وما أحيا يوم أحيا إلا لمن عرفه فيه ميتا بدونه وهو له الحياة، فكشف له عنه لله بالحياة فأحياه، فهو في الموات يحيا، والموات به يحيا، فعلَمه وعَرفه أمات وأحيا، فأدرك الإنسان به الموت لنفسه دائما، والحياة لقيومه بها دائما، فكان بقائمه ظل موجوده، وعَلَم شهوده، واسم إيمانه بمعروفه عبدا، آمن بالله ورسوله، فكان حقا قيام الله ورسوله.

نِعم الاسم الإيمان، (المؤمن مرآة المؤمن)[٨]، {بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان}[٩]، بالريبة في الله ورسوله بعد أن عرف المرء الله ورسوله، وآمن بالله ورسوله، ثم ارتاب في إيمانه وفي الله ورسوله، فمُسخ على مكانته من ريبته، أما المؤمن فمُسح على مكانته، من إيمانه بربه ورسالته، {ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين}[١٠]. أشهد أنه لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله.

اللهم يا من جعلت من محمد عبدك ورسولك رحمة مهداة، وجعلت منه لأهل بيته بيتا لك، فيه اسم لك به تُذكر، وجعلت من السماوات والأرض لكبير إنسانك مشكاة فيه، جعلت منه فيها لها سراجا من نورك نجما وضاءً، ونارا مقدسة مباركة، وجعلت من مادي الكون من الشمس عليه عَلَما، ومن الوجود له دارا ومدينة، وجعلت من الأرض به له مسجدا وطهورا، وجعلت من متابعه عبدا مغفورا، وجعلت من المؤمن به نورا مشكورا، وحقا موجودا مذكورا، به تُذكر، وبه تُشكر، وبالكفر به تُكفر.

اللهم لا تحرمنا الهدية.. اللهم لا تسترد منا العطية.. اللهم اجعلنا به عن الدنيا وفتنتها نفوسا أبية.. اللهم أجرِ الدنيا في أيدينا، ولا تجرها في قلوبنا.. اللهم لا تمنعنا خير الدنيا زراعة، ولا خير الآخرة حصادا وضراعة.

اللهم اجعل من دنيانا مزرعة لأُخرانا.. اللهم اجعل من أُخرانا امتدادا لقائمنا بمعيتنا بالحق في أولانا، واجعل اللهم من هياكلنا دارا لمعانا بك، وقياما في مبنانا بيوتا لك.

اللهم ارفع الحواجز بيننا وبين حقائقك ممن توفيت من إنسانية قيامنا لقديمنا وقادمنا، وارفع الحواجز والأغطية عن أعيننا حتى نشهد قادمنا بعثا لقديمنا من خلالنا في مرآة أخوتنا لإيماننا.

اللهم لا تجعل من الطبيعة قيدا لنا، فلا تجعل الأرض ممسكة بنا، ولا تجعل السماء حاجزة لنا عنك فينا.. اللهم أطلقنا وحررنا من مادي تواجدنا وذواتنا نفوسا طليقة، حرة عتيقة من قيود المادة، وقيود الطبيعة، وقيود النار، سابحة في ملكوت السماوات والأرض، منطلقة من ملكوت السماوات والأرض إلى ساحة حضرتك، في حضرة إطلاقك، لا شريك لك، ولا وجود لغيرك، ولا قائم معك. اللهم ارزقنا شهادة أنه لا إله إلا الله، وأتمم علينا نعمتك بشهادة أنه لنا بنا الحق منك محمد رسول الله، شهادة واحدة لك.

اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، وأصلح أمورنا حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، مجاهدين ومتابعين، عالمين وجاهلين، مشرقين ومظلمين، غافلين ويقظين، برحمتك يا أرحم الراحمين، واختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أضواء على الطريق

(حديث للسيد الروح المرشد لدائرة الجمعية الإسلامية الروحية بالكويت).

(السلام عليكم ورحمته وبركاته)

(أبنائي.. إنكم اليوم في حياتكم هذه التي ما هي إلا مدرسة الحياة إنما تتبارون فيها للحصول على مزيد من التجارب المستمرة الممتدة من تاريخكم، والممتدة من رغباتكم. أنتم اليوم تجدون أنفسكم في جميع المجالات لهذه الحياة. وكم تذكرون وتشكرون الخالق العظيم الذي يُسدي لكم هذه النعمة. أنتم سوف تعرفون أن حضوركم لهذا المكان لبضع ساعات فقط، وعند خروجكم من هنا تتركون كل شيء سمعتموه داخل هذا المكان. إن هذا ليس هو الغاية الأساسية التي نقوم بدورنا من أجلها، بل المهم أن تمتد جلساتكم إلى خارج هذا المكان.

إن هذه الجلسات يجب أن تأخذ طريقها إلى حياتكم اليومية، لتعرفوا أعمالكم حسب إرشاداتها، وحسب ما أوتيت أوعيتكم من معرفة من النور اللانهائي.

وعندما تنادوننا فسنلبي النداء، وستشعرون بقوة الله، وتضحوا بأنفسكم، وتفرحوا بقلوبكم.

أبنائي: إن عبادة الله ليست في جلساتكم فقط، بل عبادة الله في كل لحظة، وفي كل عمل وكل فكرة تفكرون بها وأنتم تشعرون بارتياح كما تشعرون في جلساتكم المباركة هذه، عندما أجدكم قد ارتفعتم للمستوى الذي أُكلمكم به، والسبب في هذا هنا يكمن في أنكم عند حضوركم جلساتكم تنسون هذه المادة التي تحملونها لبضع لحظات، فبنسيانها أجدكم قد ارتفعتم للمستوى الذي أكلمكم به، ولكن للأسف ما أن تخرجوا إلا لترتدوا لها مسرعين، فبارتدادكم تنسون ما تكلمنا به، وتعود إرادتكم إلى تكيفها حسب رغبتكم المادية.

أبنائي: أعود لأقول لكم إنه لا يزال بإمكانكم أن تجعلوا كل حياتكم جلسات مستمرة في السير قليلا على ضوء تعاليمنا، فسيروا والله يوفقكم).

مصادر التوثيق والتحقيق

١ إشارة إلى الحديث الشريف: مَن رآني فقَدْ رَأَى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُني." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآنِي في المَنامِ فقَدْ رآنِي، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

٢ سورة الإسراء - ٨١

٣ سورة النحل - ١٢٠

٤ مقولة صوفية عامة، وغالبا ما تعود إلى مولانا جلال الدين الرومي.

٥ حديث شريف: "ألا أُخْبِرُكُمْ بالمؤمنينَ؟ مَنْ أَمِنَهُ الناسُ على أَمْوَالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ، والمسلمُ مَنْ سَلِمَ الناسُ من لسانِهِ ويَدِه، والمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نفسَهُ في طَاعَةِ اللهِ، والمُهاجِرُ مَنْ هجرَ الخَطَايا والذُّنُوبَ". صحيح ابن حبان

٦ سورة الحج - ٧٤

٧ سورة سبأ- ١٠

٨ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفُّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه.". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني

٩ سورة الحجرات - ١١

١٠ سورة فصلت - ٣٣

(١١)

إنسان الحق لإنسان الشهود
وإنسان المسير لإنسان القعود
إنسان الكلم لإنسان الوجود
ساحة الرحمة للعالمين، وكتاب العلم واليقين

حديث الجمعة

٢٠ ربيع الآخر ١٣٨٤ هـ - ٢٨ أغسطس ١٩٦٤ م

الحمد لله.. أعطى كل شيء خلقه

الحمد لله.. أعطى كل شيء هديه

الحمد لله.. غفر فقبل، وقبل فأنعم، وأنعم فحمِد

الحمد لله.. حمد نفسه بنفسه، يوم حمد عبده له

الحمد لله.. حمد عبده، فحمد عبده له فسجد، وسجد فتواجد، وتواجد فوُجِد، ووجد فظهر، يوم هو لمعاني الخلق والنفس فيه عنه أسقط ونحر، ووجها لربه بقي وظهر.

الحمد لله.. ما دخل في حصن لا إله إلا الله إلا إياه، ومن دخلها يوم دخلها قام شعارا للا إله إلا الله، وعلما للا إله إلا الله، وكتابا للا إله إلا الله، فكان اسما لله، واسما لرسول الله، وقياما وبعثا لعبد الله وإنسان الله.

نِعم الاسم المؤمن، ونِعم الجزاء الإيمان، ونِعم التواجد الحق، ونِعم الوجود الصمد السرمد، كلمة لله تمت، بالله ورسوله أَمَّت، ولله ورسوله ظهرت وعمت.

من أظهره الله على الدين كله، قام الدينَ كله، فكان عبد الله.. وكان إنسان الله.. وكان كتاب الله.. وكان حكمة الله.. وكان اسم الله وعَلَم الله.. وكان الحق من الله، باسم الحق يعرف، وبالحق يبعث،

وبقدرة الله فعل ويفعل، وبمشيئته أراد، ويكون له به ما يريد، وعن الرفيق الأعلى بموجوده عَرف، وإلى الرفيق الأعلى نفسه عبدا إليه نسب، وإلى الأعلى فالأعلى لجأ وطلب، فتعالى الله عنده عن الوصف، وتنزه عن الطلب، وعز على الإحاطة به، وعن المثال له، وعن النوال لذاته، وجها له يشهَد، ووجها له يُشهد، وهو بدوره وجها له يشهِد لوجه له يَشهَد...

فكانت بداية الحق عنده هي نهاية الخلق له، بذات لروح تواجد، وبروح لذات ظهر ووجد، فكان روحا بذاته، وكان ذاتا بروحه.

قرأ نفسه في نفسه بنفسه فيما تواجد، يوم تواجد له بين يديه من اتصفه فوجد، بظله له قائم والد وما ولد، يوم تجدد أمره والهدى به لقومه في قومه، من قومه في بيته، لبعثهم بعينه بتمام دعوته لداعيه على ما وعد، تواجد ووجد {وخلقناكم أزواجا}[1]، يوم نظر في مرآة المؤمن به وجه الأعلى لإيمانه، من خلاله تواجد قياما لشهوده، في مرآة نفسه، لجديد وجوده...

فعرفه آية لله عند نفسه جماع آياته، وعند عينه من قومه لظلاله بعين صفاته، فكان حجة الله بقائم حقه، بمن رآه وظهره لمعنى عينه، رآه يوم رآه لعينه بعينه من سابقه لمعنى غيره، رآه رحمة الله لجنسه، بمرحوم نفسه، فأنكر على نفسه لله، معنى الأعلى من حقه، وظهر بالحق لمعنى الأدنى من خلقه وأمره، تنزيها لله على ما عرفه بمعناه للانهائيه قبلا وبعدا.

خاطب الناس معلما حكيما وإماما مجاهدا على قدر عقولهم، في حاضره بقيومه، وتابعه متابعه على معناه لعينه، فقامت الفطرة والصبغة بقيامه، بعثا من الخلق لأعلام الحق لأعلامه.. فكان كافة للناس حقا وخلقا.

عرف معنى الإطلاق الحقي لربه، بإنسان ظهوره، لإنسانية رشاده، بأعلام إرشاده عليه علما.. وعرف معنى الإطلاق الخلقي لظهور أمره، بدائم فعله، في دوام خلقه، بأبدي حقيقته، قائما بأمره بحقائقه، مقيما لنفسه ببعث خلقه، بقيوم أمره بحقه من أهل اصطفائه، يقوم جديده من قديمه، بمعنى الفرع للموجود، المتواجد، بالحق الموجد والخلق المتواجد، يتواجد منهما بفرده وكوثره، لقديمه حامدا ذاكرا، وبجديده في قادم محمودا مذكورا ببعثه في القيام حقا مذكرا، فبشقيه من الحق والخلق، وجهان لمعناهما يقوم، بذات وروح، لموجود أحد لوجودهما، أمرا وسطا بينهما {مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا يبغيان}[2].

دعا الحق بالرسول إلى الله بمقاله، ودعا إلى الله بقائم حاله، وبشر الناس لمآلهم لحاضر حاله، وقادم مآله، بإدراكه لمآلهم لعينه ولعين مدركه مما كان، ولعين معلومه لعلمه بقائمه لما سيكون، ويقينه من أنه

جدد ما كان بما هو كائن لمعنى خلقه ومواصلة تخلقه، وأن ما عرف مما كان، يبعث من خلاله بكائنه إلى ما يكون، لمعنى حقه ومعراجه في حقائقه.

عرفه العصر بدورته، وعرفه الدهر بمواصلة دوراته.. عرفه ما فوق الطبيعة بإنسانه لإنسان ربه، وقامه الطبيعة بآدمه لنفسه، ودعا إلى ما فوق الطبيعة بقائمه بالطبيعة رسولا. دعا كل ما تحت الطبيعة لسفين خلاصه بركب إخلاصه بعترته، فعرف الفطرة وقوانين الفطرة، وعرفها لفاطر السماوات والأرض صبغة الله، الإنسان بفطرته من فطرته آية له، وآية منه، وآية به، وعلما عليه.

أدرك الآيات فعرف أن من آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة، وأنه على جمعهم إذا يشاء قدير. وشاء جمعهم فيه، وشاء جمعهم به، وشاء قيامهم بحقه لربه لعينه له، فأدركه بين يدي رحمته. وقامه أمرا وسطا، طرفاه أمره في الأزل لا بدء للأمر به فيه، وأمره في الأبد لا انقضاء لجديد الأمر به فيه، بأمره في قائم قيام له، لا انتهاء لكوثره بجديد من قديم في قائم دائم، بعثا بالحق في اصطفاء لإنسان من الخلق. فكان في بعثه بالحق كلما بعث باصطفاء مجيء أمر الله بالحق للخلق. {أتى أمر الله فلا تستعجلوه}[٣]، {وبالحق أنزلناه وبالحق نزل}[٤].

عرف أن ما أدرك، وأن ما أُظهر عليه من الدين كله، إنما هو قانون الفطرة، وصفات الفطرة، وخلق الفطرة، فأعلن شعاره (الإسلام دين الفطرة)[٥]، ورفع عَلَمه (لا إله إلا الله) بما قام به ذكرا محدثا لذكر قديم، يذكر الله وحده، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة، ما ظهرت الفطرة في شيء مثل ظهورها بالإنسان للإنسان من الإنسان.

رآه فيه منه له عبده، وعين ربه، ورأى الأعلى عليهما من الإنسان هو هو ورب ربه وعين عينه، فرآه عبدا وربا وشهادة وغيبا، ومرسلا إليه والأدنى، ورسولا للمتعالي والأعلى، وأنه من مشهود الحق له، دانى عبده لداني خلقه، فعرف الله ظاهرا به وباطنا له، وظاهرا بكل ما ظهر له وباطنا له، وعرف الله بباطنه ما زال باطنا له، ووراء كل ما عرف من ظهور له.

بذلك تقدر الله عنده حق قدره، فقُدر هو من الله، حقا بعث، وعبدا صدق. أثنى عليه الأعلى، ونعته بالخلق العظيم، وارتضاه لنفسه، حقية العبد له يلتقي بحقه، مع حقية الرب عليه رفيقا وأعلى، لا فارق ولا فرق بينهما فيه. أزواجا في الحق وجد، وأزواجا في الخلق بالحق تواجد ويتواجد.

رضيه فاطر السماوات والأرض للناس المثل الأعلى منه لأهل السماوات والأرض، آمرا له أن يقول: جاء الحق بمجيئي إليكم مبعوثا بالحق بينكم، قياما من أنفسكم، أزهقت نفسه بعد موتها عنها، وقبل غيبتها

عنكم.. معلنا أن لله المثل الأعلى في السماوات والأرض، وأن في الله آحاد المثل العليا الكثير، وأن فعلها فعله وأمرها أمره، يوصل، ويصل، ويتصل.

عرف وعرَّف أن الاتصال به، والوصول إليه، إنما هو كدح الإنسان إلى ربه ليشهده فيه بعينه له بمن سبقه بشهوده لشهوده، وذلك له يوم يدخل حصن وحدانيته، فيدخل في شعاره لا إله إلا الله بدخول عباده ومثله قائمين بها، فيقوم بلا إله إلا الله، فيعرفه في جلباب حقه فيمن قام لا إله إلا الله، فيشهده لنفسه محمدا رسول الله.

جعل الله له منه نورا هو نور السماوات والأرض له ذكرا لذكر لله، قام نور السماوات والأرض يسرى في عباده، ويسرى بعباده، ويمتد من عباده، وينتشر في الناس فيحييهم ويضاعف من الحياة لهم فيهم، ويمتد في الخليقة فيتحقق الناس بنور هاديهم، وتتحقق الخليقة بنور الخالق. {أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها}[٦]، {إن كل من في السماوات والأرض إلا آت الرحمن عبدا}[٧].

أفمن جعلنا له إشراقا، هو فجر يومه يوما من أيام الله، لعصره دهرا، يشرق على أراضي لياليه بنور علمه، ويعزب عنها ليطويها لليل سكينته مهدا لبعث معانيه، فجر لليالٍ عشر، وقد جعلت الفطرة الشمس له سراجا وعليه دليلا، والقمر له نورا وإليه سبيلا، وبسطت له الأرض وزميلاتها دورا للأنام، وقياما للأمن والسلام، بدءا لموالد الفطرة والحياة، قامت بالحق ومثله معمرها الإنسان، له أخضعت وبه سكنت، وهدأت، دورا وجنات للقيام سفنا سابحة في أفلاكها، قائمة بسماواتها وأبراجها دورا له، وآية من الله لأهلها...

أفبعد الإخبار بنعمة الله بهذا كله، يكز النائمون على أناهم، ويحرصون على ظلام أنفسهم ومعناهم! أما آن للناس أن يستيقظوا من غفلتهم ويقوموا من كبوتهم، ليشهدوا في الله وحدتهم، وفى أنفسهم جنتهم، وفى أمرهم حقيقتهم، وفى أرواحهم مدنيتهم وحريتهم، وفى فعلهم ثروتهم!

كِفاتا، أوجدهم بإرادته، وأشعلهم بالحياة من جذوة نارها من شموس اشتعالها لحضرته، بورك من في النار، ومن حولها، {إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى. فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك}[٨] ...

فرجع بقبس من الحياة، ووجد على نار الحياة هداه، فحقق الله له رجاءه، ولم يخيب له دعاءه. وما كان دعاؤه، وما كان رجاؤه، إلا بالهام منه، ونفس وما سواها، ألهمها فجورها وتقواها، {وما دعاء الكافرين إلا في ضلال}[٩].

أشهده خلق نفسه، وأعلمه أنه خلقه لنفسه، وليصنع على عينه، فآواه في بيت خصمه، وآمنه في دار خوفه، وصنعه حقا على عينه، وخصه بكلامه، وأوجده لمكالمته، وكشف غطاءه لأنسه، وما كان مخاطبه إلا إنسان نفسه، وحق عينه، (ما ظهر الله في شيء، مثل ظهوره بالإنسان)[١٠].

فالإنسان في غيبه غيبه.. والإنسان في شهادته شهادته.. والإنسان في شهادته ظاهر الإنسان في غيبه، وما تحدث الإنسان بحقه إلا إلى الإنسان بخلقه، ذكرا محدثا بمعاني خلقه لذكر قديم بمعاني حقه، (لا يدخل ملكوت السماوات إلا من وُلِد مرتين)[١١]، (لا يدخل الجنة عجوز)[١٢]، {كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء}[١٣]، {فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض}[١٤]، (أنا حي في قبري من حج ولم يزرني فقد جفاني)[١٥]، (أول من تنشق عنه الأرض أنا)[١٦].

ما تعارف الإنسان بحقه إلا لعينه في إنسان خلقه.. كان إنسان الحق ولا شيء معه، ثم خلق الخلق باصطفاء آدمه لمعنى إنسان ظهوره، وبقي على ما كان، لا شيء معه. فلن يسمع الله من عَدَّدَ الله معه، ولن يشهد الله من عَدَّدَ الله لوجوده بمعزول عن موجوده بعينه لوجوده.

إن الإنسان الذي لا يؤمن بقيوم الإنسان حقا عليه، وربا له، لقائم الإنسان به، هو له بذاته ونفسه، يعرفه مملوكا لقيومه، لا يقوم له إيمان بالله، ولا يصلح للإيمان بالله، لأن كبرياءه على الله، ظاهرا بخلقه لقيوم حقه، تحول دون لقائه به، في باطنه له، لقائم قيومه. إن الإنسان للإنسان من الإنسان هو العروة الوثقى لا انفصام لها، للمطلق في كل اتجاه، المحيط بكل وجود، الظاهر بكل موجود.

إن الإنسان الذي لا يعرف، ولا يرضى، ولا يسلم، ولا يستسلم أن من الناس من سبقه إلى الله، بعين ما يطلب، وبعين ما يرجو، وبعين ما يريد وقد حقق الله له ما طلب، لا يؤمن برسالة الله، وبحق الله، ولا يجاهد في السعي إلى لقاء رسول الله وحق الله، ولا يجاهد في الله وإلى حق الله فلن يعرف الطريق، ولن يطرق الأبواب، فلا ينتظر من الله لقاءً بحقه بلقاء رسوله وحقه، في معراج أمره وقربه، بشهادته رسول الله بقائم رسول الله لخلقه.

إن الإسلام لا يكون إلا لرسول الله، حقا لله، قائما لخلق الله، بيتا لله، وكعبة له، وقبلة للناس بعباد الرحمن، من تولاهم الله وتولى بهم الله، وهذا شعار الإسلام بوصفه دين الفطرة، إذ جعلت العلمية على الله بعلم رسول الله، ومثَّل علمُ رسول الله بيتا لله، بيتا شُيد من الإنسان بنصب أقيم للعنوان، إشارة إلى تجمع لبنات البناء من أبناء آدم، لقيام آدم بيتا لله يذكر فيه اسم الله، كلما تجمعت لبنات على محبة الله، تواصيا بالحق وتواصيا بالصبر فيه، وتواصيا بالصبر لأمره، والصبر لقضائه، والانتظار لخيره،

بيوم من أيام الجمعة بعثا لإنسان حق، روحا جامعا لكلمات الله، بيتا رفع أو وضع من لبنات جنسه، قبلة لأبنائه من متخلفي نفسه عن لحاقه في قديم ذكره، لدور استخلاصهم، وسفن خلاصهم.

إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا بأن الله معية كل نفس، واستقاموا على ما آمنوا به، فتعاملوا مع الله في معاملتهم مع بعضهم البعض، وفي أبعاض أنفسهم من الذات والمعنى، ومن المعنى للمعاني القائمة بهم بأحوالهم، عرفوا وجه الله لأنفسهم ببصائرهم، وفي وجوه الله من مجتمعهم بقلوبهم، ومن فطرة عالمهم بعقولهم، {فأينما تولوا فثم وجه الله}[١٧]، {ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر}[١٨].

الله من ورائهم بإحاطته وشامل قدرته، وأقرب إليهم من حبل الوريد، يلحقهم لطيفه، فيسعدهم تشريفه، معهم أينما كانوا، ويوم يكشف الغطاء عن أبصارهم بصائر لهم، لا يكذبهم الفؤاد، ولا يخطئهم الرشاد، ولا تزل بهم القدم إلى هاوية نفوسهم، بل يعلو بهم فلا يستعلون مستكبرين، ويداني بهم فلا يستخذون متضائلين، ولكنهم في الله راشدين، وبالله مؤمنين، ولرسوله من أنفسهم معروفا بحقيته أحدا من آحاد الله، بحقه هم ظلال الحق له مسلمين.

ضرب لهم به بجمعه مثلا في الأولين، وبشروا به لهم عاملين مثلا في الآخرين، فقال تعالى ثلة من الأولين، وثلة من الآخرين، وجعلهم به بحاضره لحاضرهم أمة وسطا في العالمين، بالحق قائمين، وبالله ورسوله مؤمنين، وفي الله راشدين، وللخير ساعين، ومما رزقهم من الخير والحكمة منفقين، وبنعمة الله عاملين، ولنعمة الله باذلين، وعلى أنفسهم مؤثرين ولو كانت بهم خصاصة، لما كانوا له طالبين، فأصبحوا له محققين ومالكين وباذلين، ذلكم هم المسلمون. {جعلناكم أمة وسطا}[١٩]، للحق تَشهدون وبالحق تشهدون.

المسلمون.. هم من كانوا بآيات الله لا يجحدون، وعن آيات الله مبرزة لا يغفلون، وعن ذكر الله معيتهم به يتواجدون ويتطورون، لا يفترون ولا يقنطون، وله أقرب إليهم من حبل الوريد يتقون، وعنه لا يغفلون.

يذكرون الله في كل أحوالهم قياما به يقومون، وقعودا به يسكنون، راكعين له إمامهم لوجهه ناظرين، ساجدين له به فيهم مؤمنين. وفى كل أوقاتهم وبالغدو والآصال هم له بذكره ملاقين، فمن الذكر له معيتهم لا يفترون ولا يغفلون.

بيوتا لله مما سواه فارغين، بأنفسهم وذواتهم مصدر أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم أعلام الله قائمين، بيوتا لله عالية ناصبين، موضوعة للناس من رحمته هم بها نوحا والسفين، مرفوعة بالناس في بحار الحياة هم لهم

ركب المخلصين، إلى ساحات للحق تابعين. لو أذن الله أن توضع ليوم من أيام الدين كانوا هم عليها الجامعين ومنها للصلاة المؤذنين.

يقومون على الأرض كلمات لله طيبة، وشجيرات في جنته باسقة مثمرة، في الأرض بجذورها متغلغلة ثابتة، وبغصونها في السماوات مشرقة متصاعدة، هم بحار الحياة وأحواضها موروودة، بماء الحياة متدفقة مشهودة، عارية بالله، عرت به على ما عرى به العربي، مسعدة مسعودة، حية محيية، وارفة مظلة، طريق الخلاص، ومنافذ الوجود بالإخلاص، لمن لله أخلص، ونفسه لله خَلَّص، وعلى الله توكل، وأمره إلى الله وكل، وبالله جاهد وعمل، رضي بالله ربا، يوم رضي بالرسول علما، ولله اسما، ومن الله حقا، ولساحة الله بيتا، ولحضرته بابا وله حاجبا وحجابا.

ذلكم هو المسلم، وذلكم هو المؤمن، وذلكم من كان الله وليه وحسبه، ومن كان ذكر الله حياته وشغله في الدارين، لا تلهيه تجارة ولا بيع عن ذكر ربه، يقوم فيهما ويزاولهما بجسده ونفسه، في أمان وأمن وأمانة، وصدق معاملة مع الله بصدق معاملة مع الناس، مجاهَدة للقالب في موقوت يومه، لا تعطله التجارة والبيع، ولا تلهيه عن إدراك قائم ربه في قلبه وعقله، أو عن الشعور بأنه بيت ذكره، وأنه إنما هو الحق للقلب، والكون له القالب.

إن القبلة المرضية عند من رضي الله عنهم ورضوا عنه، إنما هي القلوب، وأنه في القلوب صافية ينعكس الوجود مرئيا للشهود، لمن صفت مرآة قلبه، (وإن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد وإن جلاؤها لذكر الله)[٢٠].

إن الحياة لمن يحيا، إنما هي له، يوم يزرع كلمة الله، معلومة له بالرسول، أو بظله مسيحا مرسلا، في أرض ناسوته، بحبه ومخاللته، متعهدا زرعته بتقوى الله، مستعينا بذكر الله على نماء زرعه، حذرا من الارتياب في الله ورسوله بغفلته ومتابعة شهوات نفسه.

إن الكلمة الطيبة.. إن الشجرة الطيبة، إنما هي ثمرة غرس القلب، يوم يغرس القلب باسم الله وبذكر الله، أرضا طيبة لله.. أرضا بيضاء، لم يُعص الله عليها، في طريقها للتواجد بذكره، ويوم تتواجد بذكره، يتواجد الذكر لموجود أرضه بحقها، قبل أن تتواجد أرضه بخلقها، في أطوار تواجده.

ومن هذا يقول كلمة الله عيسى بن مريم أو ابن الإنسان الذي هو حقيقة مريم، أنا كائن قبل آدم، وهو إنما يشير إلى أن له وجوده الروحي والآدمي قبل موجوده بآدمه مشهودا لهم، وكذلك إلى قائمه بكائنه بينهم قبل قادمه بتمامه لإنسان أبوته بمشهود لآدم، ويكشف عن القانون للكلمات لله بقوله، (قبلا كانت الكلمة، والكلمة عند الله، والكلمة اسم الله، ثم خلق الخلق)[٢١].

وهذا بعينه ما يقوله كلمة الله التامة وإنسانه، ومبعوث الإنسان بالحق من إحسانه، من مسحه عنه إليه ليكون للمؤمنين رفيقا أعلى، ويدا عليا، بقاء به بعد فناء فيه، أحد من آحاد، لإنسانية الرشاد لحضرته، من عرفناه محمدا، وشاهدناه في حكمة كل حكيم، وعلم كل عليم، ومن عطلناه إلينا رسولا يوم تعطيله لكسبنا روحا ونورا يمتد في أرض القلوب للمؤمنين بالفطرة، ولدوا على دينها ليكونوا له ظلالا، وبه له عترة، فيكونوا للحق به بعثا، ولكلمات الله به قياما، ولله أسماءً، يوم يصبحون به جديدا لآدم خلق، وقد أعطى الكوثر بلا حد لأوادمه، وجعل شانئه الأبتر، كما جعل له الخلد بشرا لمواصلة أناه بمبعوث الحق به، يوم أظهره الله على الدين كله، مشهودا له بعلمه، رفيقا أعلى له بمعلومه ظهر له إنسان ربوبيته لقيوم ذاته وخيره أن يعيش أبدا إن شاء، أو أن يخلف إن شاء، فتخلق بأخلاق ربه لأمر بيته، فتكنز في قلبه لنفسه لموصوف قبره لأرضه، وخلف علي أمره، (أنا حي في قبري من حج ولم يزرني فقد جفاني)[٢٢]، (زويت لي الأرض[٢٣]، وجعلت لي مسجدًا وطهورًا[٢٤]). (من كنت مولاه فعَليٌّ مولاه)[٢٥].

علمه الأسماء كلها يوم أظهره على الدين كله، فاستخلفه وخلفه على الناس من خلقه منه ذرية طيبة بعضها من بعض، روحا وجسدا، فجعله أولى بالمؤمنين من أنفسهم، جعله أصل أصول الحياة لهم، وأبوة الروح لأبوة التواجد لوجودهم، أزواجه من ظلاله، هم به جوامع الكلم، وهم في خلته مصطفين لحقه، أُمما بهم نتواجدون، هم أماتكم وأمهاتكم، وبيته حضرة حقكم، وعترته سفين خلاصكم.

جعله الله على ما جعله فطرة الإنسان خلقا وحقا، وصبغة الحق للإنسان ظاهرا وغيبا.. جعله عبدا للرحمن بظاهره، وعينا ووجها للرحمن بباطنه.. وجعله قياما للرحمن بقيومه، وبعثا للإحسان والرحمة بقائمه ومعلومه.. وجعله بما هو له كافة للناس قدوة.. وجعل للناس به أسوة.. عبدا من عباد، وأول العابدين لمتابعيه عبادا لربه مسحة النبيين، وعلم المتحققين، وإنسان يوم الدين.

فهل عرفنا رسول الله يوم تواجد بيننا روحا وجسدا بعين أناه فأنكرناه؟ فما كان إلا بارقة من نور الله، تواجد بيننا ذاتا وشبحا من أنفسنا، أسفر بالحق فقلوناه وخاصمناه. ويوم غلبنا وتغلب علينا بعزة الله له أسلمنا، يوم له خضعنا، وما آمناه، ولا على أنفسنا أمناه، والإيمان زعمناه، والإسلام ما اتصفناه، والرسول لنا ما عرفناه، وهدية ما قبلناه، فلما ابتلى إيماننا وإسلامنا الذي ادعيناه يوم فارق بشبح نظرناه إلى قيام بجديد من شبح لأنفسنا تمنيناه، متخلقا بأخلاق ربه، إذ امتد بنوره مُخلِفا، واحتجب عنا بشبحه مكلفا، إلى جديد له بعترته مشرفا، للرحمة مواصلا، وللعلم معلما، وللبلاغ مبينا مجددا، ليواصل بيننا بنوره وروحه مشرقا، ليبدأ ظهوره لنا لذواتنا لذاته بمعناه روحا، هو لنا روح القدس لمولاه، رسولا يمشي في الناس بنوره أنزل معه لتشرق القلوب بنور الله، ظاهرناه، وعدنا فأنكرناه،

ففقدنا ما كان لنا معنا لمعانا بمعناه، وكلما تجدد نوره بيننا بذكر الله روحا متجسدا خاصمناه، وفي أنفسنا أطفأناه، ولمواصلة شقائنا أنكرناه.

ماذا كان منا؟! معه كوثرا بمعناه في كل شبحية ذات من ذواته، غائبا بكيناه، وفى تعدد ذواته حاضرا بيننا متكاثرا أنكرناه، فلا في إمام عرفناه، ولا في ولي لاقيناه، ولا في عبد للرحمن طلبناه، ولا في عالم عن الله استقبلناه، ولا في عترة اعتقدناه، ولا في خبير بالله سمعناه، بل مبلغا ومبينا ظاهرناه، فما عرفنا فيه رحمة الله وهو رحمة الله، بل جمدناه في ذات قبرناه، وقبرنا معه بأفواهنا نور الله، ومتى غابت عنا رحمة الله ونور الله، فكيف يغيب من هو رحمة الله ونور الله؟ {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}[٢٦]، {ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة}[٢٧]، ولكنه لا يؤاخذ الناس بظلمهم وهو فيهم، {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}[٢٨].

{ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير}[٢٩]، ولا يجمعهم بمشيئته إلا بقيام مشيئة الناس في العالمين لطلب اجتماعهم بمشيئته تقوم في أهل السماوات والأرض مشيئة له، {وما تشاؤون إلا أن يشاء الله}[٣٠]، (كن كيف شئت، فإني كيفما تكون أكون)[٣١]، هل طلب الناس بمشيئة الله لهم أن يتجمعوا على أهلهم من دواب السماوات والأرض، وعملوا لذلك على ما رَسم لهم ولم يجمعهم الله؟! ولو صدقوا في مشيئتهم، لشاء الله بمشيئتهم فجمعهم.

فاجتماع دواب السماوات والأرض يتم على الأرض أو في السماوات، فإذا تم على الأرض لبس أهل السماوات لباس أهل الأرض في قيامهم بينهم، {ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون}[٣٢]، وهو ما سجله الأثر عن جبريل بين أصحاب الرسول في صورة دُحية الكلبي أو في صورة أعرابي ليس عليه آثار السفر، وما سجله القرآن عن الخضر وموسى، وإبراهيم وضيوفه.

ولو تم في السماوات لانطلق كائن الأرض من سجين ذاته إلى السماوات بمعراج نفسه، كما تم للرسول ومن تابعه على بصيرة من عترته ومن المؤمنين بالله ورسوله من أُمته. وهو أمر لم يظهره ويعممه إلا دين الفطرة بقوله {... وما أدراك ما العقبة فك رقبة}[٣٣]، وقد جعل من الإنسان معنى البيت العتيق من سجن المادة، يوم تحرره يد القدرة بخلاصه من قيود مادته، بإحيائها وردها إلى أصلها من الطاقة.

فما تعطل اجتماع دواب السماوات ودواب الأرض طرفة عين في الحياة البشرية، وما غابت صفات الله عن القيام والنفاذ في وجود الله في السماوات والأرض، وهو في السماء إله وغيب على أهلها، كما هو في السماء شهادة وشهود لأهلها، على عين ما هو في الأرض، فهو في الأرض إله وغيب على أهلها، وهو في الأرض أيضا شهادة ولا غيبة له عن أهلها.

فهو الظاهر والباطن دائما، وما ظهر بباطنه لظاهره إلا في الإنسان، خلقه أزواجا بين ظاهر وباطن له.. بين ذات وروح.. بين شبح وحقيقة.. بين حقيقة وخليقة.. بين معدوم ودائم.. بين موجود وزائل.

يدخل كائن الإنسان في الوجود يوم يدخل في الشهود، يوم يدخل في يقظة العقل والناس نيام. فليتأمل الكائن البشرى كيف يموت الناس عن أنفسهم، بمنامهم أو بغيبتهم في موتتهم الصغرى، وليتأمل في هدي الرسول له بقوله (موتوا قبل أن تموتوا)[٣٤]، (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)[٣٥] بيانا لقوله تعالى {ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم}[٣٦]، فالاجتماع على الموتى أمر تعرفه الفطرة، ويعرف عنه البلاغ والهدي، (عش في الدنيا كأنك غريب أو كعابر سبيل وعد نفسك في الموتى [تكن مؤمنا])[٣٧].

فالناس في سويعات منامهم، من يومهم ليلا أو نهارا وقد غابوا عنهم وعادوا إليهم، هم في شأنهم، على ما يقوم فعلا في يومهم الكبير من غيبة أشباحهم آية برجعتها إلى سماء رحمتها، فتردها ذات الرجع إلى الأرض ذات الصدع بمولد جديد في أرض الفطرة، لأنها لم تبدأ الحياة بعد لأنانيتها، وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها لاستكمال دثارهم لقلوبهم فمستهم البأساء والضراء بحكمته ورحمته، لعلهم يرجعون ويجأرون إلى الله في أنفسهم، ومسهم العذاب لعلهم يفيقون، لعلهم يستيقظون.

فهم ما بين سكرة الموت ويقظة الحياة، ترجعهم السماء، وتنبتهم الأرض، دواليك، الدورة بعد الدورة، والكرة بعد الكرة، حتى يتحرروا من الأرض ممسكة بهم، وحتى يتحرروا من السماء مرجعة لهم، وحتى ينفذوا باسم الله، وبذكر الله، من أقطار السماوات والأرض، ولذلك خلقهم {يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان}[٣٨].

إن كل كلمة لله تتواجد بذات متجسد لأناها من الروح، على الأرض أو في السماء، سواء أظهرتها الفطرة بمعنى الرسول للناس، يوم دفعها حقها للظهور بمعناها تبشيرا بأناها، وتحذيرا من فوات معناها كافة للناس، على ما كان لرسالة ورسول الفطرة، أو اقتصرت رسالتها عليها فيها لها، من حقها لأحديتها إلى نفسها في واحديتها، على ما كان في بني إسرائيل قياما بأبوة إبراهيم جعل في بيته الكتاب والنبوة، وبوئ مكان البيت تبشيرا به وإعلاما عنه.

إن إله إسرائيل لوعيهم هو إنسان الله لبدئهم أول الحق، يقوم ويظهر بالمختارين لمعاني الحقائق لهم، هو آدم الأنبياء وأبوهم، عرفته فعرَّفته رسالة الفطرة (عبد الله) واسم الله، والحق من الله، ووجه الله، وهو ما قام لعموم البشرية ولكسبها بقيامه بمحمد رسول الله، عرفه محمد لنفسه ولعينه من ظلاله، كما

عرفه لمعلمه والرفيق الأعلى له أو المؤدب أو الرب في الحق المطلق المشار عنده إليه، لتعريفه وتوصيفه بكلمة (الله) وقد جعل من إنسان الله عبده لمعنى الحق.

وكلمة الله ما تمت لمعناها، إلا بسبق من عين قيامها وعين معناها، في دورتين بكلمتين على الأقل في أزلي دورتها في صمدي حقها لمعنى مولاها، بها لها تواجدا لقيام لأبديتها من خلالها بهما يقوم، وبهما لهما وجدت لحقها من أزليتها، جمعهم إنسان جماعهم وقائم سبقهم للحاقهم، إنسانا لله هم له واحديته، وهو لهم أحدهم وأحديتهم.

هذه هي أقانيم رسالة الفطرة، تعريفا عن الأحدية للإنسان، علما على أحد الله، في وجود الله بمطلقه لغيبه بآحاده، وموجود الله لشهوده بعوالم وجوده، في مطلق الله، بكلمة الله منه فيه له. كان حظ محمد من الله لسبقه ولحاقه منها سبعا من المثاني، كما كان له فوق ذلك القرآن العظيم، وهو علم الفطرة علمه الأعلى طريق الإفادة منه.

يوجد في مطلق الحقيقة لواقعها العديد من الآحاد لله، بإنسانية الرشاد جماع وتمام كلماته، وأقداس حقائقه، وبطون عباده لرحمته، وقيوم عروش وجوده لإرادته، وقائم كراسي عوالمه لمشيئته، وشهود وجوه طلعته لأعلامه، وأيدي عزته لحكمته، وأقدام سعيه وإجابته لنِعمته. (ما ظهر في شيء مثل ظهوره بالإنسان)[٣٩]، (وما ظهر لشيء مثل ظهوره للإنسان)[٤٠].

إن الدار الآخرة للدار الأولى بموصوف جنة عرضها السماوات والأرض لم تخرج منها الأرض، وجودٌ واحد وحدتهُ السماوات والأرض، قامته الأرض للسماوات دار عمل لأهلها. فالأرض مزرعة أهل السماوات، لنشأة وبدء الأنا بالخلائق لتواصل خلق الحياة في موصوف دنيا بدء لها، قامت السماوات بموصوف أخرى لها.

كما تقوم السماوات بدورها بموصوف دنيا لدنياها بقائمها، لمواصلة الحياة لها إلى الأرض عودة برسالة لموصوف أخراها.

بذلك يستكمل كائن السماوات معنى الإنسان رجوعا إلى الأرض بجديد أمره، المرة بعد المرة، إلى أن يستكمل لأمره بكائن الأرض له أناه لمعنى الإنسان، عتيقا من سلطان المادة، رجوعا إلى حقه، أو حتى يستكمل كائن الأرض في السماوات كينونته لمعنى الإنسان على نفسن النمط.

فإذا استكمل الإنسان معناه إنسانا بانزواء الأرض له وطي السماء له، يومئذ ينفذ من أقطار السماوات والأرض بانطواء السماوات والأرض فيه له، في قائم معانيه لذاته، بكائنه عالَما لله {يزيد في الخلق ما يشاء}[٤١]، فلا تقله أرض، ولا تظله سماء، إنما هو إنسان الله.. إنما هو إنسان رحمة الله.. إنما هو إنسان

حقيقة الله.. إنما هو الحق من الله.. إنما هو اسم الله.. إنما هو عبد الله.. إنما هو كلمة الله.. إنما هو وجه الله. وهذا هو معلوم الإنسان عن نفسه عبدا واسما لله في دين الفطرة ورسالة الإسلام. {أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم}[٤٢]، {كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين}[٤٣]، {ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا}[٤٤]. ومن هذا يقول الرسول وقد أشهد فشهد ذلك (إن الزمان قد استدار على هيئته كيوم خلق الله السموات والأرض)[٤٥] (الدنيا دار من لا دار له)[٤٦]، (أنا في الدنيا عابر سبيل استظل بظل شجرة ثم مضى)[٤٧].

من طلب الله وجده، ومن وجد الله عشقه، ومن عشق الله قتله، ومن قتله الله، كانت على الله ديته، ومن كان على الله ديته، كان الله ديته. إن من تقرب إلى الله، حتى يرضي الله، رضي هو الله. فلن يرضى الكائن عن الله إلا إذا رضي الله عنه، ليتقابل رضاء الله مع رضاء كائنه إلى رضوان من الله أكبر فأكبر، في معراج لا يتناهى، ولا ينتهي ولا يتوقف، ولا يجز.

بذلك كان السير إلى الله له نهاية، نهايته أن يكون كائنه كائن الله، واسما لله، ووجها لله، ومن صار في الله كائنا له لا تكون له نهاية. فالسير في الله لا نهاية له تواجدا وحقا، وعطاءً وخلقا، كوثرا غير مجذوذ في تقديره وتطويره، لا يمحى بإحاطة في قيام تقديره بقدرة محيطه. {لهم ما يشاءون عند ربهم}[٤٨].

بهذا جاء الإسلام، وبهذا جاء دين الفطرة، وعلى أساس من هذا قامت فطرة الوجود، واستقام من استقام مع قوانين الفطرة مستقيما للطريق، طارقا لأبواب السماوات بتواضع إلى أعماق الأرض، إنكارا على نفسه، وإنكارا على ذاته، طلبا للمزيد، وإيمانا بمعاني العبد له، وقناعة باسم العبد لنفسه، ورضاءً بعين الأعلى من الإنسان لمعنى ربه، رضاءً برسول الله راعيا، وإنسانا أكبر أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

هكذا كان في الوجود أمر الله، وهكذا أشهر الله بالرسالات أمره رسالة متصلة، موحدة، متناسقة، تعاقبت في قيام توحد مع الأزمان، ومع الأمم، ومع الأجناس، يُرفع بها الناس طبقا فوق طبق، ويُرد بها الناس طبقا بعد طبق، خلقا وبعثا، بعثا بحق، وتخلصا ورفعا من خلق إلى معاني الحق حقائق له، دواليك لا ينقطع نشاطها، ولا يتوقف رفدها، ولا يغيب عن التواجد عملها، ولا تختل قوانينها، كل ميسر لما خلق له، وكل محقق بما صدر عنه.

الدين المعاملة.. المعاملة مع الله في النفس، والمعاملة مع الله في الناس. وليس الدين في منسك، وليس الدين في فريضة، فما كان ذلك كله، إلا إرشاد وتعليم وتيسير، وأمثلة ضربت لمعاني أريدت لتقوم، لعل الإنسان يستيقظ من غفلته يوما، ولعله يقوم من كبوته بإدراكه لمراد الله به.

ليس جديدا على البشرية ما نراه في عصرنا، على ما شاء الله وشاءت أعماق الضمير الإنساني، من جمع أهل ودواب السماوات وأهل ودواب الأرض في ساحة نشاط واحد، وفى دائرة عمل واحد، فما كان ذلك بغائب عن البشرية في حياة الجنس من نشأته، وما قامت الديانات جميعا إلا على أساس من هذا الأمر...

ولكن الجديد في الأمر أن يسفر ذلك للناس في عموم، وإن كانت الإفادة منه مازالت للخصوص، ولكنه إظهار وتجديد لدين الفطرة، ليظهره على الدين كله، وليكون الدين عَلما لهم، ومعلوما بينهم، وأمرا ينشد لأمر يتحقق.

وبهذا العلم نشهد رغبة أهل السماوات في الاجتماع علينا نحن أهل الأرض لرحمتنا منا. وهو ما نسميه الخلاص أو الشفاعة. ونحن أهل الأرض في غفلة عن معنى الروح والسماء لوصفنا ولطبيعتنا، وهو ما به يتيسر لنا سبيل الاجتماع بالعوالم غير المنظورة، ولو لم يكن لنا ذلك، ما أمكن هذا الاتصال الروحي أو السماوي في عصر النبوة، وفي هذا العصر. فنحن أبناء الماضي الإنساني بحاضرنا، ونحن بهذا الحاضر أبناء المستقبل الإنساني. والمجتمع الإنساني وحدة واحدة بآبائه وأبنائِه، وبإنسانية الوصلة بينهما أو إنسانية الأمومة أو البشرية، هي لهما إنسانية الفطرة، أو إنسانية الحاضر، أو إنسانية الخليقة بالذات والروح، بها ترتبط الإنسانية بشقيها من الأزل والأبد من خلالها.

وبها تتوحد هذه الإنسانية الواحدة بعوالمها الإنسانية الثلاث إلى عالم واحد في قيام واحد يقوم بسلطان واحد، ويعنون حقا واحدا، ومصدرا واحدا، ومصيرا واحدا كلما ظهر فيها حق مخلف باصطفاء خليفة، وهو بظاهره وباطنه يقوم بوصف لحقه كل تكوينه المصدر الأزلي، في اتصافه بصفات المصير الأبدي عينا له حاملا لصفاته عن مصدره، ومصيره.

فليست هناك مغايرة في الحق لثابت صفاته وخصائصه لمصدره ومصيره، فمصدره ومصيره متطابقان في حال التمام له. فصفات المصير له هي عين صفات المصدر له، إذا ما استكملت المفردات تمام الصفة لنفسها وذاتها، وعنونت وحدة مجتمعها، لقائم ذاتها لمعنى حضرتها بتمام أسمائها وصفاتها {وعلم آدم الأسماء كلها}[٤٩]، {إني جاعل في الأرض خليفة}[٥٠]، {وقل جاء الحق}[٥١]، (زويت لي الأرض)[٥٢] .

والبشرية للإنسانية الأزلية والإنسانية الأبدية هي بينهما لهما فيهما بين يدي رحمته لقديمها وقادمها، الله من ورائهما بإحاطته والحق عليها بقيوميته يدخل إليها بالامتداد فيها عند قيام الوصف البشري، أو بكسب مقام البشر لقائم بها من مفرداتها، مفردات من المصدر الأزلي مجددة لنفسها بمن تصطفي منها لعينها، عابرة به إلى عالم المصير له بها، لوصفها.

فإذا ما اجتاز بمصطفاه من البشرية إلى مصيره، وقام به في عين صفات المصدر مستكملا لها بوصفه، كان هذا جديدا له، وأخذ صفته كمصدر بتمام اصطفائه وبقيام صفات أصله، سلك سبيله إلى مصير له، فجدد نفسه من البشرية بمصطفى له منها متخلقا بأخلاق أصله، إيابا إليها ليجتازها بجديده إلى المصير الذي يهدف إليه، لعين وصف قديم المصدر له الذي له اصطفى ومنه بدا وبذلك يعرف عن قديمه في نفسه، ويعرَّف عنه لجديده في حسه.

هذه هي كلمات الله المترددة بين شقي الوحدة الإنسانية بالكمال بدءا وانتهاءً، من خلال البشرية جيئة وروحة تواجدت وتخلقت وتحققت أزواجا. وهذه هي الرسالة والأمانة. تنشق الأرض عن أرض ذواتها، وتفيض السماوات على قبلتها وأرضها، يوم يبدل الله الأرض غير الأرض والسماوات.

بذلك حمل الإنسان المصدر للبشرية في أحديته لواحديته جميع صفات الوحدة، وهو بعينه ما لمصيرها بمفرداتها وصفوتها في أحديته لواحديته من حمله لجميع صفاتها كذلك. ومن ذلك ندرك المراد من قوله تعالى {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم}[٥٣]، ومراده من قوله {خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون}[٥٤] على ما كان من أمر آدم عين ما عرفنا وسنعرف من أمر عيسى في المهد وكهلا.

وهذا أيضا بعينه قائم لعالم ما بينهما من عالم الحياة الشبحية وما يلحق به في حاله بقائمه لواحديته لبدء وخلق الأنا الإنساني لمفرداته، من حيث تواجد صفات الوحدة الكبرى لذاته، بمجتمعه ومفرداته، لحملها صفات الوحدة الإنسانية الكبرى وقيامها علما عليها، وتعبيرا منها عن صمد وجودها، مع حمل المفردات لصفات الكل كافة بها.

وهو ما عبرت عنه الرسالات الفطرية للمفردات الحية من البشرية والإنسانية الكبرى، بالبيت، وأهل البيت في الرسالة المحمدية، وبالأسرة المقدسة والأقانيم الثلاثة في الرسالة العيسوية، لتمام الرسالة لبني إسرائيل، وهو ما عبرت عنه الفلسفة القديمة بآلهة الخير والشر، والظلام والنور، وآلهة الوظائف الكونية. وهو بعينه ما أريد بمعنى الأسماء الحسنى، وكلمة الله لوصف الإنسان.

هذه الوصلة بالغيب يطلبها ويحققها لأنفسهم الراشدون منا دائما، ممن نسميهم بالواصلين، إذ يتجمعون على أهل السماوات من غيب وأصل وجودهم، وهذا ما حققه لأنفسهم الأنبياء، والحكماء من قبلهم

آباءً لهم من هذا الأمر، ومن تحقيقه وتحققه قامت الرسالة الفطرية، فعممته للكافة وللدوام، بعلمها وحقها...

وهو ما يتجدد الآن بالاتصال الروحي وبعث الوسطاء بالمرشدين بما حل، ويحل محل عصور النبوة، وعصور الإمامة والحكمة، بالكشف عن دوام قيام الهدي والإرشاد الرباني الأبوي بمعاني النبوة، ومعاني الحكمة بأعلام في قائم الفطرة، بعباد للرحمن من الناس للناس بين الناس في دائم الأمر.

بذلك كان محمد ختام عهد لمعاني النبوة والإنباء عن الغيب، وأول عهد لمعاني الحقيقة والحق في الشهادة، خاتم وطابع العلماء والحكماء لجديد النبيين به في قائم ودائم أمته، به فتح الباب للكافة من أهل الشهادة للقيام في عالم شهادتهم، بمعارف وإمكانيات غيب موجودهم، بقديم وجودهم، ولقادم تواجد لقديمهم بهم، لتمام معناهم للحق الإنساني، بامتداد نوره، بمعاني الحق في ظلاله، بصور الخلق له دائم حق في دائم خلق، وهو ما تحقق لرسول الفطرة وإمام النبيين والحكماء والمرشدين، فكان أول العابدين، وأول بيت لمعاني القبلة وضع يذكر فيه اسم الله، وأول أسرة مقدسة مستكملة لمفردات حق بأسمائه وصفاته، بعثا لآدم بصفات قيوم إنسانه لقائمه.

إن العبودية للخالق هي الربوبية على الخلق، وهي فوق النبوة، أما إذا قلنا بشرف النبوة على العبودية، وبانقطاع النبوة بعد من أرسل رحمة للعالمين، وبانقضاء واختفاء العبودية الحقية لرحمة العبودية الخلقية، فقد حكمنا على رحمة الله بالانقضاء، وعلى رسالة الله بالانقطاع، وعلى حكمة الله بالضياع، وعلى أمر الله بالتعطيل، وعلى ظاهر الله بالعدم، وعلى رسول الله بالمسخ، ولقائم المعدوم بالأعلى للمُثل...

والرسول في هذا يقول (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[٥٥].. (الخير فيَّ وفي أُمتي إلى يوم القيامة)[٥٦].. (حياتي خير لكم ومماتي خير لكم)[٥٧] ، ويقول: عترتي، عترتي (مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك[٥٨])، (عض ولو على جذع شجرة)[٥٩]، (تركت فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لا تضلون أبدا فإنهما لا يفترقان أبدا)[٦٠]، هو {الرحمن فاسأل به خبيرا}[٦١]، فما كانت النبوة إلا في دائرة العبودية الحقية، ظلالا لها، وعلماء أمة الفطرة كأنبياء أهل الكتاب من بني إسرائيل.

{أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[٦٢] قل هذه سبيلي، {إنك لتهدي إلى صراط مستقيم}[٦٣]، كل هذا جاء به الكتاب، وجاء به عباد للرحمن، مشوا على الأرض بيننا ما استعلوا، وما ضعفوا أمام إغراء الدنيا أو جبروت طغاتها، وما وهنوا أمام عنت الناس وظلام أنفسهم، وبالله ذكَروا، وكان وجودهم لله

ذكرا محدثا لذكر قديم حقا، هو {الذي يراك حين تقوم. وتقلبك في الساجدين}[٦٤]، {إنا أعطيناك الكوثر.. إن شانئك هو الأبتر}[٦٥]، {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد}[٦٦] ...

فما آمناهم، ولا على دين لنا أَمناهم، ولا أنفسنا استودعناهم، فعرفنا ما بهم يوم عرفنانا فيهم، وعرفنا بنا ما منهم، فدخلنا في دخولهم وحدتهم في حصن لا إله إلا الله، وزرعنا بزرعهم في قلوبنا كلمة الله في أرض ناسوتنا، على رأس كل قرن من حياة كل إنسان. الله {قائم على كل نفس بما كسبت}[٦٧].

بعثوا لنا، وبعثوا فينا، جددوا دين الله، فما جددنا لأنفسنا إيمانا، وما غانت على قلوبنا أنوار، ولا انقشعت عن قلوبنا ظلمات، وعبدنا الله بالظن، وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا.

هذا حالنا، وهذا في قيامنا من قديمنا مآلنا، منسوبين إلى علم علم الله، منسوبين إلى رسول الله، منسوبين إلى الحق، منسوبين إلى ذكر الله، عن طريق الادعاء والدعوى، لا عن طريق الرشاد والدعوة.

ها هي السماء في علن تجدد رسالة الروح والأبوة الإنسانية للبشرية، قامها رسول الله رائدا للروح في علن، آخى الله بينه شبحا من أهل الأرض وبين روح من أهل السماء، ليتوحد فيه روحا لذات وذاتا لروح، أهل السماء وأهل الأرض، فيظهر أحدية إنسان في الله، وحقا من حقائق الله، {دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى}[٦٨]، الله أحد، إنسان أحد، خرج من العدم فصمد، فكان الإنسان الصمد، فكان بصمده في معناه لذاته حقا من حقائق الله، وإنسانا من إنسانية الرشاد في الله، فحق في حقه، أنه في حقه ومعناه، لم يلد ولم يولد، وكان في أحديته لموجوده في وجوده، لم يكن له بموجوداته من ظلاله كفوا أحد، فصدق الله، يوم قال له {وقل جاء الحق وزهق الباطل}[٦٩]، {قل هو الله أحد}[٧٠] كما عرفت بما به لك قمت، فهكذا يقوم الحق، وهكذا يظهر الحق، وهكذا يبعث الخلق بالحق أعلاما على الله وأسماءً له، فيزهق باطلهم من وصف الخلق وصفات الخلق، ويظهر قيومهم بقيامهم من قائم الحق، {الله لا إله إلا هو الحي القيوم}[٧١] القائم على كل نفس بما كسبت وأقرب إليها من حبل الوريد، ومعها أينما كانت، زُويت له الأرض وطُويت له السماء، فكان جديدا للأرض والسماء لمعاني وجوده، من حيث ذاته وموجوده، علما على معلومه من الوجود، ذكرا محدثا لله، لذكر قديم له، {أولى بالمؤمنين من أنفسهم}[٧٢]، (يقوم ويتقلب في الساجدين)[٧٣]، {يد الله فوق أيديهم}[٧٤] يبايعونه على أنفسهم فيبايعون الله بمبايعته، فيعطيهم نفسه نفسا لله بالحياة، ويقتل نفوسهم بإزهاقها قياما مظلما ميتا لا رمق للحياة فيه، امتدادا للحياة في جديد عوالم اصطفائها، بجديد لأوادم من أبنائها. بذلك كان للناس من الله ما تحقق لرسوله لوصفه وجودا جامعا لهم هم مفرداته، قام لعلمهم وسعادتهم اسم الله والحق منه، وانشقت منه روح قدسه لرحمتهم (فاطمة ابنتي روحي من أغضبها أغضبني[٧٥]، ومن أغضبني أغضب

الله[٧٦])، فما عرفوه وما عرفوها، وما أكرموه ذاتا ولا ذكرا، وما أكرموها ذاتا أو ذكرا، وما عرفوا أنفسهم، وما أكرموا أنفسهم، جهلوها فأضاعوها، والحقد علموها، ومن الحب حرموها فأماتوها.

فالنفوس بطبيعتها إلى زوال، خلقت لتزول وإن تكاثرت، وتطورها زوال سابقها بزائل للاحقها، وهي بالحق يوم تصطفيه ويصطفيها في لقاء ترتضيه ويرتضيها، إلى بقاء لتبقى في قائمها بنور الباقي لها فيها، كل من عليها بقائم خلقه زائل وفاني، وكل من عليها بحقه متحقق وباقي، {كل من عليها فان ويبقى وجه ربك}[٧٧]، يبقى من يبقى، يوم يبقى وجها لربك، مبعوثا بحقك، يوم يصبح ظلا لك، فيصبح وجها لك، يا من هو وجه ربه.. يا من هو حق حقه، لحق خلقه، {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}[٧٨]، {وقل جاء الحق}[٧٩].

هذا هو دين الفطرة، تجدده الفطرة، وتجمع به دواب الأرض على دواب السماء في ساحة واحدة، وفي أمر واحد، وفي رسالة واحدة، وفي حقيقة واحدة، تعلي وتشهر وتجدد رسالة رسول الله، ونبي وعَلم الفطرة، وكوثر الإنسان بالحق لكوثر الإنسان بالخلق، كلما تجدد بدء بخلق قرين بدء بحق بآدم وإنسانه عنوانا لعنوانه.

بدأ الإسلام غريبا، وبدا غريبا، وها هو يعود غريبا، فيبدو غريبا، كما بدا غريبا، ويبدأ غريبا كما بدأ غريبا، ولله الأمر، من قبل ومن بعد، في الأولى والآخرة، لله الأمر يوم يستيقظ الناس، ولله الأمر يوم يغفل الناس، والله في أمره لا يخلو أمره من غافل عنه، ولا يخلو أمره من يقظ به، هو الله أحد، الله الصمد، لا جديد في الله، ولا جديد في الحق، كما لا جديد تحت الشمس، ولا جديد فوق الشمس، فالأولى والآخرة وما بينهما أحوال في الإنسان، بين الظلمات والأنوار قائمة به، أو قائما بها.

لا إله إلا الله، منه كل الأمور، وإليه تصير الأمور.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.. وحق الله.. وعبد الله.. وذكر الله.. وأمر الله.

لا إله إلا الله، من يهدي الله فهو المهتدي.

لا إله إلا الله، ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا.

لا إله إلا الله، يدعو كل أناس بإمامهم قديما وأبدا.

لا إله إلا الله، جعل لكل قوم هاد، هو أحدهم، وجماعهم، وواحديتهم، وعينهم، واسم الله لأسمائهم لله.

لا إله إلا الله، أمر بقوانين فطرته لصبغته أن لا يتخذ الناس بعضهم بعضا أربابا من دونه، هو لهم في الرب والمربوب على السواء، على كل نفس قائم ومن ورائها محيط، رَبَّت أو رُبَّت، (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)[٨٠]

أضواء على الطريق

حديث من دائرة الجمعية الإسلامية الروحية بالكويت، خدمة السيد/ محمود الحوراني، والوسيط السيد /منير الأعور، من روح زائر لجلسة يوم الخميس الموافق ١٩٦٥/١/٧.

(السلام عليكم ورحمته وبركاته)

(ها أنتم اليوم تستوعبون الكثير بجيلكم الحاضر مع أنكم تحملون على أكتافكم عبء الماضي، وأنتم اليوم تمشون بحملكم وتجربون أن تخففوا عنكم هذا الحمل، وإن شاء الله في المستقبل سيزول هذا الحمل وتكونوا أحرارا منطلقين.

أبنائي: إن الانطلاق ليس نقطة البداية بل نقطة الارتكاز للانفصال التام بين النور الذي يحرككم وبين الجانب الآخر من روحكم.. أبنائي إن هذا النور ليس له أي وصف في الوقت الحاضر لأنه ليس بإمكانكم أن تعرفوا هذا.. بل سيمكنكم هذا الانطلاق سواء كان مباشرة أو في عدة مراحل كالتي تمرون بها أنتم اليوم تاركين وراءكم الأثر.. الأثر الذي سيكون مستقبلكم بأثواب جديدة ارتداها كثيرون من إخوانكم الذين سبقوكم، وها أنتم اليوم تتلفتوا وراءكم وترون أن الوقت يمر كلمح البصر. لعلكم تسألون لماذا؟ إن الذين يرون أن الوقت ما هو إلا وسيلة لإتمام الملذات المادية في هذه الحياة يمكنهم أن يشعروا بأنفسهم بعض الوقت. أما الذين يقيسون الوقت بالملذات الروحية يحسون أن الوقت يمر سريعا، بالأمس كنا واليوم سنكون بالمستقبل سنصبح. أنتم اليوم تريدون أن تستفيدوا أكثر ما يمكن من الوقت وترون بتصرفات أعمالكم اليومية على أي خطوة تريدون أن تمشوها، تفكرون بالأول المنفعة الروحية بأنفسكم جميعا أما إذا كانت المنفعة فردية فلا مانع شريطة أن يمتد أثرها للمجتمع ليستفيد منها الجميع، وها أنتم اليوم تنظرون لهذا الهدف كوسيلة لتقدمكم الذي حصلتم عليه. أصبحتم تعرفون بحاضركم أكثر من ماضيكم المادي، وأحيانا تفكرون لماذا حدث هذا التغيير في أنفسكم وبنفس الوقت تسألون لماذا هذا؟ وإلى أين نسير؟ وما هنالك ينتظرنا في المستقبل؟ إن الله خلق هذا الإنسان لهدف، ولو كنتم تعرفون ما هو الهدف الأسمى لوجودكم لما أضعتم وقتا بل بقيتم مثابرين صابرين للحصول عليه).

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة النبأ - ٨

٢ سورة الرحمن - ١٩:٢٠

٣ سورة النحل - ١

٤ سورة الإسراء - ١٠٥

٥ إشارة إلى الآية الكريمة {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} والحديث الشريف: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ. صحيح ابن حبان. كما أخرجه البخاري ومسلم مطولا.

٦ الأنعام - ١٢٢

٧ سورة مريم - ٩٣

٨ سورة طه - ١٠ و١١و١٢.

٩ سورة غافر -٥٠

١٠ عبارة صوفية متناغمة مع الآيات الشريفة التي جاء فيه أن الإنسان هو خليفة الله في الأرض.

١١ من كلمات السيد المسيح عليه السلام: "الحق الحق أقول لك: ما من أحد يمكنه أن يرى ملكوت الله إلا إذا وُلِد ثانية." (يوحنا ٣: ٣)

١٢ حديث شريف: "أتت عجوزٌ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال لها صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: لا يدخلُ الجنَّةَ عجوزٌ فبكت، فقال: إنَّك لستِ بعجوزٍ يومئذٍ قال اللهُ تعالَى {إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا}. أخرجه الترمذي في ((الشمائل المحمدية)) والبيهقي في ((البعث والنشور)) باختلاف يسير.

١٣ سورة إبراهيم - ٢٤

١٤ سورة الرعد - ١٧

١٥ حديث شريف رواه الدارقطني، والبزار، والبيهقي، وابن عدي. ويعتبره المحدثون أنه ضعيف أو موضوع، ومع ذلك يتوافق مع الحديث الشريف: "ما من مسلمٍ يُسلم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتى أردَّ عليه السلام." رواه أبو داود بإسنادٍ جيدٍ، والحديث الشريف: "الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ". أخرجه أبو يعلي والبيهقي.

١٦ من الحديث الشريف: "أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر وأنا أولُ من تنشقُّ الأرضُ عنه يومَ القيامةِ ولا فخر وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مشفَّعٍ ولا فخر ولواءُ الحمدِ بيدي يومَ القيامةِ ولا فخرَ." صحيح ابن ماجه.

١٧ سورة البقرة - ١١٥

١٨ سورة البقرة - ١٧٧

١٩ سورة البقرة - ١٤٣

٢٠ هذا المعنى جاء في أكثر من حديث شريف. أخرجه البيهقي، والطبراني، والديلمي بصيغة "إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ النحاس، وجلاؤها الاستغفار". وجاء بصيغة: "إنَّ هذه القلوبَ تصدأُ كما يصدأُ الحديدُ، قيل: يا رسولَ اللهِ فما جلاؤُها؟ قال: قراءةُ القرآنِ." الراوي عبد الله بن عمر، المحدث: ابن القيسراني. كما جاء بلفظ: "إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء، قيل: يا رسول الله وما جلاؤها؟ قال: كثرة ذكر الموت، وتلاوة القرآن. أخرجه الخرائطي في ((اعتلال القلوب))، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)).

٢١ إنجيل يوحنا ١:١-١٤ "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ. وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهُ. هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ. بِهِ تَكَوَّنَ كُلُّ شَيْءٍ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَتَكَوَّنْ أَيُّ شَيْءٍ مِمَّا تَكَوَّنَ."

٢٢ حديث شريف رواه الدارقطني، والبزار، والبيهقي، وابن عدي. ويعتبره المحدثون أنه ضعيف أو موضوع، ومع ذلك يتوافق مع الحديث الشريف: "ما من مسلمٍ يُسلم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتى أردَّ عليه السلام." رواه أبو داود بإسنادٍ جيدٍ، والحديث الشريف: "الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ". أخرجه أبو يعلي والبيهقي.

٢٣ من حديث شريف: "إنَّ اللهَ زوَى لي الأرضَ فرأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها فإنَّ أمَّتي سيبلُغُ مُلْكُها ما زوَى لي منها وأُعطِيتُ الكَنزَيْنِ: الأحمرَ والأبيضَ... أخرجه مسلم في صحيحه.

٢٤ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: أرسلت إلى الأبيض والأسود والأحمر، وجعلت الأرض لي مسجدا وطهورا، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت جوامع الكلم.) (العسكري في الأمثال - عن علي).

٢٥ حديث شريف، يوم غدير خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، بيدِ عليٍّ رضي الله عنه، فقال ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسِهم قالوا بلى قال ألستُ أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسِه قالوا بلى قال فهذا وليُّ من أنا مولاه اللَّهمَّ والِ من والاهُ اللهمَّ عادِ من عاداهُ. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.

٢٦ سورة الأنبياء - ١٠٧

٢٧ النحل - ٦١

٢٨ سورة الأنفال - ٣٣

٢٩ سورة الشورى - ٢٩

٣٠ سورة الإنسان - ٣٠

٣١ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٣٢ سورة الأنعام - ٩

٣٣ سورة البلد - ١٢-١٣

٣٤ حديث شريف. المحدث: الزرقاني، ولكن لم يثبت سنده، ويوافق الحديث الشريف: "كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ وعُدَّ نفسَك في الموتَى". أخرجه البخاري.

٣٥ قول للإمام عليّ كرم الله وجهه. المحدث: السيوطي. المصدر: الدرر المنتثرة.

٣٦ سورة النساء-٦٦

٣٧ حديث شريف رواه عبد الله بن عمر: "أخذ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ببعضِ جسدي وقال: كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ وعُدَّ نفسَك في الموتَى". أخرجه البخاري.

٣٨ سورة الرحمن -٣٣

٣٩ إضافة معنى "بالإنسان" للمقولة الصوفية "ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان".

٤٠ إضافة معنى "للإنسان" للمقولة الصوفية "ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان".

٤١ سورة فاطر- ١

٤٢ سورة يس - ٨١

٤٣ سورة الأنبياء - ١٠٤

٤٤ سورة الكهف - ٥١

٤٥ حديث شريف: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض." أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود.

٤٦ حديث شريف: " الدَّنيا دارُ مَنْ لا دارَ لهُ ولها يَجمعُ مَنْ لا عقلَ لهُ ومالُ مَنْ لا مالَ لهُ." أخرجه أحمد والبيهقي.

٤٧ إشارة إلى الحديث الشريف: "مالي وللدنيا إنما مثلي ومثلُ الدَّنيا كراكبٍ استظلَّ تحت شجرةٍ ثم راحَ وتركها." أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد.

٤٨ سورة الزمر - ٣٤

٤٩ سورة البقرة - ٣١

٥٠ سورة البقرة - ٣٠

٥١ سورة سبأ - ٤٩

٥٢ من حديث شريف: "إنَّ اللهَ زوَى لي الأرضَ فرأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها فإنَّ أُمَّتي سيبلُغُ مُلْكُها ما زوَى لي منها وأُعطِيتُ الكَنزَيْنِ: الأحمرَ والأبيضَ... أخرجه مسلم في صحيحه.

٥٣ سورة آل عمران -٥٩

٥٤ سورة آل عمران - ٥٩

٥٥ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داوود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داوود والحاكم.

٥٦ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

٥٧ من حديث شريف: "حياتي خيرٌ لكم تُحدّثونَ ويُحدَّثُ لكم ووفاتي خيرٌ لكم، تُعرَضُ عليَّ أعمالُكم فما رأَيْتُ من خيرٍ حمِدْتُ اللهَ عليه، وما رأَيْتُ من شرٍّ استغفَرْتُ اللهَ لكم". أخرجه النسائي والطبراني.

٥٨ إشارة إلى الحديث شريف: "مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق." أخرجه الحاكم في المستدرك.

٥٩ من الحديث الشريف: "تكونُ دعاةٌ على أبوابِ جهنمَ، مَنْ أجابَهم إليها قذفوه فيها، هم قومٌ مِنْ جِلْدَتِنا، يَتكَلَّمُونَ بألسنتِنا، فالزمَ جماعَةَ المسلمينَ وإمامَهم، فإنْ لم تكُنْ جماعَةٌ ولَا إمامٌ فاعتزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّها، ولَو أنْ تَعَضَّ بأصلِ شَجَرَةٍ حتى يُدْرِكَكَ الموتُ وأنتَ كذلِكَ" المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الجامع. أخرجه البخاري بصياغة متقاربة.

٦٠ إشارة إلى حديثين شريفين: "إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض". أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. و"إني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما". جاء في سنن الترمذي:

٦١ سورة الفرقان - ٥٩.

٦٢ سورة يوسف -١٠٨

٦٣ سورة الشورى - ٥٢

٦٤ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩

٦٥ سورة الكوثر – ١، ٣

٦٦ سورة الأنبياء - ٣٤

٦٧ سورة الرعد -٣٣

٦٨ سورة النجم - ٨ - ٩

٦٩ سورة الإسراء - ٨١

٧٠ سورة الإخلاص - ١

٧١ سورة آل عمران - ٢ , سورة البقرة - ٢٥٥

٧٢ سورة الأحزاب - ٦

٧٣ استلهاما من {الذي يراك حين تقوم. وتقلبك في الساجدين} سورة الشعراء – ٢١٨، ٢١٩

٧٤ سورة الفتح - ١٠

٧٥ حديث شريف: أخرجه البخاري ومسلم، بصيغ متعددة، " فاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنّي، فَمَن أغْضَبَها أغْضَبَنِي."

٧٦ استلهاما من حديث شريف، جاء بصيغ متعددة: "فاطمة بضعة مني وأنا منها، فمن آذاها فقد آذاني، من آذاني فقد آذى الله." المكتبة الشيعية. بحار الأنوار.

٧٧ سورة الرحمن - ٢٦-٢٧

٧٨ سورة الأحزاب - ٦

٧٩ سورة سبأ- ٤٩

٨٠ من الحديث الشريف: "ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسئولة عنه، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته". أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، وأحمد، والترمذي.

(١٢)

الأمر الوسط
حقيقة كل ما يصل إليه أمر الله بالإنسان
يوم يحيا بحاضر له لأزله وأبده
وهو نهاية ما يلقى لمعنى ربه أو يعلم لمعنى غيبه
في لانهائي الحق ولانهائي الخلق
للانهائي حقه وخلقه لأمره

حديث الجمعة

٥ جمادى الأولى ١٣٨٤ هـ - ١١ سبتمبر ١٩٦٤ م

أشهده لا إله إلا الله

أشهده محمدا رسول الله

أشهدهما لي الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر

محمد عبد الله ورسوله، لا إله إلا اللــه

محمد حق الله ووجهه، لا إله إلا اللــه

محمد فعل الله وأمــره، لا إله إلا اللــه

محمد رسول الله ورحمته، الله أكبر، الله أكبر

دين الفطرة.. دين القيمة.. دين الحرية.. دين العلمية.. دين النظام والانتظام.. دين القدرة والفعل.. دين البيان والقول.. دين المعرفة والعلم.. دين اللوح والقلم.. دين الحكمة والعلم.. دين الإبداع، والرجعة والارتجاع، ذلك إنما هو دين الإسلام.

جاء به مؤسسه في قديم، بعلم آدم لآدم، وبعلم أبناء آدم عن آدم.. وبعلم آدم عن أبناء آدم.. وبعلم آدم عن نفسه، قام قديمه قبل قيامه بمحدثه، عين باقيه بعد زواله بحدوثه، في دورته الخالدة بناموسه.

عرف آدم الله لنفسه بنفسه في ناموس دورته في الله إنسان وجوده، وحق شهوده في مرآة موجوده، يوم تمت له كلمة الله لتمام إنسانه، ببعث رسول الله بعنوانه.

وعرف أبناء آدم الله، بدورتهم في آدم، بناموس دورتهم الخالدة في آدمهم الخالد، بآدمهم المحدث لوجودهم، في الأعلى لكيانهم وكينونتهم، يدورون فيه دورتهم، بدؤهم نهايتهم، ونهايتهم بدؤهم، لدائرة لا نهائيتهم في نقطة مركز شهودهم لأناهم، لنقاط تواجداتهم، لمعاني لا نهائي وجودهم في قبضة النور الحقية لمعانيهم، منها يبدأون وإليها ينتهون، وفيها يتجددون، ورفاقا لرفاق يدعون في أحد اجتماعهم، به يقومون وله في أنفسهم يشهدون، فشعار لا إله إلا الله في دوام يرفعون وبه يقومون.

هم مراكز فرضية، ونقط هندسية، لعين معنى حاضرهم، بمقيد ذواتهم، ومنطلق أرواحهم، بوصف خلقهم كتبا لدوائر حقي تواجدهم، لحقي وجودهم بقديم وقادم، لشهودهم في حاضر هو في حقيقته أمر نظري، وهمي، فرضي، إذ هو مشطور بين القديم والقادم لمعنى قائمه، يفصلهما فيه له خط هندسي، يجعل الحاضر لا وجود له في الحقيقة، إذ الوجود لمفروض تكوينه لكائنه، من شطري وجوده في الماضي والمستقبل، حتى يسقط عنه وصف الماضي والمستقبل بالقيام السرمد. فالحاضر في اللانهائي مفروض وجود لوهم موجود، حتى يتواجد لأحديته في واحديته لوجوده الدائم.

هذا هو معنى الحاضر في أمر الإنسان بحاضره للانهائيه حقا وخلقا، أينما كان، وفي أي صورة وجد، وبأي هيكل تواجد، ما دام يحيطه إطار من تقييد، بذات من تجمع للطيف منطلق من وجود يعرفه معنى لمعنى، ولا يحيط به له في معنى لا نهائيه.

فالإنسان في إدراكه ومعانيه، في معارج من المعرفة، لمعارج من الرقي، لمعارج من الوجود، يدخلها ويبدأها من باب الفطرة خلقا، وينتهى منها إلى حقيقته بحقه يوم يشهد لعلمه وعقله أنه لا إله إلا الله بموجوده سابحا في قبضة نوره لوجوده، فالحياة لا تعرف تقسيم الزمن، فهي بالتبعية لا تعرف معنىً لحاضر بقبل وبعد.

فإذا شهد الإنسان أنه لا إله إلا الله بشهوده لموجوده، وأدرك لعلمه وعقله أنه لا بد وأن يكون قد سبقه في الوجود لشهودها له، إنسان، وإنسان، وإنسان.. وكيان وكيان وكيان، اقتضى ذلك أن يشهد أن لله فيه به حقائق وأنه أحدها، وأنه بما عرف إنما هو رسول، هو قائمه بها، وأنه لا بد وأن يكون بينه وبين الحقيقة الكبرى اللانهائية لقائم لا نهائيه رسولا ورسولا ورسولا إلى لا نهائي لا يدرك.

بذلك عرف للرسول مكانته في ربه الأعلى رسولا، وما تكون معاني الكمال له نظرا وعلما، فنزه الأعلى لمعنى الرسول عن الجهل، عرفه لنفسه ما زال له نصيب منه، فهو بتجديد خلقه كلما تجدد له منه نصيب، فلاحق ونزه الرسول الأعلى عن الانحراف ما زال له في نفسه منه نصيب حجبه عن التلاقي مع الأعلى. ونزه الرسول الأعلى عن النقص هو مدرك حاله له. وأدرك الرسول الأعلى بالأسماء الحسنى من صفات الكمال له، قدرها وعرفها وتذوقها يوم قام منها فيه ما قامها به. وعرف الرسول الأعلى تخلق بأخلاق الأعلى، فالأعلى لا يدرك مرتقاه، وأن المرسل والرسول الأعلى في لا نهائيه لا يدرك أمره ومعناه، ولا يبلغ شأوه لموجوده بجلاه، وإنما هو قائم لظهوره بتجليه بالمدرك في معراج تدانيه، بقائم الأعلى على دانيه، هو عليه قائم غير مجحود منه، قياما به فيه.

من عرف الحق عرف أهله، ومن عرف الحق وأهله، شهد لمحمد بالرسالة وبتمام وكمال إنسانه فشهد أن محمدا رسول الله، ومن عرف محمدا رسول الله، وعرف أن رسول الله إنما هو أمر الله، وعرف أن من كان أمرا لله كان اسما لله، وعرف أن من كان اسما لله كان وجها لله، وعرف أن من كان وجها لله كان الحق من الله. فعرف أن هذا ما يجب أن يطلب لطالب يطلب الله، ويقوم بالله، ويشهد أن لا إله إلا الله، ويشهد أن محمدا رسول الله، فيؤمن بالله ورسوله لذاته ومعناه كمالا بهما، وسيرا إليهما في معراج لا يتناهى، فيعلمه المؤمن، عَلَما على الإيمان بالله ورسوله لمؤمن بالله ورسوله، يؤمنان بالله ورسوله، رفيق وأعلى لا فرق بينهما في الأعلى.

فإذا قدر أن ما لنفسه بقائمه وقيومه إنما هو ما يصح أن يكون للناس في واجب الوجود لهم استوجبه وجودهم، فآمن بالمؤمنين أنهم لله وجها، وعنه حقا وعبدا، وله حقا دائما ورسولا قائما، فإن عرف ذلك وعَلمه بعد أن تعلّمه وقامه، بعد أن طلبه وأيقن به، بعد تصديق وإيمان به، وآمن به بعد إسلام له، عرف أن افتقاره إلى الله لا ينقضي ولا ينتهي فعرف الله أكبر، فشهد الله أكبر، وطلب الله أكبر في، معارج الله، بلا إله إلا الله، وبمحمد رسول الله، وبالله أكبر، وبالله أكبر، وبرضوان من الله أكبر، يوم رضي عن الله، ورضي الله عنه.

فهو يوم رضي عن الله تعرض لرضاء الله، ويوم رضي الله عنه تعرض لرضائه عن الله. فما رضي راض عن الله إلا يوم أن رضي الله عنه. وما رضي الله عَمن يرضى إلا يوم أن رضي عن الله، رضي الله عنهم ورضوا عنه، رضوا عن الله ورضي الله عنهم، يحبهم ويحبونه.. يحبونه ويحبهم.. يتبادلون معه ويتبادل معهم.. حبا بحب.. وودا بود.. ورضاءً برضاء.. وقياما بقيام.. (كن كيف شئت فإني كيفما تكون أكون)[1]، {وما تشاؤون إلا أن يشاء الله}[2]. فنشأة الود والرضا من العبد والرب مقترنة في التواجد والنشأة، لا يفصلهما زمن بسبق، ولا وصف من صفة العبد أو صفة الرب. فهما العبدان

أو الربان في الأمر الوسط بين أزلي الأمور وأبديها بالإنسان لا بدء ولا انتهاء له، هو لله والله به قائم ومن ورائه محيط. فحقيقة الأمور يقوم بها الناس إما كسبٌ لاسم الله فحياة، أو فقدانٌ له فعدم.

{إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله}[٣]، لله يده العليا بك، ولهم أيديهم هي له، فإن بايعوك، وعرفوك يد الله فوق أيديهم، ظلالا لك رضوهم، كانوا أيدي لله عرفوهم، ما أشهد الله خلق السماوات والأرض ولا خلق نفس لنفسها، إلا يوم رضيت عن الله، ورضي الله عنها، أحبته فأحبها، وأحبها فأحبته، ورضيها فرضيته، ورضيته فرضيها، فاصطفاها لنفسه وجعل منها عضدا ويدا ووجها له، فأوجدت وجودها، وخلقت أكوانها وعوالمها.

هذه المعاني.. هذه الحقائق.. هذه القوانين، إنما تقوم جميعها بشعاره لا إله إلا الله، وتُكسب وتُدرك وتُعلم بشعاره أنه محمد رسول الله به جاء الحق، وبجيئة الحق به زهق الباطل، خلقا تحقق، وبالحق تخلق، بعث بالحق، فكان الحق في مظهر الخلق، فلا خلق، ولكنه الحق. خلق الله الخلق وهو على ما عليه كان، لا خلق معه، ولكنه تجليه وظهوره من كنزيته.

من عرف ذلك لرسول الله.. من عرف ذلك لحق الله.. من عرف حق الله بعبد الله، بعبد لله، عرف رسول الله في تتابع ظلاله رسلا لله، خاتم وطابع النبيين والحكماء، عبادا للرحمن لا ينقطع عن الأرض تواجدهم، وبعثهم بالحق. من عرف الرسول طابع الحق، وذات ومعنى الرسالة، وقائم العلماء، وقيامة العلم.. من عرفه بذلك مع ظل له من ظلال في أي أمة وفي أي مكان، فتابعه بمن عرف على ما عرف من الحق، كان منه، ومن كان منه كانه على ما هو.. ومن كانه على ما هو كان الرسول منه على ما هو، فكان هو الأمر الوسط، والأمر الوسط هو نهاية ما يصل إليه أمر لله بالإنسان لحاضره بطرفيه أزلا وأبدا.

فالإنسان في أمره بالله بأحده لفرده، بين يدي المطلق لله بفوقه حقا محيطا وتحته خلقا محاطا. هو بذلك تحت يده مظلة بعوالم حقه إلى أزل لا يدرك، وفوق يده المقلة لتحته محاطا بعوالم خلقه، لا ينقضي لها تواجد إلى أبد لا يدرك.

هذا هو الحق من الله في الله على ما يجب أن يعرف قامه الرسول. ولو اجتمع الجن والإنس على ظل من ظلال له على قلب من قلوب اجتمعت على حقه لحقيقتها، بقائم حقها في دائرة حقه أزلية لا تدرك، أبدية تقوم وتتحقق، ما عرفه غير ربه. لو اجتمعت هذه القلوب على أتقى قلب رجل عرفته لأخذ الناموس طريقه، وتلاقت هذه القلوب على هذا القلب مرضيا لها، مرضيا منها، راضيا عنها،

فأعطى صاحب كل قلب مسألته على ما أراد بإرادته إرادة لله، وبفعله فعلا لله، عطاءً غير ممنون ولا مجذوذ.

وهذا هو معنى الدعوة على بصيرة بمن تبعه بوصف أُمته. فهو أمة دعاة على بصيرة، كما هو أمة شهداء هو عليهم شهيد ولهم مشاهد، يشهدون الحق فيه، وهو للحق فيهم يشاهد. وكل شهيد له أمته بدوره يوم يدعى كل أناس بإمامهم.

فإذا ما سمونا بالوعي فما كان هناك عطاء، وما كان هناك ما تنقص به كنوز ملكه، وكنوز فضله، وكنوز كرمه، وكنوز رحمته، وهذا الذي يزيد في الخلق بالخلق ما يشاء، فما نقص بذلك شيء في ملكه، وهو الذي يملأ بعباده فراغ الوجود بالحياة.. أليس الكل في عالم ما أو وجود ما في دائرة ملك لملك من ملوك في ممالكه، مالك الملك، يؤتى الملك من يشاء من عباده، وينزع الملك ممن يشاء منهم، والكل عباد مكرمون؟ فكيف بمن هو من وراء ظلال رحمته!

يعز من يشاء بفتنته، ويذل من يشاء بحكمته. يبلو من يبتلي يوم يبتلى فيما أعطي، وفيما حرم. يبلو في مظاهر امتناع عطائه، ويبلو في مظاهر بذل عطائه. أما أمره لمن كان له منه الأمر، ولم يجعل أمره له فيه فرطا فلا عطاء وإن سمي عطاء فهو عطاء غير ممنون، وإن سمي جزاء فإنما هو جزاء فعل برد فعل لصاحبه، كل ميسر لما وجد له، كل ميسر لما تواجد له، كل ميسر لما خلق له، كل ميسر لما تخلق له، من يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره، {والله خلقكم وما تعملون}[٤]، (إنما هي أعمالكم ترد إليكم)[٥].

من عَرف أن الإسلام إنما هو دين الفطرة، وأن دين الفطرة إنما هو قوانين الطبيعة، وأن تشريع الإسلام للحياة الزمنية هو تشريع الله، ظاهرا بالإنسان، لمن يهدي الله، بقيومه بالإنسان على قائمه بالإنسان، عرف أن هذا التشريع إنما هو تعاليم للمواءمة بين الفعل الإرادي والقانون الحتمي، وعرف أن تشريع الفطرة في قوانينها لا يختل ولا يقهر، فإذا ما تكشفت له فردا أو جماعة قوانين الفطرة أو بعضها، فأعمل هذه القوانين أو ما تكشف منها في أمر ذاته ونفسه فردا أو جمعا، لحاضره وقادمه وقبله بمواءمتها، وبالانطباع عليها، فقد استقام على الدين، واستقام على الطريق، وكشف عنه غطاؤه من دثار المادة شيئا فشيئا، بصقل زجاجة جسده وانطلاق أنوار عقله فردا، وانتظم الأمر للجماعة حرية ونظاما وعدلا.

إن الإنسان في حاضره بيومه قائم بأمسه وغده قياما واحدا يعنون الإنسان في سائر عوالمه لأزله وأبده على ما هو، يوم يراه على ما يجب أن يُعلم من أنه مجرد علم بهذا الحاضر لمعلوم بعلم لمعنى لقديم، أو معنى

لموعود لقادم، وأنه لقائمه مجرد رمز لعين القديم يتواجد من خلاله في قادمه. فهو في حقيقته في حال من وهم بما يصنع بنفسه لمعنى نفسه، وخير له أن يعرفه في تجريد لنفسه عن وجودها، إلى موجد لها يتواجد بها بوجود له، ويتواجد منها لموجود بها في قادم وجود له.

ها أنت في يومك من حاضرك، هل تستطيع أن تسترد أمسك لقائمك؟ هل تستطيع أن تستعجل غدك ليومك؟ إنك لا تملك من أمر غدك إلا ما تدبر له، وقد فقدت كل ما كنت تملك من أمر أمسك في سابق له وقيام به، بما فعلت فيه أو قدمت له، لما هو قائم بك ليومك.

ها أنت.. لا تحس إلا بساعتك التي أنت فيها، وما ساعتك التي أنت فيها بإحساسك إلا لمحة الزمان، ثانية أو جزء منها، تشعر بها في قائمك بما تشعر به فيها، فإن مرت فقدتها، ولا تستطيع أن تمنع ما بعدها من المجيء، أو تلحق بها فيما مضت به.

هكذا أنت في الحياة الكبيرة.. أنت بحاضرك من حياتك هذه، من كرة بها في لا نهائي كرات الحياة خلقية وحقية، مادية وروحية، ظاهرية وغيبية، مشهودة وباطنة، معلومة أو مجهولة، لا تملك شيئا عن كرة سابقة عليها، ولا تملك شيئا عن كرة قادمة بعدها، فأنت وإن كنت لا تملك شيئا لأمر كرة أو كرات أفلتت بقديم، ولكنك قد تملك الكثير للكرة القادمة أو الكرات القادمة، بما تستقيم به في أمر كرتك هذه، حاضرة بمولد فطري، لبدء جديد مستقل عن سلطان قديمك، وإن حواه في جعبة تجاربه.

ويوم تعلم نفسك في حاضر ما قدمت في كرات أمسك بقديم، فتأخرت في كرتك لكمال ترجوه، مفقودا لحاضرك، أو أنت تراك مفتقرا إليه في حاضرك، وتسأل الله أن يجعله لك في كرات تلاحقك، تنتظرك بأيامك متتابعة بعملك، يوم يقوم علمك، ويوم يقوم اعتقادك، ويوم يستقيم فهمك، فيقوم علمك على قانون الله، وقد عَلَّمَك {علمت نفس ما قدمت وأخرت}[٦]، يوم تقوم الحياة، والمعرفة، والعقيدة، والطريق، والاستقامة على هذا القانون الكتابي كتب عليك.. القرآني قرئ لك.. الإسلامي بإسلامك لله ورسوله.. المحمدي بتخلقك بخلق المحمد.. الفطري بفطرتك بمولدك على الفطرة.. فأنت في دين استقامت عقائده، وأنت في علم عن الحق لك، والنفس منك، وضحت معالمه، واتضحت لك صحائفه.

فإن تابعت المحكم من عبارات الكتاب، وعملت بها مع من عمل بها وأنتجت آثارها عنده فقام أمام شهادتك من حمل الكتاب إليك، ببصيرة تعرفها بقيامه في عين ما نقل إليك عن من خلفه ومثل سبيله،

في معاملته للناس بما يكشف عن استقامة معاملته مع ربه، كنت أمام الباب لساحة من تنشد لأمر نفسك من أمر ربك.

فإذا طرقت الباب ففتح لك وجدتك في الطريق السوي، طوي لك الزمان فإذا أيام زمانك من حاضرك أطوار حياتك بدورات تواجدك، فعرفت هدي الرسول يوم قال لك ولكافة الناس مرشدا ومعلما (موتوا قبل أن تموتوا)[٧]، (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا)[٨] ، (عد نفسك في الموتى)[٩]، تكن مؤمنا.

في هذا العلم، وبهذا العلم، وفي العمل به، تقوم قيامة العالم العامل به، فلا ينتظر قيامة، ولا يستعجل ساعة، إنما يستعجل بالساعة الذين لا يؤمنون بها، والذين آمنوا بها علما بها، قائمة في قائم قيامهم، معلومة في قائم علمهم، يقينية في يقين معرفتهم، يشفقون منها ويعلمون أنها الحق، يوم تقوم مرضية بشهوده منة وعطاء، أو بحرمانه قطيعة وجزاء، برد الأعمال لأربابها.

إن الاستقامة إنما هي في إعمال قوانين الفطرة، في قائم الفطرة، تطبيقا على النفس، ذاتا كثيفة ولطيفة، ومعنىً مليحا وقبيحا، فإذا عرفنا قانون الجاذبية للمادة، فاستسلمنا بمادتنا إلى أصلها من الأرض، تفعل بها النواميس الأرضية ما تشاء متخلين عنها لمعنى أنانيتنا، تخليصا وخلاصا لأنانا من النور، كان في هذا معنى الاستقامة والخلاص. وكذلك إذا عرفنا قانون الجاذبية للنور، وأن ما فينا من شحنة النور بها نعمل ونتحرك، ونحيا ونفكر، منجذبة بطبيعتها لأصل نشأتها من نور السماوات والأرض، قبضة من نور الله قائم الفطرة، كانت الاستقامة في متابعة النور، فأنكرنا على أنفسنا سلامة فعلها كلما انجذبت بنورانيتها منها إلى الأرض، ولازمنا منا ما انجذب إلى النور، بمعاني الأنا لنا، وبذلك كنا غير متثاقلين إلى الأرض بنورانيتنا، فعرفنا معنى الانطلاق والحرية، ومعنى وضع الأوزار عنا، وعتق الرقاب لنا.

وعرفنا مراد الله بقوله كيف يجتمع الشمس والقمر بسقوط الأوزار عنهما، وقد جعل الشمس سراجا والقمر نورا.. وقد جعل من قلب الإنسان في مشكاة صدره مصباحا مشعلا وقياما منطلقا في أرض ثابتة، تقوم عليها الكلمة الطيبة للشجرة الطيبة لليل والنهار، أصلها ثابت وفرعها في السماء متصاعد إعمالا لقانون الفطرة، أرضا أعطيت الدوام بالتكاثر النوعي، وأعطيت الحقيقة بالتطور للكمال الذاتي والكفاية الذاتية إلى قائم أمر الله بها، بقيام أمر الله لها، في قائم أمر الله عليها، {علمت نفس ما قدمت وأخرت}[١٠]، {.. وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء}[١١] ...

عرف الإنسان عن نفسه، فعرف في معرفته عن نفسه معرفته عن الرفيق الأعلى، كمالا لمعناه، وكمالا بمعناه، لكمال معناه، يوم يكمل متخلقا بخلق ربه، بخلق الرفيق الأعلى، مشاهدا الحق بحاضره وفي حاضره، وبكل حاضر، وفي كل حاضر له.

بذلك تعرف عظمة الرسالة الفطرية.. وعظمة الرسالة القرآنية.. وعظمة الرسالة المحمدية.. وعظمة الرسالة الإسلامية.. بإشهار رسول الله لقانون الفطرة الأساسي في قوله (تخلقوا بأخلاق الله)[١٢]، (أدبني ربي فأحسن تأديبي)[١٣]، فيكشف بحكمته المتجددة الدائمة في تجددها، وبخلقه الدائم بيننا بعترته قانونا من قوانين الفطرة، هو ناموس أصيل للوجود، معلنا به أن البقاء لله وحده، وأنه لا بقاء إلا لمن تخلق بخلق الله، غير مفرط في أمره من أمر الله. وما تخلق بخلق الله إلا من تخلق بخلق ربه، وما تخلق بخلق ربه إلا من تخلق بخلق رسوله وما تخلق بخلق رسوله، إلا من شهده لله ورسوله بيتا وحقا وعبدا، مع ظل من ظلاله مؤاخيا متابعا، فقام بالله ورسوله حقا فكان ربانيا، يقول للشيء كن فيكون، يبصر بنور الله، وتمتد يده إلى الأفعال بقدرة الله، وتسعى قدمه في الوجود برحمة الله، فيعلم أنه لا إله إلا الله، ويقوم محمدًا رسول الله، ويعرف الله أكبر، لمن طلب الله، وآمن معه بالله إيمانا بالله ورسوله، فيعلم من أمر نفسه ما قدمت وأخرت، وما هي فيه قامت، وبه دامت، وإليه صبت.

فإن عَلم ما يجب أن يعلَم عن قائمه بذاته لأناه عرفه بيتا، وقد مات فعلا وحسا ومعنى، أماته المميت يوم عزله عن وزره من المادة لجسده ومعناه لذاته، وبعثه بالحق ليقوم على وزره بعلمه بعالمِه على قائمه، بحقه بقيومه، قيوم قائمه بظاهر ذاته، روحا متجسدا بها، يوم علمت نفسه ما قدمت، ويوم علمت نفسه ما أخرت، فبقيومها قياما به آمنت، وبذلك حييت، (رجل كسب الله وخسر الدنيا)[١٤]، باقيا أحياه المحيي بعد أن أماته المميت. أحياه المحيي فيه يوم استسلم لقتل الشيطان له فأعانه الله عليه فأسلم، فحيا مبعوثا بالحق، أمات وأحيا. (وما مات أمرؤ ثم حيا إلا ندم، إن كان قد أحسن أنه لم يزدد، وإن كان قد أساء أنه لم يقلع)[١٥].

فكمالات الله في كمال ذاته وكمال صفاته، لتجليه بعباده لمعاني وجوهه وجوها لا تتناهى، وعطاؤه لها بتجليه بها بكمال متلاحق لا يجز، {يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد}[١٦]. يا أيها الناس إن الإيمان بلا إله إلا الله يقتضي الإيمان برسوله واجب الوجود، قائما وقيوما بها. {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله}[١٧]. يا أيها الذين آمنوا بلا إله إلا الله، اعلموها لرسوله في صمد الله بصفاته معلما هاديا، فآمنوا برسوله فيكم ومعكم وبينكم، {يؤتكم كفلين من رحمته}[١٨]، ويعلمكم أن الله أكبر، وينتشلكم من أوحال التوحيد، ويسبح بكم في فضاء التفريد، آحادا لله تملأون فراغ الوجود بالحياة. ويقربكم إليه يوم يقول لكم لا فرق بيني وبينكم، تخلقا بأخلاق ربه على ما قالها له، (لا فرق بيني

وبينك)[١٩]، إن عيني لعين عينك، {واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تكُ في ضيق مما يمكرون}[٢٠]، عسى أن يبعثك ربك يوما بما بك هو قائم، وأنت به دائم مما هو مدرك لك من أنه (لا فرق بيني وبينك)[٢١]، {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}[٢٢]، محمودا عندهم يوم يصلحهم لك، فتصلح لهم رحمة من الله بك لهم، فيشاهدوك الرفيق الأعلى لهم على ما تشهد أنت اليوم ربك، مع الذين اتقوا والذين هم محسنون...

إذا كان المحمود عندهم هو ربك وحده، ونسوا أنك لهم منه وجهه، وأنك الحق بينهم لقيومه عليهم ولقائمه بهم رحمة للعالمين بعثك، وبالحق بك لهم أرسلك. إذا أنكروك رحمة للعالمين يا من بعثناه رحمة للعالمين، وقدرناه رحمة للعالمين، ووهبنا له عزتنا رحمة للعالمين، وأظهرناه على الدين كله رحمة للعالمين، وجعلناه الكتاب والإمام للدين وللفطرة ولليقين رحمة للعالمين، فاصبر وما صبرك إلا بالله، وذكر إن نفعت الذكرى، سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى، عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا عندهم، على ما يرون فيمن يحمدون لهم نعمة الله عليهم، {يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا}[٢٣].

يومئذ تؤمر فتطأها، يومئذ تطأها أنت بها اليوم محيط، مزوية لك رحمة للعالمين، فما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، إلا تذكرة لمن يخشى، وإن ناشئة الليل لجديد أمرك منك بك لك تعريفا عنك بمعاني الحق لك على ما أنت من ربك أشد وطأً وأقوم قيلا. إنها رسالة رسول الله عن الرتب، رسالة خافضة رافعة لتضع كل في موضعه، ولتقيم عدلا مفقودا، وتنشر سلاما منشورا، (لو لم يبق من عمر الزمان إلا يوم لمد الله في عمر ذلك اليوم حتى يخرج الله رجلا من أهل بيتي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا)[٢٤]، {وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون}[٢٥]، (أول من تنشق عنه الأرض أنا)[٢٦]، فإن لك في النهار بدائمك سبحا طويلا، يهدي الله بك من يشاء برحمته، ويضل عنك من يشاء بحكمته، ذكر إن نفعت الذكرى، سيذكر من يخشى، ويتجنبها الأشقى.

اللهم إنك أنت أنت على ما أنت، لا إله غيرك، ولا موجود سواك، لا نهائي في تعاليك، لا نهائي في تدانيك، تخلق بخلقك من أسميته للناس برحمتك عبدا لك، وجعلته بهديك وحكمتك رسولا منك، وما كانوا، وما كان، وما كان كل ما كان، وكل ما يكون فيك إلا أنت، تعاليت وتدانيت.. اللهم إنا قد آمنا بوحدانيتك لا شريك لك من أنفسنا، ولا قائم لنا في قائم أمرك، ولا إرادة لنا مع قيوم توجيهك وإرادتك، آمنا بنا مظاهر حكمتك، وحروف كتابك، وكلمات علمك، وصحائف كتبك، لا موجود بحق إلا أنت، ولا معبود فيما يعبد سواك، الأمر لك من قبل ومن بعد، والأمر لك بقائم أمرك، وقيوم عزتك، وإلهي حكمتك، فيما هو قائم، لا علم لنا إلا ما علمت، ولا قيام لنا إلا بما أقمت.

اللهم بحقك مدانيا برسولك فارحمنا، وقاربنا، وأحينا، وأحيِ قلوبنا، وقوم جوارحنا، وحرر نفوسنا، وأنر عقولنا، وأطلق في الوجود أرواحنا.. اللهم حقق لنا ما أردت، لنفسك بنا، ولأنفسنا فيك، ولأنفسنا بك.. اللهم أدخلنا في حصن لا إله إلا الله، وأقمنا بقيوم لا إله إلا الله، في قائم لا إله إلا الله، بمحمد رسول الله.. اللهم بها فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، اللهم بها فقومنا حكاما ومحكومين، أربابا ومربوبين، وجوها وعابدين، عالمين وجاهلين، يقظين وغافلين، راجعين ومظاهرين.. اللهم بها كن لنا أجمعين، وأنزل سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، وألف بين قلوبنا، وباعد بيننا وبين كل ما يباعد بيننا وبينك، لا إله غيرك ولا معبود سواك.

أضواء على الطريق

(الحياة بالنسبة لكثيرين، لا وجود لها بالنسبة إليهم، ولا وجود لهم بالنسبة إليها، والتعريف بالحياة، وإقامة السلام هو رسالتنا).

(فليست الحياة كما ترون من أمر الناس عليها ولكن هناك أمل في الله كبير، وهناك أمورٌ مبسطة تنتظرنا قريبا، فلا تتعجلوا ولا تُحملوا أنفسكم متاعب تضايقكم، واتركوا كل شيء لنا والله معنا جميعا، والنصر لرسالتنا في انتظاركم، فلستم وحدكم).

من حكمة السيد الروح المرشد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ عبارة للسيد رافع يمكن فهم معناها ومغزاها من السياق.

٢ سورة الإنسان - ٣٠

٣ سورة الفتح - ١٠

٤ سورة الصافات - ٩٦

٥ من حديث قدسي: ".. يا عبادي! إنَّما هي أعمالُكم تُرَدَّ عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمَدْني ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومَنَّ إلَّا نفسَه." الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح.

٦ سورة الانفطار - ٥

٧ حديث شريف. المحدث: الزرقاني، ولكن لم يثبت سنده، ويوافق الحديث الشريف: "كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ وعُدَّ نفسَك في الموتَى". أخرجه البخاري.

٨ مقولة من حديث للخليفة عمر بن الخطاب. أخرجه أحمد في (الزهد)

٩ حديث شريف رواه عبد الله بن عمر: "أخذ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ببعضِ جسدي وقال: كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ وعُدَّ نفسَك في الموتَى". أخرجه البخاري.

١٠ سورة الانفطار - ٥

١١ سورة الزمر - ٧٤

١٢ استلهاما من عدة أحاديث: "إن لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر من أتاه بخلق منها دخل الجنة." رواه الطيالسي والبزار والترمذي الحكيم والبيهقي والطبراني، وأبو يعلي. وأيضا الحديث الشريف: "إن لله تعالى ثلاثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة "، ذكره الحافظ العراقي بهذا اللفظ في تخريج كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، كما جاء في الفتوحات المكية لابن عربي. وأخرجه الطبراني

١٣ حديث شريف. جاء في الموسوعة الحديثية لابن حجر، والعسكري في كتابه "الأمثال"، والسَّرَقُسْطِيَّ في كتابه" الدلائل "، والسيوطي في كتابه" الجامع الصغير"، وابن السمعاني في" أدب الإملاء "، وأبو نُعَيم الأصفهاني في تاريخ أصبهان.

١٤ استلهاما من قول المسيح عليه السلام: "لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ، أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟" (مر ٨: ٣٦، ٣٧)

١٥ إشارة للحديث الشريف: "ما من أحد يموت إلا ندم. قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال: إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع." أخرجه الترمذي، وابن عدي، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الزهد، والديلمي في الفردوس، والبغوي في شرح السنة.

١٦ سورة فاطر- ١٥

١٧ سورة الحديد - ٢٨

١٨ سورة الحديد - ٢٨

١٩ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٢٠ سورة النحل - ١٢٨:١٢٧

٢١ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٢٢ سورة الإسراء - ٧٩

٢٣ سورة طه - ١٠٨

٢٤ حديث شريف رواه الإمام على ابن أبي طالب كرم الله وجهه، أخرجه أبو داود، وأحمد باختلاف يسير. وجاء بلفظ "لو لم يبق منَ الدنيا إلَّا يوم لطولَ اللَّه ذلك اليوم حتَى يبعث فيه رجلًا مني-أو من أهل بيتي- يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا، كما ملئت ظلمًا وجَورًا." أخرجه أبو داود، والترمذي مختصرا.

٢٥ سورة النمل -٨٢

٢٦ من الحديث الشريف: "أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر وأنا أولُ من تنشقَّ الأرضُ عنه يومَ القيامةِ ولا فخر وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مشفَّعٍ ولا فخر ولواءُ الحمدِ بيدي يومَ القيامةِ ولا فخرَ." صحيح ابن ماجه.

(١٣)

أمر الله

يسفر لمجاله لله كلما تخلى أمر لأمر أمر تكنز احتجابا لتعاليه، وأمر أسفر بداية لتدانيه فكانت ساعة للقاء، وقيامة لإنظار وجزاء يشهدها أهل البصائر، من ساكني العوالم والحظائر حظيرتنا وعوالمها في دورة أمر لتمام، يتخلى لقيام أمر ببأس وسلام

حديث الجمعة

١٢ جمادى الأولى ١٣٨٤ هـ - ١٨ سبتمبر ١٩٦٤ م

بلغت الأرض زخرفها على ما تشهدون، وازينت كما ترون، وظن أهلها أنهم عليها قادرون كما تتناجون! فهم من قدرتهم عليها مشفقون! وعلى سلامة لها من قدرتهم يتحدثون! وللسلامة لها منهم يرجون! وعلى تدبير لسلامتها بأجسام يجتمعون ويتلاقون، وبقلوب يتنافرون ويختلفون! وهم من أمرهم يرجفون حتى لا تذهب هباءً بين أيديهم!، أو تمزق أشلاء تحت أرجلهم! وهم بما وهموا من قدرتهم يتباهون ويتفاخرون! ظنا منهم أنهم العلماء العاقلون! والمتمدنون المتقدمون! والمتطورون التقدميون! وأصحاب النظر البعيد على ما يزعمون! وهم المطففون، والميزان يخسرون، وبموازين أنفسهم لا يقسطون، ولها لا يحفظون، وعليها لا يحافظون، وبها لا يحتفظون.

هم على هلاك أنفسهم، بأنفسهم وبحماقتهم يعملون، وعلى الهلاك يتزاحمون، وبه يتفاخرون، وأيهم أقدر على إهلاك نفسه بوهم إهلاك خصمه بما يصنعون يتباهون، وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا

إنما نحن المصلحون. حقا! أليسوا هم بهيمة الأنعام يتكاثرون، وللأرض يعمرون، وبنعمة الغيب يكفرون، إيمانا بأنفسهم على ما يقومون، وبلاد المتخلفين عن مدنيتهم يستعمرون وأهلها لهم يخضعون!

وهم في واقع أمرهم جنسهم يذلون ويحتقرون. ونور الله لقلوبهم يطفئون. هم في أوطانهم طاغون، وعلى مواطنيهم وغير مواطنيهم يطغون. وبيوتا غير بيوتهم أهلها لا يسالمون، وعليهم لا يستأذنون يوم هم بغير حق وبحق يدخلون. يخربون بيوتهم لهياكلهم بأيديهم وما يشعرون. ويحملون أوزارا مع أوزارهم وما يعلمون. وما كان المتخلفون على ما يرون إلا آباءهم مبعوثين، من كراتهم بمدنياتهم خاسرين ومنها متخلصين ولهذه الكرة آملين بها مدخلا للحياة يرجون، فهم بفعلهم لنور الله فيهم وفي أصولهم وفروعهم يطفئون، والظلام باسم العلم ونور العلم ينشرون وينصرون.

طغاتهم بجهلهم لجنسهم يرودون، وقطيعا لهم من الجهلاء يسوقون، وساحات الهلاك لهم يدخلون، وبالخصومة المترفعة على شرف الجنس، وبالحقد والعناد بدل الحب والأُنس يتناجون، وبالخسران المبين باسم الإصلاح والصلاح يتواصون، فيُهلكون قطيعهم، ومع الهالكين يهلكون.

الهاوية آخرتهم على ما يعملون، والموت نهايتهم على ما يعلمون، والحياة دائمة لهم هم عليها لا يحرصون، وعلى كسبها لا يعملون، ولأهلها لا يسمعون، وحكماءهم لا يطيعون، وعقلاءهم لا يتابعون، على بقائها على حالها لا يبقون.

لا يستطيعون مضيا في أشباحهم من دناهم، ولا إلى أهلهم بشرف الحياة يرجعون على أحياء موتاهم يجتمعون. وهم مع ذلك كله المؤمنون، الصالحون المصلحون، والمسيحون المسيحيون المختارون، والمسلمون الصادقون الفارقون، والإنسانيون العاملون العالمون، المناصرون المؤثرون. وهم بلجاجتهم وغيهم عن أمرهم لهم بهم ومعهم بينهم يعمهون.

فماذا بعد ذلك ينتظرون، إلا أن يأتيهم أمر الله بسفور؟! وهو آتيهم حتما بسكرة الموت على ما يوقنون، وعلى ما لا يعلمون، فيتكشف لهم أمرهم بأمر الله، فإذا هم المبلسون المجرمون. ولكنهم في الجدل حول الدين باسم المصالحين والمخاصمين غارقون، وبالسيئة قبل الحسنة يستعجلون. وقد خلت من قبلهم المثلات، فما يتعظون.

أليس الله بقادر أن يهلكهم على ما يشاؤون؟ وهم عند مشيئتهم منه هم الهالكون ردا لأفعالهم إليهم على ما يفعلون، وهو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا بفعل أهلها ظالمين، وبوجهتهم غافلين، وبهاويتهم بوهم العالين، وتعالى الله عما يصفون. وهو القادر على أن يذهب بهم هالكين، ويأتي بقوم آخرين. ولو عرفوهم الظالمين فغيروا ما بأنفسهم مما يتعشقون لغَير ما بهم وبدلهم لأمثالهم صالحين.

إن وهما من علاقة بالحياة على خيال من الظن بها بزعم العلم عنها يقيمون. وبالظن يتفلسفون ويتعلمون، وإن الظن لا يغني من الحق شيئا يوم يدركون. يوم تأتي سكرة الموت بالحق لما كانوا ينكرون، يوم يتكشف لهم أمرهم فإذا هم المجرمون المفسدون، في أمر أنفسهم {وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون}[1]، وما يشعرون. ولو أنهم ماتوا قبل أن يموتوا على ما هدوا مبشرين، فشهدوهم بالحق مبعوثين، لواصلوا بظاهرة الموت حياة المكرمين.

{ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل}[2]، {تلك إذن كرة خاسرة}[3]. ولو أرجعهم ببعث على حالهم التي كانوا بها يعملون ليغيروا ما بأنفسهم إن كانوا صادقين، لعادوا إلى ما نهوا عنه كاذبين فيما يزعمون ويدعون. ولو علموا عنهم كما هدوا بكل دين لتبين لهم ما قدمت أنفسهم من بهتان مهين، وما تأخرت عن عرفان بيقين، فاستقام أمرهم في حياة الروح عاملين، وحياة الفطرة مستقيمين صادقين، وترددوا بين الحياتين مجاهدين حتى نتوحد لهم الحياة في أحديتهم لأحدهم راشدين.

سبحان الله وتعالى الله عما يصفون، وعما يقومون، وعما يدركون، والحمد لله الذي هدى بهذا لهذا من هدى من المسلمين. الحمد لله الذي هدى المهتدين في كل دين، وأنار قلوب الصادقين باليقين، وأورد الماء ماء الحياة للمفتقرين الصاوين[4]، وأطعم من موائد الحياة الضعفاء والمساكين، وآوى إلى أحضان رحمته وعزته اليتامى المشردين، فأظل بظله يوم لا ظل إلا ظله، المتقين لغضبة عدله مؤمنين، عاملين برسالة الحق بالعابدين، طلبا للانهائية وجوده بجوده آملين، على ما هدوا بكل طريق، وبأي دين، المتقون لأنفسهم في غفلتها عن معية اليقين، مظاهرة منه، مستقبلة له، بحق اليقين...

والله من ورائهم كما هو من أمامهم، والله من فوقهم كما هو من تحتهم، والله عن شمائلهم كما هو عن أيمانهم، والله فيهم كما هم فيه لو يعلمون عن أنفسهم كيف يقومون، وكيف يحيون، وكيف يعقلون، وكيف يعملون على ما علم منهم عالمون، وعرف بينهم عارفون، وقام عليهم بأمرهم قائمون.

الله هو الله لا يحاط به، ولا يتعادل معه، ولا يتغلب عليه، ولا يقهر، ولا يظلم، ولا يعلل، ولا يسبق ولا يتجدد، وهو وحده العدل الذي لا يظلم، والجود الذي لا يرد عن بابه نداء، ولا يخيب لطالب عطاء، أو لعامل جزاء، أو لراج رجاء.

فعظمته في قدرته على أنه على ما أرادته الكائنات والأشياء كائن بكائنها، متواجد في أشيائها بشيئها لمشيئتها على ما شاءت، فلا شيء إلا وهو به منوط وبسره الساري محوط.

والله برحمته وقدرته لكل شيء على ما شاء الشيء في كل مشيئة له، فلا كائن إلا وهو له. وهو الكائن لعينه في عينه له. والله معه برحمته وقدرته على قدر ما منحه من قدرة ورحمة هي له على ما هو كائن،

وعلى ما يريد أن يكون، فهو في دوام عين كائنه على ما يكون. فكائنه علة العلل للحياة وللوجود، وهو مناط الطلب للصلاة وللشهود، وهو كتاب العلم للحكمة للوجود.

الله... الله... الله... مع الصغير والكبير فيه، وهو له فيه في الظاهر والباطن من أمره، في المعلوم والمجهول من وجوده، في المدرك وفي غير المدرك من عوالمه، في القائم وما وراء القيام، وما بعد القيام، من حقه بخلقه، ومن خلقه لحقه.

الله.. إنما هو لا إله إلا الله. وبذلك كان الله عند من كان لا إله إلا الله، يوم رآه بلا إله إلا الله، الله، وعرفه وجها لله، فكان الله عنده لمعارجه هو الحق الأكبر له من الله، يوم تابع فيه رسوله وحقه على ما عرفه، بمعروف له...

فتحقق له ما تحقق لرسوله على ما علمه، يوم شهده لأناه في وحدانيته وأحديته ظاهر غيبه ووجه مطلقه، فآمن بذلك وأكثر لرسوله من قبله، ثم اتقى الأكبر والأعلى في عظمته، سعيدا بالدخول في كنف رحمته، بالانضواء تحت لواء رسالته بظاهره وباطنه، فعرفه في حقيته وفي خلقيته بنعمة الله له رسول الله، قامه وبالحق أقامه، فقامه وأقامه المحمد الرسول قائما به، هو كوثر قيامه، وباب سلامه، فأشهد محمدا رسول الله قيام أمره، وشهد أن محمدا رسول الله قيام رسالته عند من لم يقمه على ما قامه. وقام وعمل يد الله ووجه الله، والحق من الله لطالبي الله يوم شهده به أنه لا إله إلا الله، فعلَّم لا إله إلا الله لأهلها وطالبيها، قائم رسول الله بها.

فبالشهادتين أكبر وقدر رسول الله يوم أكبر وقدر معاني عبده ووجهه، فقدر الله حق قدره، فأكبر رسول الله على نفسه، وقام في رسول الله نفسا مطمئنة، فناءً فيه ودخولا في نفسه عبدا لله قام بعظمة العبد له. فلما قامه محمدا الرسول بقاءً به، وعرفه على ما عرفه محمدا رسول الله، عرفه عبدا لعبد، رجل سلم لرجل على ما كان الرسول مع الرفيق الأعلى، فوجده مع الرسول عبدا لرب، وعرفه حقا لحق، وعرفه كبيرا لكبير، وعرف أن الرب عبد، كما أن العبد رب، فعرف الله أكبر، وعرف أن الإله للإله، وأن الرب للرب، وأن العبد للعبد، أمور لله لأمور لله. فأدرك ما في حكمة الرسول من عمق بحديثه (المؤمن مرآة المؤمن)[٥].

فما كان المؤمن عبدا بحاله ومقامه، رآه فيمن يؤاخي هو مرآة قيامه في الإيمان بالله لهما، رأى حال ومقام عبوديته برؤيته لأخيه في حال ومقام عبوديته. ورآه بمرآته بأخوته لرؤية ربوبيته كذلك في رؤية أخيه في ربوبيته، وكذلك رآه في مرآة أخوته لألوهيته في رؤية أخيه في ألوهيته، ومعه رأى مؤاخيه عين مرائيه، فعرفا أن المطلق اللانهائي خلق الإنسان أزواجا، وحققه أزواجا، وصعد به في معارجه

أزواجا، وهوى به في الهاوية أزواجا. المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخالل، المؤمن مرآة أخيه إيمانا بحق أو متابعة لباطل، إيمانا بعلم أو اطمئنانا لجهل، قياما بوجود أو إمحاءً في عَلَم فناء إلى فناء، وطريق عدم في لا موجود.

إن الله في عظمته وبعظمته في مطلقه ما كان ولن يكون رائدا أو إرادة، ولكن كان وكائن ويكون بالإنسان إرادة وريادة، والإنسان في فنائه فيه فناء في إنسانه، وبقائه به بقاء بإنسانه إرادة إرادة منه، وريادة ريادة له. فالإنسان صاحب الريادة من الإنسان صاحب الإرادة في إنسان الله، ظلاله وارادة عنه لريادة جنسه، يوم يكون الإنسان إرادة الأعلى له، على ما سبق أن كان، إلى أزل.

بذلك كان الإنسان في غيبه وألوهيته بعيدا عن مجال إرادته وريادته وظهوره بخلافته. فالربوبية منه ظهوره بظلاله لإرادته وريادته، بعنوانه بمعاني رسول رحمته لحضرة ربوبيته، ظاهر غيبه وبادي حكمته بوجود لموجود عظمته، يطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى ذات عزته.

هدى بكتابه {اتقوا الله وآمنوا برسوله}[٦]، {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}[٧]، فكشف عن وجه الربوبية، وجعل من الربوبية ريادة، ورحمة، وخدمة، ونعمة، تعنون وجه الله، وعرف عن اختبار الله لعنوان إرادته النافذة، وجعل من حقية العبودية عين الربوبية لعنونته بحضرته قائمة وإليه مدانية، عنونها وقدمها لخلقه بيوتا يذكر فيها اسمه، لمعاني التخلق بخلقه، بالاتصاف به في حسن صفاته، والاتصال بمعاني اسمه وعبده بأوادمه لأصول خلقه، يبعثون برسالته لمعاني حقه رجالا لذكره. وهدانا إليهم قبلة ووجها لشهوده، إلها وغيبا لوجوده. هدانا أن نتواجدها لنا، هي في دوام بيننا لشهودنا ويقيننا بأن نكون بها ربانيين، بما كنا نعلم ونعلم عن الله ونذكرنا له، ونذكر به، وأن نتواجدها لمعانينا في معراجنا بوحدانيته لوحدانيتنا به فيه. ونصحنا أن لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله في أحديته وصمديته، إن الله من ورائنا بصمدي إحاطته محيط، وهو لنا معنا، ما تحابينا وتواددنا، وتواضعنا بعضنا للبعض، وآثرنا بعضنا على بعض، فاستقام أمرنا، فقال العبد لله منا لعبد الله بيننا أنت ربي ووجه الله لي، فقال الرب منا معلما وراعيا للعبد منا مريدا لله، وعبدا لله بإيمانه بالمثل الأعلى (لا فرق بيني وبينك)[٨]، لست غيري، ولست غيرك فلست إلا عيني، ولست إلا عينك، الله من ورائي كما هو من ورائك، والله عندي أشهده من ورائك، كما تشهده بي وعندي من ورائي، نحن وجوه لله لوجوه لله تشهد الله في إنسانية قيامه، كما تشهده في إنسانية أزله، وهكذا يبقى مشهودا لإنسانية أبده. هكذا يجيء الحق وهكذا يشهد {وقل جاء الحق وزهق الباطل}[٩]، {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد}[١٠]، {أول بيت وضع للناس}[١١] أنت، وكافة للناس أنت، (ما أعطيته فلأمتي)[١٢]، {فاتبعوني يحببكم الله}[١٣].

الله بإنسانية أزله إرادة نافذة، وهو بإنسانية غيبه على إنسانية قيامه ربوبية راعية راشدة، كما نشهده في عبودية القيام له قيادة حكيمة، ورسالة عليمة، ووجوها كريمة، بلا إله إلا الله، في قيام قائمها، وفي قيام مشهوده وشاهده بها.

بها تُبدل الأرض عنده وعند جمعه برشادهم، غير الأرض بتغيير الله لما بهم من أمر أرض قلوبهم، وقد غيروا من جانبهم ما بأنفسهم. تحيا قلوبهم فيشهدونها بدءا لجنان، ومسيرة لجنان، جنة بعد جنة، {ولمن خاف مقام ربه جنتان}[١٤]، {وجنى الجنتين دان}[١٥]...

كما يرونها نارا مبرزة، لعابديها غير مالكيها جحيما للمنكرين على معية الله لهم، وسجنا وسجينا للغاوين، وهاوية للطاغين، وفتنة للغافلين، ممن كانوا عن الله في أنفسهم ساهون، وعلى أمره بهم طاغون، ولأمره لهم مفرطون، وبأمره إليهم غير عاملين، ولحقه بينهم ومعهم منكرين، انشغالا بعبادة أنفسهم دون تعبيدها للأعلى من الأمر هو لها، لقيوم الحياة على قائمها بهم.

فالجنة والنار رأى العين يشهدون يوم يعرفون، وعن النار يزحزحون، وإلى الجنة غير بعيد يزدلفون، قطوفها دانية يجنون، أو النار هم أصحابها، لها يصطلون، ومشاقها يردون، لعلهم يصلحون يوم يجأرون، ونجدة رحمته يطلبون وينادون، فتتغلب رحمته على عدله فينقذون.

مالكم كيف تحكمون؟ أتمارون من يرون على ما يرون؟ وهل تابعتموهم فلم تروا ما يرون، ولم تجنوا ما يجنون؟ مالكم كيف تحكمون؟ أليس فيكم من رجل رشيد تحكمون، ولما قضى به تمتثلون، فوراء الخبراء بالرحمن وهم كثيرون تسيرون، وتسرون، فتعلمون وتشهدون، يوم أنكم أمثالكم تبدلون، وقد غيرتم ما بأنفسكم فغير الله ما بكم مما تشهدون، فتبدل أرض قلوبكم فتحيون، وتَشهدون وتُشهدون؟

مالكم بآيات الله من أنفسكم، كلما أبدى تجحدون؟ وكلما أبرز تكفرون؟ وكلما قارب عنها تبتعدون وعنها تُباعدون؟ أما آن لكم أن تفيقوا أيها الغافلون المستهترون؟ هُديتم أن موتوا قبل أن تموتوا، وأنتم للموت كارهون، وللموت بالحق لا تتعلمون.. هُديتم أن كونوا مع الموتى، تستيقظون، وأن الموت يقظة من منام أنتم فيه تقومون وتقيمون وتغطون، وبمعاني الحياة تحلمون.

إن الله لا يتعامل مع الحالمين بأحلام يشهدون، عن أنفسهم بها يصدرون. إن الله لا يتعامل إلا مع اليقظين، مع من صحوا من نومهم فأدركوا قيامهم بقيامتهم قائمين بالله ذكرا محدثا له لذكر قديم، يلاقون فيتلاقون، ذكرا محدثا بقائم لقيوم على جديد يقوم لقائم من صنعهم يصنعون، والله خلقهم وما يعملون، فبما خَلَقوا يعرفون عن أنفسهم في أنفسهم من خلقهم، فإليه في أنفسهم يرجعون ويتعارفون...

فمعراجا بعد معراج يجتازون، وعلى عقبات أنفسهم يتغلبون، بما يفعلون ويصنعون ويجاهدون. يشهدون أنفسهم على ما هم في قيوم عملهم بما هم على كائن يقومون، فبدءا من أنفسهم يعلمون، وانتهاءً إلى أنفسهم يتحققون.

عبادا للرحمن هونا على الأرض يمشون، بأمرهم هم بها المحيطون، ورثوها فهم لها المالكون، وأي مكان من الجنة يتبوؤون، يوم أنهم بدءا من أنفسهم تخلقوا ويتخلقون فيتواجدون، وبخلق الأعلى يشهدون وخلفه يتعالون ويتدانون، يحاكون فيتأبدون ويتأزلون.

تعالى الله عندهم عما يصف الواصفون. تخلقوا بأخلاق الله يقومها العارفون. هذا هو الحق المبين، إن كنتم بالله مؤمنين، وللحقيقة طالبين، ما شهدتم الحق من الله في رسول الله يقوم ويتقلب في الساجدين، بالحق قائمين، فعلمتم عنكم لألواح أنفسكم قارئين، أنتم لها بالله كراما كاتبين، أقلام قدرته بإرادتكم فاعلين. {ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون}[١٦]. هو الذي {أعطى كل شيء خلقه}[١٧]، وإليه ترجعون.

إن الله غناء ظاهر بإرادة، وإن الرب فيه هو الحق منه، خدمة، وسيادة، وريادة، وقيادة. وإن العبد فيه ظاهر الرب منه، قدرة وقدوة وناموس وخدمة وإيثار وريادة. وإن الخلق به في وجودهم معه بتواجدهم فيه بخالقهم وبقيومهم أحرارا وسادة. وبعيدا عن عباد الله والعبودية له، لا حرية ولا سيادة، ولا توعية ولا انقياد ولا قيادة، ولا تواجد بوجود لموجود، في وجود بزيادة، ولا رحمة ولا خلاص ولا ريادة، ولا علم ولا معلوم، ولا شيئية ولا مشيئة، ولا ريادة ولا إرادة.

(أُعلُ هُبل)[١٨]، (الله أعلى وأجل، الله مولانا ولا مولى لكم)[١٩]، فما كان هُبل عندهم ينشد له العلو! ما كان معنى هبل إلا مثل لصور الطغاة أوثانا من الجنس أعلاها الناس على أنفسهم التصاقا بها، مفرطين في كلمات الله بينهم بمحبتها بها يلتصقون، وعلى أنفسهم مطية لهم يعتلون، وبمسيرتهم إلى الحق يعلون، وفي دوام يتعالون بها لكسب الحياة من أحواضها يعملون، وظلالا لها بهم بودهم وبتواددهم يبعثون، وتواصيا بالحق، وتواصيا بالصبر في معراجها يقومون، ولها يضاعفون، وبها يدانون.

مالكم كلما ذكر الله وحده كفرتم، وإن يشرك به تؤمنون! إن الموحدين لا يذكرون إلا الله وحده مفردين.

وعلى أي صورة يذكر الله وحده؟ أالله قيام على مثال من قيامكم، أو إرادة على مثال من إرادتكم، أو ريادة على مثال من ريادتكم، أو قيادة على مثال من قيادتكم، أو سيادة على مثال من سيادتكم تذكرون! سبحان الله، وتعالى الله عما تصفون! وتعالى الله عن كل وصف تزعمون! إنكم بما أنتم على ما أنتم إنما أنتم منه وإليه منه تتواجدون وله تنسبون، وإليه ترجعون، وبه تقومون في محيط منه بكم به لا تحيطون، وفي

أنفسكم له تشهدون يوم أنكم به تحيون ومعه تتوحدون، أحد له من آحاد يرسلون لا عد ولا حصر لهم، هم به راشدون.

إذا ذكرتم الله وحده، إنما يكون بذكره وحده بذكركم أنفسكم على أي صورة كنتم، وفي أي صورة ما شاء فركبكم، فإنكم ما زلتم له، وما زلتم منه، وما زلتم إليه. بهذا يذكر الله وحده، وعلى هذه الصورة يذكر الله وحده، وتقوم المعاملة معه، وتقام الصلاة بالصلة به، لا شريك له من أنفسكم يوم أنكم به تؤمنون، قيام الحق بآحاده وإليه إليهم ترجعون، والحق له في الإنسان لا تنكرون، ولكن لا على فرد منكم دون جمعكم به تقصرون. ولا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله، فأنتم بظلام أنفسكم أربابا منكم من دون المحسنين تتخذون، وعن الله في الرب والمربوب تغفلون. فربوبيتكم لكم منكم أحرارا مخيرين، لها من الأسماء الحسنى تختارون، وبها تؤمنون، وفيها تنتظمون غير ملومين. ولكنكم بالغفلة عن الله في معاملتكم لكم تخسرون، وأنفسكم تهلكون، وأربابا من صنعها عليها تعلون، ولهم عليها تحكّمون، وعلى لاهوت الله لها معها، ناسوته بها لا تجمعون، فيقوم الناسوت باللاهوت مسيحا تقومون، وتشهدون وتشهدون، فطرة الله، وصبغته للموقنين بالموقنين، دين القيمة للمؤمنين والمسلمين.

أما أنكم تعزلون أنفسكم في قديم أو قائم أو قادم عن الله، وتذكرون الله بلفظ لا إله إلا الله، على زعم من مثال بخيال تتوهمونه، أو على صورة من أمر بوهم تتخيلونه، أو بمجهول له لواجب إدراكه على ما سوف تدركونه، وعن مشهودكم تنزهونه، وتزعمون أنكم تذكرون الله وحده وتكبرونه، بعيدا عن خلقه بالمكان تحصرونه، وبعيدا عما أبدع لنفسه تضعونه، وبعيدا عن الوجود تقيمونه، وبعيدا عن معنى التواجد تخفونه، وبعيدا عن معنى الإيجاد تعطلونه، وتزعمون أنكم تذكرون الله وحده وتعظمونه، إنكم تجردون الله مما هو له، ومما هو هو، ثم تذكرون الله وحده على صورة من عدم تتوهمونه، وبوهم الوجود الذي ترسمونه بأنفسكم تربطونه، وتعالى الله عما تصفونه، وهو الرحمن في عظمته، فاسألوا عنه الخبير به من عباد الرحمن يمشون بينكم على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون منكم قالوا سلاما، مساليهم وهم مخاطبيهم على قدر عقولهم، يذكرون الله وحده على أساس مما يعرفونه، ويقومونه.

إن الله بكل شيء يقوم، وليس كمثله شيء لأنه كل شيء، وأنت أيها الشيء لن تشهد في قصور نظرك وقصور عقلك وقصور إدراكك كل شيء. ومهما أدركت، ومهما اتسعت، ومهما تخيلت، ومهما علمت، ومهما تعلمت، فإنك لا تعلم إلا شيئا أو أشياء، ولن تقوم أو تتواجد إلا كشيء أو أشياء، فلن تحيط بكل شيء، ولو أحطت بكل شيء لأحطت بمن هو كل شيء، وكنت أنت المحيط وهو المحاط.

فإذا قيل لك ليس كمثله شيء لأنه كشيء وأشياء واسع في وجوده، مطلق في تواجده، وأنت لم تشاركه صفة الإطلاق، حتى تدرك بمعنى الإطلاق ما يكون الإطلاق، وكيف يحيط الإطلاق

بالتقييد، وإذا عرفت نسبية الإطلاق، بإطلاق لإطلاق، عرفت أن الإطلاق في دائرة الإطلاق إنما هو تقييد، وإذا كان الإطلاق في دائرة أوسع تقييدا، فهو شيء وليس هو كل شيء، ولا يوصف بالإطلاق المطلق من كان إطلاقه في دائرة إطلاق.

فإذا عرفت أن الإنسان بصفاته وإمكانياته وقدراته، وعلمه ووعيه بذاتيته جمعا مهما تعدد، وبذاتيته في إطلاقه أحدية محيطة بالروح مهما توحد، فما زال أدنى لأعلى، وما زال الأعلى له أدنى لأعلى، في أعلى له في ذي المعارج.

فإذا عرفت ذلك كما جاءت به رسالة الفطرة، وأشهدته قوانين الفطرة، وأعلمته عقول الفطرة بمعلوم الفطرة، وأحكمته حكمة الفطرة، وقامه وبلَّغه وأشهده رسول الفطرة، من عينه في قائم الفطرة، وإنسان الفطرة، وآدم الفطرة، قام به وأبرزه بذاته شيئا، وبمعناه إنسان الفطرة روحا منطلقا محيطا، روح قدس ذاته لأعظم وأقدس في لا نهائي مطلق، عرفت شرف وحقية العبد في مطلق الله ذاتا وروحا.

وقد عرفه محمد لذاته عبدا لرفيق أعلى، ولروحه روحا لروح أعظم لروح القدس لمعناها لها ربا، كما عرفه من الأعلى عليه بمعناه إلى الأدنى منه لمعناه رسولا. عرف الأعلى مدركا في إدراكه لنفسه في كوثرها بتكاثرها، بعين مبناها ومعناها لعينها وأناها آلها وإلها. فعرفه للأعلى هو له مظهرا واسما، في قيامه به قياما وعلما، به قام، وبه شَهد وشُهد، فعرفه لنفسه حقا، وللإنسان لإنسان الغيب في واسع إطلاقه إطلاقا، وللغيب بالشهادة له إحاطة، وللغيب في القيام لقائمه معنى.

قام محمد في دائرة ومجال وجوده بحقه، وعمل في مجال ودائرة رسالته بقائم ودائم إرساله في دائم الخلق لموجوده أبدا، من دائم الإنسان بالحق لقديمه أزلا، فرآه بمعناه لمبناه في أكبر منه آمن به، هو له في واسع وجوده وجودا، كما رآه في أكبر منه معنى، هو منه له معنى، فعرف عن الله في معروفه عنه بما عرف عن نفسه ذاتا وروحا، فعرَّف عن الله معروفا له في معرفته عنه، كتابا وحجابا. وعرَّفه للناس، عَرفَه لهم، على ما هو له، فعرَّفهم عنهم، وتعامل معه فيه، على ما عرفه فيه وعرفه لهم، فكشف أمر ربه فيه وفي الناس، يوم رأى وجوب طاعتهم منه، فرده الأعلى له راعيا، وعلى الناس له مؤثرا معليا، {ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا}[٢٠]، {اصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}[٢١]، (تواضع أرضا أرضا، ترفع سماءً سماءً)[٢٢]، {آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم}[٢٣]، {وكان فضل الله عليك عظيما}[٢٤]، {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما}[٢٥]، {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}[٢٦] فاستجاب لأمر ربه {واستقم كما أمِرت}[٢٧]، فأثنى عليه الأعلى ثناءً منه على نفسه {وإنك لعلى خلق عظيم}[٢٨].

لقد كشف رسول الله، وكشف الله معه، وكشف الله به قضايا الأزل للإنسان، وقضايا الأبد له، وقضايا القيام حقا وخلقا، وخلقا وحقا، في أدب التخلق بأخلاق الله بالتخلق بأخلاق رسول الله. كما كشف عن أدب السلوك في شهود وجوه الله بأوادمه، بشهود آدم لله وجها لله يوم أشهر وأم بما أشهر عن أمر اتخاذ أوادم الأزل من الرسول قبلة لهم إلى الأبد، وأمر طالبي الحياة من أوادم القيام إلى أبد أن يتخذوا منه قبلتهم إلى إنسانية الأزل. {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما}[٢٩]، (ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان)[٣٠].

بذلك عرفنا أن إنسان آدم أمر لله، يشهده ملأ من كلمات الله منه إليه، ملائكة لقدسه بعباد الله لإنسانية الرشاد لظهوره من كنزية تنزيهه وغيبه، حقائق من حقائق الله من العالين، هم للأعلى فالأعلى رفاق للرفيق الأعلى وأهل حضرته، أخلَّاء آدم لآدم، وإنسان لإنسان، بالله مؤمنين، أو هم كلمات تمت لله منه إليه لله يسجدون إلى قبلته بإنسان حضرتهم، هو أصل وجودهم به يحيون، وله يحيون، وهو يحييهم بدوره بتواضعه لهم، لما يرى من إحاطة ربه من ورائهم بعينه له، فيرد تحيتهم إليهم لا فرق بيني وبينكم، أنتم مني وأنا منكم، يحييهم بأحسن من تحيتهم بوصفهم وجوه الله ورسله إليه، على ما هو وجه ورسول الله إليهم، فيأنس لله أمام وجهه لمعاني وجوههم، وهم أمام وجه الله به لهم يأنسون، رائيا بهم مزيدا من أمر الله وحكمته إليه ومزيدا به يرون، فيمتثل لأمره يراه في حاجتهم لما عنده، فيصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، ليرى وجه الله بهم وقد علم أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، فيخفض لهم جناح الذل من الرحمة، تخلقا بأخلاق ربه، صابرا نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، لا تعدو عيناه عنهم إلى من جعلهم الله زينة الحياة الدنيا، حتى تتم لهم معانيهم بكلمة تامة لله، يشهدها ويأنس بها وجها للأعلى، هو به محيط، لا يشهده إلا في شهوده لنفسه في حال قيامها به، دون رؤيتها لها.

وهنا يقول عيسى بن مريم عليه السلام، وهو جديد الإنسان من قديمه له، ما اتخذ صاحبة ولا ولدا، ولكن بالاصطفاء والامتداد بالنور للتكاثر بالذات والصفات تواجده، وهو كلمة الله من كلمات الله لروح قدس الله، وآدم من أوادم الله، وروح قدس لله من أرواح، قدس لله، (أنا كائن قبل آدم)[٣١]. لقد تعارف آدم إليه في قديم، في تمامه لمعناه كلمة لله، برؤيته له وجها لله، يوم توفي إلى تمامه، كلمة تمت لله، فكانت وجها لله، يوم اجتباه الأعلى إليه، وخلفه عنه.. ويقول محمد في هذا المقام كنت نبيا وآدم بين الماء والطين.

هذا كان، وهو في قائم كائن، وفي قابل يكون. (لا تقوم الساعة إلا ويظهر على الأرض آدم)[٣٢]، فها أنا لكم النبي، وكلمة الله، وروح القدس له، وآدم بين الماء والطين. لقد تواجد في قديم وبعث بالحق

فكان الرفيق الأعلى لي نسيه بموصوف الخلق، وسوف يتواجد آدم مني ليراني حقا، وليرى فيَّ وجه الحق إليه، ولا يرى وصف الخلق لي، ولقد تواجدت فيه إنسانا لإنسان لأشهد فيه وجه الحق إليَّ يوم أظهرني ربي على الدين كله، وها أنا بدوري أتواجد آدم لكم تشهدون فيَّ وجه الحق لكم بينكم رسولا من أنفسكم. وها أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وبذلك فإني أشهد وجه الحق فيمن تخلق بأخلاق الله، على ما تخلقت بأخلاق الله، فأشهدكم وجهه، وتشهدوني حقه لأنفسكم رحمة مهداة، بقيامي لشهودكم فيكم حقا بينكم ووجها له.

(من رآني فقد رآني حقا)[٣٣]، وهو الذي يشهدكم ليشهدكم وجهه وحقه من خلالي، من ورائي بإحاطته، فهو الذي ينظركم من خلالي. (إن الله ينظر إلى قوم كفاتا وينظر إلى أقوام من قلوب قوم آخرين)[٣٤]. هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[٣٥]. هكذا كان وهكذا في قادم يكون، وهو في قيام كائن، قبل آدم مائة ألف آدم، وكذلك بعد آدم مئات الألوف من الأوادم، ولن تشهدوا ذلك لكم إلا بما هو لي هدية لكم، يوم تؤمنون بالله من ورائكم بإحاطته، على ما تؤمنون به لي فتشهدوني به لكم.

إن الأعلى من إنسانية الحق إلى أزل هو ما عناه الرسول لمعناه، ربا له ورفيقا أعلى لمحمده. لا ينظر الأدنى قوما لمحمدهم إلى أبد، إلا من خلال محمد له ولهم. فمن خلاله يشهدهم عبادَه، ويُشهدهم إياه وجه ربهم، وربا لهم. ومن خلالهم ومن إحاطته بهم من ورائهم وجوها له، يشهده محمد، فبه يأنس ويسعد، {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}[٣٦].

فإذا كانت الملائكة من ملأ آدم سجدوا لآدم طائعا طائعين، فإن آدم بدوره سجد لملائكة الأعلى، ملائكة لربه، وكلمات منه، هي حقائق ووجوه ربه، وظلالا له، وقد رآها وجه الأعلى من إحاطة ربه به، من ورائها نظر إليه فسجد سجودا بسجود، ووجودا لوجود، وشهودا لشهود، وحقا لحق. بذلك كان آدم خليل الرحمن وحبيب الرحمن، كما دعي بالخلة إبراهيم، وقامها محمد، والله من ورائهم محيط، وجه الأزل لوجه الأبد بالإنسان للإنسان في الإنسان لله. {وإذ أخذنا من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدتهم على أنفسهم ألست بربكم، قالوا بلى}[٣٧]، (من صلح أصلحنا له من صلح من آبائه وأزواجه وذرياته)[٣٨] (موتوا قبل أن تموتوا)[٣٩]، وهذه هي الدورة الخالدة للحق والحياة في الدورة الخالدة للخلق والتواجد.

قامت الدورة الخالدة للحق والخلق بلا إله إلا الله شعار القيام بالحياة، كما قامت بالله أكبر شعار العروج في معارج الحياة، يوم نشهدنا في حضرة الإيمان واليقين بالله ورسوله أوادم أنفسنا، بمحمد رسول الله قائم الحق من الله، وحقية العبد فيه، والوجه لله، والاسم لله، قائد الأحياء في معراج الحياة إلى الأقدس والأعلى في الحي القيوم.

بالله عرفناه، وبه عرفنا الله، فشهدنا بالله محمدا رسول الله، وشهدنا برسول الله لمعنانا لا إله إلا الله، فعرفنا أن الله أكبر، والله أكبر، لمعاني الحي القيوم، في إعلامه بالإنسان في مراقيه للانهائيه. وهو ما قامه كل مؤسس لمدرسة للحقيقة، ويقومه كل مؤسس لمدرسة لها، دوام الرسول ودوام الرسالة. فالمحمدية في الله قضية فيه كقضية آدم فيه، وأمر الكلمات له، والكلمات إليه.

فإلى شهادة أنه لا إله إلا الله تصير الكائنات والأشياء خروجا من عدم إلى وجود، قيامةً بالحياة. فبقيوم لا إله إلا الله لقائمها تبدأ الحياة. وبالحياة تقوم تهيأ الطريق لشهادة حقية رسول الله، إليه قيوما، وحقية رسول الله به قائما، يوم يصحو العقل إلى أنه لا بد وأن يكون هناك من سبقه إلى قيام بها، وأنه لا بد وأن يلحقه لاحق إلى قيام بها...

فيحن للقاء من سبقه إليها. ويرق لمساندة من صلح للحاقه بها. فتستعد نفسه للنزول إلى وضع الأمر الوسط بين الأمرين لله، فيسفر له المحيط به من الأعلى من أمر الله، وينكشف لناظره الأدنى في دائرة إحاطته من أمر الله.

فبذلك يقوم بوصفه حقا ورسولا للأعلى إلى الأدنى، فيشهده محمدا رسول الله، فيستكمل شهادته لحقائق الله بشهوده محمدا رسول الله لنفسه، إلى شهوده للا إله إلا الله لرسول الله هو لها.

ومن الشهادتين تبدأ شهادته لله أكبر، بها يكتب كتاب وجوده لأناه، وينطق بلاغ حِكَمَته لمن يرعاه، ويقرأ في مكث إنجيل بيانه لمن والاه، ويقلب ويشرح صحائف صدره بمحيط وعيه لمن تولاه.

اللهم بين الشهادتين يدي رحمتك فأحينا.

اللهم بالشهادتين حقائق نعمتك فأقمنا وتولَنا.

اللهم بهما فاجعل منا وجوه طلعتك، وأوادم خليقتك، وكلمات إحاطتك.

اللهم بهما فارحمنا.. اللهم بهما فتولَنا.. اللهم بهما فارعنا.. اللهم بهما نفذ بزمامنا ونواصينا إلى الخير، وقنا شرور أنفسنا وشرور الأشرار من خلقك.

اللهم بهما فارفع مقتك وغضبك عنا، وأنزل سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، وولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا، وعاملنا بعفوك ورحمتك، وأقلنا من عدلك وغضبتك.

اللهم إنك على ما آمنا، وعلى ما صَدَّقنا، وعلى ما بُلغنا، نعلم أنك تمسك السماوات والأرض أن تزولا قيام أنفسنا بقائمك بنا، اللهم لا تترك يدا رحمتك تتخلى عن السماوات والأرض لقيامنا بمعانينا، لتزولا

عنا بقضاء عدلك، ولكن تولَنا وتولَها لنا بفضل رحمتك، وعفوك، واجمع بين سكانها بمشيئتك وإرادتك، جمعا لشتات إنسانك، وبعث وقيامة رحمانك، وكشف وتعريف سلطانك.

لا إله غيرك ولا معبود سواك.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الأعراف - ١٦٠ , سورة البقرة - ٥٧

٢ فاطر - ٣٧

٣ سورة النازعات - ١٢

٤ هذه الكلمة مكتوبة في النسخة ال pdf المنشورة "الصادين. وصوبناها بالرجوع للنسخة الأصلية بخط السيد رافع.

٥ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفَّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه.". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني

٦ سورة الحديد - ٢٨

٧ سورة الأحزاب - ٦

٨ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٩ سورة الإسراء - ٨١

١٠ سورة الأنبياء - ٣٤

١١ سورة آل عمران -٩٦

١٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

١٣ سورة آل عمران - ٣١

١٤ سورة الرحمن - ٤٦

١٥ سورة الرحمن - ٥٤

١٦ سورة القلم - ١:٢

١٧ سورة طه - ٥٠

١٨ من شعر ألقاه أبو سفيان في معركة أحد، بعد أن قالَ: يَوْمٌ بيَوم بَدْرٍ، والحَرْبُ سِجَالٌ، إنَّكُمْ سَتَجِدُونَ في القَوْمِ مُثْلَةً، لَمْ آمُرْ بهَا، ولَمْ تَسُؤْنِي، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ: أُعْلُ هُبَلْ، أُعْلُ هُبَلْ. صحيح البخاري.

١٩ الدعاء الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين في معركة أحد، حين قال أبو سفيان: " أَعْلُ هُبَلْ، أُعْلُ هُبَلْ". ف قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أَلَا تُجِيبُوا له؟ قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، ما نَقُولُ؟ قالَ: قُولوا: اللَّهُ أَعْلَى وأَجَلُّ، قالَ: إنَّ لَنَا العُزَّى ولَا عُزَّى لَكُمْ. فَقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أَلَا تُجِيبُوا له؟ قالَ: قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، ما نَقُولُ؟ قالَ: قُولوا: اللَّهُ مَوْلَانَا، ولَا مَوْلَى لَكُمْ. صحيح البخاري.

٢٠ سورة الكهف - ٢٨

٢١ سورة النحل - ١٢٨:١٢٧

٢٢ حديث شريف ذات صلة: "من تواضع لله درجة يرفعه الله درجة حتى يجعله في أعلى عليين ومن تكبر على الله درجة يضعه الله درجة حتى يجعله في أسفل سافلين." رواه ابن ماجه، وابن حبان.

٢٣ سورة الحجر - ٨٧

٢٤ سورة النساء - ١١٣

٢٥ سورة النساء - ٦٥

٢٦ سورة الأحزاب - ٦

٢٧ سورة الشورى - ١٥

٢٨ سورة القلم - ٤

٢٩ سورة الأحزاب - ٥٦

٣٠ عبارة صوفية متناغمة مع الآيات الشريفة التي جاء فيه أن الإنسان هو خليفة الله في الأرض.

٣١ حديث شريف ذات صلة: أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم "قالوا: يا رسول الله، متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد." أخرجه الترمذي، وأحمد بلفظ مقارب، والحديث الشريف "إنِّي عندَ اللهِ مكتوبٌ خاتمُ النَّبيِّنَ، وإنَّ آدمَ لمنجَدلٌ في طينتِه.." أخرجه أحمد وابن حبان باختلاف يسير.

٣٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٣٣ إشارة إلى الحديث الشريف: مَن رآني فقَدْ رأَى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُني." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآني في المَنامِ فقَدْ رآني، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

٣٤ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٣٥ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩"

٣٦ سورة النحل - ١٢٨

٣٧ سورة الأعراف - ١٧٢

٣٨ استلهاما من {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ.} سورة الرعد – ٢٣. و{رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.} سورة غافر - ٨

٣٩ حديث شريف. المحدث: الزرقاني، ولكن لم يثبت سنده، ويوافق الحديث الشريف: "كُنْ في الدَّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ وعُدَّ نفسَك في الموتَى". أخرجه البخاري.

(١٤)

شمس الوجود وعلميتها
على شمس الحياة لإنسان طلعتها
هو الحي في الساجدين، القيوم بالقيمة بالعارفين

حديث الجمعة

٢٦ جمادى الأولى ١٣٨٤ هـ - ٢ أكتوبر ١٩٦٤ م

أعوذ بالقيوم، على قائمي لأناي، رب الناس، ملك الناس، إله الناس، وأستعين بالقيوم على قائمه لأناه، رب العالمين، مالك يوم الدين.

وأومن بالأقرب إليَّ من حبل الوريد، من لا يحاط به وهو المحيط، من لا يقوم عليه قائم، وهو القائم على كل قيوم وقائم، لمعاني الوجه له.

أعرفه وأومنه، لا غيره إليه، فالكل له، ولا عينه منه، فلا بعض ولا تبعيض له. فلا غيره إليه تعاليا فيه، وعرفانا به، وانقيادا إليه، فلا علو ولا سفل له. ولا غيره منه، فلا غير له، لمن قام منه. ولا كله لعينٍ لوجهه، لمن كان منه، معرفا عنه، خبيرا به، فلا شريك له، ولا كفء له.

لا غيره بوجود، في موجوده، ولا غيره في شهود، يوم شهوده.

إليه تصير الأمور بلا مشاركة في أمره. وعنه تصدر الأمور بلا تعدد لأمره. لا يُعرف بأمره، إلا لأمره، يوم يكون الإنسان أمره.

لا إله إلا هو، منه التواجد، وإليه المصير. فهو الحياة والوجود، ومنه الحياة ومنه الوجود. ولا شريك له بحياة ولا شريك له بوجود.

في دائرة الروح، وبأمر الروح، وبالروح، يقوم الكائن الحي ظلا لظلال الكائنات حية، كما يتواجد الشيء الحي ظلا لظلال الأشياء حية، كما يبعث الإنسان الحي ظلا لظلال الإنسان حيا، قياما وبدءا من عالم النشأة من أي أرض أو من هذه الأرض، لموالد الفطرة بها، هيكل إنسان هو نبات الأرض

لقابل من الحيوان الإنساني، دابة الأرض وبهيمة الأنعام، ومطية الإنسان، هياكل وأقدام الحياة، لكائن الحياة، لإنسان الحياة، هو جماع الأرض وما عليها، وما حولها، من يقوم بجماعنا لأمر يصح أن يدرك لنا، يوم ندرك أننا ظلال لكائن حي، جابه شمس الحياة، وعرف علميته عليه في شمس الوجود، لشمس الحقيقة، يوم سقطت عنه الأوزار، وتحررت منه الأرواح هو لها جماع، فلا وزر بسافر فتق، ولا تعدد في قائم رتق. بعد أن جمع الشمس والقمر قاب قوسين أو أدنى، كما كان في العرجون القديم للقمر مواقيت للناس في سلوكهم وحجهم في مواجهة حقهم بلقائهم لأحسن تقويم جُعلت الشمس عليه دليلا.

فيوم تستيقظ الظلال من نومها في أسرَّة هياكلها إلى معنى الظل لمبناها لمبنى، والظل لمعناها لمعنى لمن هو كائن أكبر عُرف بمعناه لمعناها، وبمبناه لمبناها، يوم عرفتها وقد آواها ظلا لمعناه ومبناه، فارتدت إلى أحضان كائنها لكائنه بها مبنى ومعنى، فشهدت مشهده من شمس الوجود لمبناها، ومن شمس الحياة لمعناها، فبها فيها عنها لها عرفته، وبه عرفت معروفه عن شمس الحياة، وشهدتها شهادته لها، في دلالتها له عليه في مرآة وجوده، حقيقة متبادلة بينهما، فعرفتها معه خليل الرحمن، حبيب الرحمن، وعرفته لأعلى على ما عرفتها له خليل الرحمن، حبيب الرحمن، بدأت من مادي هيكل الحياة لها إلى غيبها بهياكلها لها، {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}[1].

وبشمس الحياة مشرقة كسبت النفس البشرية الدفء وملكت لها جذوة الحياة مشعلة، فياضة بنورها. وكسبت مضاعفة الحياة ومعارجها، يوم نبض القلب بالحياة، وترنم الحس بالحياة، ففاضت الحياة من نبع حسها، وبيت ذكرها، لاسم تواجدها، وقد اهتز القلب نابضا بالحياة رابيا بها، لفردوس ذاته وساحة قدسه بيت قبلة ومن يذكر فيه، وساحة رحمة لطائفيه ومستقبليه...

فأشرق العقل بنور الحياة من شمسها، وأمحى ظلامه، وقامت قيامته، فطاف بالبيت ودخله، وأحاط بالغيط وحرثه، واستوى إلى أرض مزرعته، وأدرك أحاسيس أرباب البيوت بقيام صفاتها لصفاته، فترنم البيت وأهله بالحياة، يوم انعكس البصر في البصيرة، فبعثت البصيرة بالحياة لجوارحه وخلاياه، فأدرك محيطا بأرض الحياة عن قيامة ومعارج الحياة لقلبه، فعبَّر عن بيت حسها، ترنما بقالبه لعقله، بما أدرك عنه، معنى محيطا له، بإحاطته بقلبه المحيط بذاته، معلما عنه كتاب معناه، مقدرا له، مُعلما به، حق قيامه، وغيب هياكله، بالمؤمنين من قومه وبيئته، فهو بيئة خلته وجمعه لاجتماعه.

بذلك كان للقلب حديث، هو حديث الحياة، وحديث كائنها، حديثا من أهله لأهلها، جمعهم رباط الحب والعاطفة، فكان حديث القلب هو حديث رسول الله الدائم، لقائم الحياة وكائنها لمشروعها الأبدي، فهو معنى الحب والرحمة في الله أزلا وأبدا، هي من الخالق للخلق، ما تواجد له بقدرته خلق،

وما قام الخلق بفطرتهم في إيمان بالله ورسوله، إنكارا على أنفسهم بصلاح قيام لدوام، رادين قيامهم لله ورسوله للقائم والقيوم، كلما قاموا في معارج الحياة بقائم لها أو بقيوم بها.

أما حديث العقل طليقا عتيقا، ووحدة البداية ووحدة الغاية، ووحدة المرجو للنهاية للقلب والقالب محيطا أو محاطا، فهو حديث الحق من الله، يتحدث باسمه محييا، قيوما بإحاطته بمقيد أرض الحياة هو عليها قائم، وبمعاني الحياة، وبصبغة الحياة عارف معلم مفيض.

فحديث القلب فيض بالحياة والرحمة والحب والحنان من رب الناس ملك الناس إله الناس، وحديث العقل بلاغ وهدى وعلم من فيض رب العالمين في قائم الوجود، بذات الإنسان لله، بقائمه رسولا له منه إليه، أمرا وسطا لله، في لا نهائي وجوده، ولا نهائي تواجده.

وما اختلف حديث القلب عن حديث العقل، أو اختلف حديث العقل عن حديث القلب، يوم حيا القلب وأشرق العقل بمعاني الحياة. وما انقطع حديث الرسول بقلب حي إلى قلوب حية أو تحيا، وما انقطع حديث حق الله بعقل مشرق لعقول مشرقة، أو متقبلة للإشراق، على هذه الأرض وفي عوالم الروح، يوم ندرك ما في قوله تعالى {ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر[٢]، لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا[٣]}.

إن الله هو الناطق في العقول المشرقة مواصلا هديه ببلاغه، وإن الرسول هو المتحدث المواصل للبيان في القلوب المترنمة بالحياة، المتذوقة لكلمات الله. فالحب الإلهي من فعل القلوب، ولا يقوم إلا مع إنسان الله الظاهر برسول الله وظلا له من الروح والناس، ولا ترتبط القلوب إلا بتوفيق الله وتيسيره وفعله بها {وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم}[٤].

فإذا ما اجتمع القلب الحي على العقل المشرق في الإنسان الواحد، فقد اجتمع القيوم على القائم، وتوحد القيام فيمن ليس كمثله شيء، فبعث الهيكل بحق القلب وانطلق وعتق العقل، فكانت قيامة، فظهر الإنسان ظهورا لمن ليس كمثله شيء، (ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان)[٥]، بيتا يرفع أو بيتا يوضع.

سُئل ابن مريم يوما: يا معلم.. من يكون الإنسان الذي تعنيه لأبوتك يا كلمة الله؟ فأجاب: الإنسان الذي أعني، هو الله. أما كائنه بآدمه من أرض أديمه، لشجرة نشأته، لدوام ظهوره بتواجده لوجوده، بدءا من نبات مزرعته، وثمرة حرثه، ونهاية غرسه، فذلك هو جلباب ظهوره لسفوره بوجوده لعيانه وشهوده، وما شُهد إلا لمعانيه، يوم أنك تعنيه، في قائم معناه لجامع مبناه ببشريته بجماعها لوحدته، حبا لربه وخالقه ومبديه في الاجتماع على حقه بالتواصي بالحق له وبالحق منه وبالحق فيه، بيتا لله جامعا

لأسمائه وصفاته ومعانيه، يقام باجتماع لبناته ليحل الحق فيه، بقائم من مبانيه غرفا من قلوب أحفاده وبنيه لذكر الله بها لطالبيه. تتواجد بالحب والغيرية والإيثار بمن يصطفيه، وإلى عَلِيٍّ يرتضيه، حقيقة تتواضع فتوضع له فيه، وبه تتنزه وتُسعد، وفيه تسرح وتسبح فتشرق به، تداني وتصعد.

بيوت ترفع يذكر فيها اسمه، ثم تتواضع فتوضع يذكر فيها اسمه. ما عُرف حق الله إلا في بيوت مرفوعة، وما تعارف إلا لبيوت موضوعة. وما عُرف في بيوت موضوعة إلا لبيوت مرفوعة، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، عز على المنال إلا بإرادته، وعز على المثال إلا بتجليه بطلعته، وجوه لوجوه، وحقائق لحقائق.

هكذا تتحدث إلينا الروح بكل روح، والرسل بكل رسالة، رفع بعضها فوق بعض درجات، باطنا لظاهر بمرفوع عنونه موضوع، بعضها فوق بعض في دوائرها لعوالمها، درجات مسحت في بعضها البعض، فلا درجات قائمة بواحديتها لأحديتها، قياما به وقياما فيه، وقياما له فيمن لا يفرق بين الدرجات بصلته ومعاملته بصفاته لذاته، ولا يعرف التبعيض لشأنه، ولا يعرف الفوقية في مطلقه لأنه لا يعرف التحتية لمقيده، ولا يعترف إلا بأحده لقيومه، والوحدانية له بقائمه، عند معروف أمره له، يعرفه له عين من عرف وعين من يطلب ليعرف، ويشرفه عين من به شَرف. العلم ساحته.. والحقيقة حضرته.. والحياة وجوده.. والوجود شهوده.

الإنسان في الله نبيء لا نهائيه إلى مقيده يوم يعلم، وإمام لانهائي وجوده إلى لا نهائي تواجده لشهوده يوم يستقيم، استقامة طريقه باستقامته في طلبه له فيه محيطا به لا يتناهى اتساعه في سعته، باستقامة إيمانه به إيمانا بالأعلى، لخلقه وحبه في اعتقاده بمجيئه منه حالا ومآلا، جديدا لإنسان نشأته لآزال الإنسان لا بدء له، إلى تواجد الإنسان لا انتهاء له، في قيام بالإنسان لا انقضاء له، مستقبلا منه وإليه لعطاء لا جز له، فلا نهاية لتعاليه، به فيه، ولا توقف لجديده لتدانيه بمعانيه بجديد لمبانيه.

الإنسان آدم موجوده، وآدم مشهوده، وآدم تواجده، وآدم خلوده، وآدم آزاله لعين وجوده، وآدم آباده لدوام تواجده.

الإنسان.. وما أدراك ما الإنسان! كيف عرفه العنوان للرحمن؟ عرفه يوم وجده يوما لله لأيام لله، يوم صار إنسانا وعنوانا لإنسان، وعنونه منه إنسان، عند من يطلب ويرجو أن يكون إنسانا، بشرا تخلص من نفسه من دواب الأرض، فعنون الرحمة، وعنون الرحمن، حقية العبد، لعبودية الرب، لألوهية الإنسان، في لا نهائي معناه، للانهائي وجوده، بلانهائي تواجده، بمبناه وبمعناه، في الوجود اللانهائي حقا وخلقا.

هكذا تقوم الروح اليوم معارفها في عصر رسالتها، سافرة بمقامها الإنساني وبإنسانية ملائكته له، من إرادته بكلماته منه، مزوية لها الأرض والسماوات، مجددة ما سبق أن قدمت برسالات النبوة والحكمة، على تعاقب في أزمان، وعلى افتراق في بلدان، وعلى اتحاد في حديث من عنوان عن عنوان، بإنسان عن إنسان لإنسان.

أمر تجدده رسالة الروح اليوم، فتجدد رسالة الفطرة، وتجدد رسالة الإسلام، وتجدد رسالة رسول الله، بذاته وروحه، وظلاله بأوادمه لمعنى أمة قيامه ودوامه...

فتجدد برسالتها رسالة الله لرسل الله على اجتماع وعلى اتصال بلا انقطاع، فتجدد بذلك رسالة محمد الله، وآدم أوادم الله، وإنسان إنسانية الله، ويد قدرة الله، وكلمة الله لكلمات الله، وروح قدس الله لأرواح قدس الله، وقبس نور الله لأقباس نور الله. الذين يبايعونه إنما يبايعون الله، والذين يتعرضون لرميته مجاهدا، إنما يتعرضون لرمية لله وغضبة الله. والذين يتعرضون لرحمة الله به تحت سماء وجودهم فيه، مستظلين بإنسانه عرش إنسان ربوبيتهم، يعلمون أنه الحق من ربهم، الحق من القيوم على قائمه، بعين قائمه إنسانا عاليا، وربا راعيا، ورحمة للعالمين مدانيا، كفر عنهم سيئاتهم شفيعا، وأصلح بالهم حصنا منيعا. الروح قيامه ومعناه.. والروح ربه ومولاه.. والروح أمته ومن ولاه.

يقوم ويتقلب في الساجدين، قياما بالعارفين، تدانيا للمخلصين، كلمات لله، وبيوتا توضع لكوثر مبناه بمسيحي الإنسان لمعناه، كتبا لله بأوادم خلق الله، صديقا في الصادقين، فارقا في الفارقين المفرقين بين الحق والباطل غير مفرطين، وبأمرهم أمرا لأمر لله قائمين، ولأمر الله لأمرهم مستجيبين، ولكسب أمرهم أمرا منه، ربا لهم عاملين، مجاهدين، ساعين، متقين، خاشعين، خائفين، قائمين، راكعين، ساجدين، عن ذكر الله أقرب إليهم من حبل الوريد غير غافلين، معه متعاملين، غير وانين، أو مستهترين، في أنفسهم وفي الناس أجمعين، مؤمنين بأن الله قائم على كل نفس كما جاء في كل دين، وكما قام عند كل صاحب يقين.

فمن تحقق له ذلك بدا به للمحبين، الموفقين، العاشقين، الذين هم معه للحقيقة على ما عرف وعرفوا لقائمها متبادلين، وفي وحدانية الله متوحدين غير مكذبين، ولا هم من روح الله يائسين، ولا لقبلة الله بالإنسان مظاهرين، ولا لأهل بيت الله حقائق الله قائمة عاملة مخاصمين، ولا هم عليهم وجوها له منكرين، بل وجوها لوجوه لله هم لهم مشاهدين، ومنهم مشهودين، ومن أنوار الله بهم من ورائهم بإحاطته نورا على نور مستقبلين، ونورا على نور مستمدين، أحواض الحياة هم، وهم لها واردين، ولحظهم منها كاسبين، ولهبات الله متفتحين غير كاندين ولا نكدين، ومثاليتهم لأنفسهم بالمؤمنين بين طالبين ومحققين.

تعالى الله عندهم عما يصف الجهلاء من الواصفين، إنما هو موصوف قيامهم كتابا عنه، عبادا ساجدين. حقية العبد لهم، هم لها، وبها قائمين، وبقيامها فرحين، وعن فردوس أنفسهم لمعاني أناهم، حولا عنها وعبادا له، لا يبغون، ولا يتحولون. وعن ذكر الله معهم لا يفترون، وهم عندهم دوام قيام لقائم ذكره كما يعلمون، فإذا ذكروه فإنما هم به معيتهم يذكرون، ولأنفسهم ذاكرين ومذكرين، يذكرون الله وحده عابدين، ويذكِرون بالله وحده مؤمنين.

هم على الناس الأعلون، ولا يتعالون، وبالله لله يتواضعون، ومعه يتعاملون، ولوجوه الله بالناس يشهدون، وبالله من وراء الكل يؤمنون، به لا يحيطون، ومنه هم المحاطون، وبعينه يشهدون، وبفضله يصبرون، وبحكمته يحكمون، وبإرادته يفعلون، ومن عزته يعتزون، وبعزتهم منه يتسامحون ويتسعون، وبالحلم والسعة يتحلون.

أطفال الحياة يقومون ويقتدون، ورجال الله يعلمون ويعلّمون، وحكماء الله بحكمته يتبعون ويتبعون. إنهم جميعا في الله لا يفترقون. وبما نسميه الأوطان تفرق بين الخلق هم الواحد المعنوي لا يفترقون. فتولستوي، وحاتم (طي)، وغاندي، والإيادي (قس ابن ساعدة) وطنطاوي، وبيكون، ولنكولن، وخالد (بن الوليد)، ونهرو، وراسل، لا يفترقون ولا يختلفون، ولا يفترون.

إنهم جميعا بلسان الحق ينطقون، ولمرضاته يعملون، وفي حضرته لحضرة أنفسهم من حضرته يَشهَدون ويُشهِدون، وبوحدانيته يقومون، فبوحدانيتهم يعملون، ومن كتاب علمه عنه، بعلمهم عنهم، يتكلمون. وبعلمهم عنهم يقومون ويظهرون، ويمتدون وينتشرون. فهم ظلال الكائن، كانوه به فيه، بهم لهم، يتكونون ويتجددون، وظلالا له يتكاثرون.

والكائن بشمسه كان شمس الحياة، لموجودكم تعمهون، أنتم له تعمهون. هوى إلى أرضكم رسول من أنفسكم بشرا خالدا بينكم، وما تشعرون. حمل اليكم البلاغ على ما بلغتم لتعلموا، وعلى ما علم منكم عالمون به، بهم تتعلَّمون، فما لبلاغ استقبلتم، ولا لبيان تفتحتم، ولا لمثل بينكم قبلتم، ووراء كل مَريد من طاغية تابعتم وخنعتم، وعن كل مجاهد صادق تخليتم. أنفسكم ظلمتم، ولها ما أحسنتم، بل حيوانا عرفتم، وحيوانا أطعتم، وحيوانا نفقتم.

فما كان الحق جاءكم هو وأهله، إلا شموس سماء العلا، وأنتم تجهلون وتتجاهلون ولا تقبلون، وتردون أحواضهم ولا تغترفون، وهم نور الله لحياتكم مشعلا، إطفاءه تحاولون. وهم شمس الحياة في سمتها تعمهون. تغذيكم بالحياة وأنتم عليها تتطاولون. إن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس لو

تعلمون. فما الناس إلا نواة لوجود واحد كبير لحق هم فيه حروف عاليات، في كتاب وجوده لوجودهم، لو تدركون أو تعلمون، هم لمن زويت له الأرض، فكانت بيتا يذكر فيه اسم العلي العظيم.

فما كان محمد وآله إلا قديم الحق وجديد الناس لقادم لهم في أحسن تقويم، شموسا بباطنهم، وأوادم ونصبا وقبلة للمصلين، وبيوتا للعاكفين، أما الناس فهم ظلال لمعوج من أمر، أو ظلال لمستقيم من أمر لولدي آدم بالحق على ما تقومون وعلى ما تشهدون، ومحمد وآله هم لكم نور الحياة الذي في أنفسكم تطفئون. وكيف يستقيم الظل والعود أعوج، على ما تصنعون وتقيمون وتتابعون على ما كان آباؤكم وإن كانوا من الجاهلين، والجاهلون منهم من تتبعون، والصالحون من تغفلون؟

والشمس وراء العود الأعوج، كما هي من وراء العود المستقيم، والناس معادن خيرهم في الجاهلية خيرهم في الإسلام. والمرء على دين خليله كما بلغكم وهداكم الأمين، فلينظر أيكم من يخالل يوم تخاللون. والمؤمن مرآة أخيه يوم تؤاخون، فالناس أزواج من ظلال لظل لعود أعوج يؤاخون، أو ظلال لظل لعود مستقيم معه يتحابون، وله يوالون.

والكل أعواد أو ظلال هم لمن يواليهم بمعانيه قائم الحق وقيومه لمبانيه، آدم الناس ورحمة رب العالمين.. وأديم الإنسان وكتاب العلم المبين.. وإنسان الرحمة وحوض الحياة لأهل اليقين.. وظهور الرحمن للمرحومين.. وإنسان الله للعارفين.. وعبد الديان للعابدين.. وباب الإطلاق للعتقى المتحررين المنطلقين.. وحق الوجود للخالدين.. وكتاب العلم للنبيين...

وجه المعبود ويد مبايعته للشهود، وقدم سعيه، وبيت ذكره لكل مسعود.. قبلة صلاتهم، ومحط رحالهم، ومعقد آمالهم. هذا من هم إليه من أنفسهم بشرا رسولا يضافون، وإليه إنسانا ينتسبون، وبه حقا يعتقدون، وفيه إليه من أنفسهم يبعثون ويتخلقون، وإلى الحق يضافون، في كل أمة وفي كل دين بمن به يعتقدون من رسول أمين، قائم بيقين، لكوثر الحق يعرفون، وللحق به في أنفسهم ينشدون.

بعين الحق لعبوديته حقية وحقيقة، قام عليهم قيوم حقه بعين العبودية لقيومه في معراج من الله وإلى الله، يطول بنا إسناد عنعنة، لأسمائه بأسمائه، حتى إلى ذاته الأقدس، لذاته المقدس، لذاته بحقه، حتى لعين ذاته بخلقه. كما يطول بنا إسناد عنعنة لعظمة روح قدسه إلى الأعظم فالأعظم، للانهائيه لروحه، لمطلق وجوده بلطيفه.

ما خلق الجن والأنس في قائم ذاته وروحه لمعاني خلقه، إلا ليعبدوا أنفسهم وعقولهم لقيوم قائمه بذاته لحقه وروحه، لقائم قدسه بالإنسان، هو له ذاتا وروحا. لله ما في السماوات، ولله ما في الأرض، ولله

ما بينهما، من كثيف ولطيف أعلامه بخلقه، لا إلى هو إلا هو، لا إلى الله إلا الله، منه التواجد واليه المصير.

إن رسالة الروح بمعارفها وبمعروفها، وبعينها لأناها معروفا لها، في غنية عن كل قديم مما بين أيديكم. فهي يوم تُعرِّف فليس ما بين أيديكم مما تعرفون من كتب السماء والحكمة، إلا حديثها، حديثا متصلا إلى أزل لا بدء له، وحديثا متصلا إلى أبد لا انتهاء له، بحديث قائم، دائم، منتشر، عامل، ظاهر، باطن، لا حد له، ولا حصر لألوانٍ له، ولا حصر لكسب له، ولا حصر لطريق له، ولا حصر لأوطان له، ولا حصر لأُمم له.

إن حكمتها تقوم في كل حكمة برزت من حكيم، وعلمها يقوم في كل علم عرف من عليم، وتدبيرها يقوم في كل تدبير قام به مدبر مستقيم، وأمرها يقوم في كل أمر قام به آمر عليم محلا لأمر كريم، وحقها يقوم في كل متحقق بحق، هي له الباطن وهو لها الظاهر، وهي له الظاهر وهو لها الباطن، وخلقها يظهر ويبدو في كل متخلق بخلق الأعلى ورسوله، خُلقا لخلق عن خلق لله الخالق. ولله المثل الأعلى في السماوات والأرض، ظاهرا لباطن، في معراج الله ذي المعارج تعاليا وتدانيا. فمعراج الوساطة عندها لها إلى أعلى لا يتناهى، ومعراج الوساطة بها لها في تدانيها إلى أدنى لا يتناهى.

إنها الحق يوم يُعرف الحق.. إنها الصدق يوم ينشد الصدق، فيصدق الصادق.. إنها الأمر لله يوم يُعرف الأمر لله. ولا يعرف الأمر لله إلا يوم يقوم الأمر لله، ولا يقوم الأمر لله لا شريك له إلا يوم يتجاهل الإنسان نفسه، ويذكر في قائمه ربه، يذكره معيته ممسوحا فيها، مسيحا لها بأناه لمعناه، بالغدو والآصال لا يفتر ولا يغفل، ولا يكن من الجاحدين، للقائم على كل نفس بما كسبت.

فذاكر الله على ما يليق بذكره، يذكره في دوام، ما كان قائما بوجود، عاطرة أنفاسه بذكره في يقظة أو في منام، ينام فيه على ذكره، ويستيقظ به بذكره، مذكور وجوده لا شريك له، لذكر موجوده لا تعدد معه بموجود حقه، ولا وجود لغيره زاهق خلقه لمسيحي هياكلهم، لقائم الحق بهم وجها لكله، باسمه لقيومه عند حقي عبده بقائم روحه لقدسه، وقائم أمره لشهوده برسوله.

وذلك برؤيتهم لفناء الباطل عنهم لمعدومهم وموقوتهم من دثرهم، برؤية الهو لمعانيهم أقرب الى الكل من حبل الوريد بحيه وقيومه، معهم أينما كانوا في سبحهم بسبوحه، قائما على كل نفس لعينه لقائمها بأمانة الحياة لها، ظلا له عين قيومها بروحه لها، من ورائها بإحاطته، لإرادتها إرادة له، بوحدانيته هي له وجه، لا يشهد بعارفه وعبده في الوجود بجوهره إلا وجها له، ولا في الظلام بمخبره إلا اختبارا منه، {فأينما

تولوا فثم وجه الله}[٦]، سواء إلى الداخل من النفس أو إلى الخارج من الكون، هاديا ومعطيا، أو سالبا ومختبرا، لقائم نفسه تتكاثر لصانعها منه، بما تصنع فتصبغ.

لا إله إلا الله.. شعار من هو لك وأنت له. وهي شعار لك يوم تشهدها محمدا رسول الله، يقوم ويتقلب في الساجدين، يتواجد بالنور جُعل له، يمشى به في الناس ماحيا ظلامهم، ناحرا بهيمة الإنعام لقيامهم، تطويرا لهم إلى هيكل الإنسان لمعانيهم، نفسا بنفس يتبادل ليقوم، يقتل نفسا زاهقة بفطرتها بنفسه باقية بصبغتها، بحقي فطرتها، لتبعث فتحيا، لتكون بين ظلال أناه وحق معناه. هو {الذي يراك حين تقوم. وتقلبك في الساجدين}[٧]، {أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها}[٨]، {ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم}[٩]، {فصلِ لربك وانحر}[١٠].

فهل آمن أهل الأرض برسالة أهل السماء، يوم داناهم من السماء فريق من أهلها بين روح متجسد بشرا سويا، وبشرا منطلقا روحا علويا، عملوا متساندين، وقاموا متزاوجين، وظهروا متحدين، وما غابوا يوما عن العالمين؟ ضحوا بالنعيم، وبادلوا عليه بالشقاء بعثا وقياما بين المختبرين رحمة للعالمين، يوم دبوا بأقدامهم على أرض الاختبار والبلاء، يُذكِّرون بالله، فتنفع الذكرى من أراده الله بخير، وتغيب عمن أراده الله بضر، {ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم}[١١].

وما أراد الله بضر إلا من أراد نفسه بالضر، يستعجل بالسيئة قبل الحسنة، محاجا يريد حجة على قائم الحق به بالحياة له من الحي القيوم به عليه. وما أراد الله بخير إلا من أراد نفسه بالخير، يتعظ بالمثلات تواجدت على الأرض منظورة مدركة، فاتعظ بها دون التعرض للقيام فيها مشقية، وتابعها مسعدة، بمتابعة السعداء بها، (والعاقل من اتعظ بغيره، والشقي من اتعظ بنفسه)[١٢].

فمن استعجل بالخير لنفسه عجل الله له بالخير، فزحزح عن النار، واقتطف من الجنان قطوفها دانية بمعارج الحياة في أطوار ذاته، مطورا لها بالقيام في قانون فطرتها، بالاستقامة فيما أمر به وهُدي إليه. أُعطي خلقه، كما أُعطي هديه، فاهتدى، فتخلق، وتخلق فاهتدى، (كن كيف شئت فإني كيفما تكون أكون)[١٣].

ومن هُدي السبيل سار في ركب الحياة وراء قائد ركب الحياة، إمام الناس الدائم بظلاله لظلاله، هو بها الحق القائم، وقائد العوالم، وشمس الشموس، وشموس الكواكب، وكواكب الخلق وأقمارهم، لفالحي أراضي القلوب، مزرعة الحياة، للحياة الخالدة، في مشروعها الأبدي، لمعرفة قيامها الأزلي، {من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه}[١٤] وراء كل مهتدي، بأي مهتدي للهادي، في أي زمان، وفي أي مكان،

ومن أي أُمة. (من دلك على الدنيا فقد غشك، ومن دلك على العمل فقد أتعبك، ومن دلك على الله فقد نصحك)[١٥].

بهذا قامت الفطرة، ودين الفطرة، ورسالة الفطرة، بكلمات الفطرة من الناس، وبكلمات الفطرة من الروح، وبأوادم الفطرة، بدايات الخلائق، بقائمهم من الروح لدوامه، وظاهرهم من الذات لسلامه، لتكاثره بأسمائه لظلاله، وجديد قيامه، بإنسان الرشاد، من إنسانية الرشاد، لحقي بطونه وظهوره بدوامه، لليله ونهاره، لأيام الله برحمته وسلامه، وبنعمائه وسكينته وقيامه.

هذه هي رسالة السماء لأهل الأرض.. ورسالة الغيب للشهادة من السماء والأرض، من جميع مستويات الغيب إلى ما دونها من مستويات للشهادة، رسالة أزلية، قائمة أبدية، يقوم فيها، ويقوم بها، ويصدر عنها، من آمن بالله ورسوله، وقد عرف الرسول واجب الوجود على ما عرف ربه، وعرف نفسه، فكان نعم المؤمن عَلما على المؤمن، ونعم المؤمن مرآة لكل مؤمن، نِعم الاسم لله والروح منه، عيسى {كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه}[١٦]. فهَّمناها سليمان {إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم}[١٧]. يا محمد {قل جاء الحق وزهق الباطل}[١٨]. يا أيها الناس لا تكونوا ممن {كفروا للحق لما جاءهم}[١٩]. {يا حسرة على العباد}[٢٠] {ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم}[٢١]، {وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما، قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة}[٢٢].

نزلت البسملة على كل نبي ورفعت معه، إلا محمد فقد أُعطيها له ولأُمته، فبعنونتها وقيامه بها ودوامها به لأهلها كان طابع النبيين والعلماء العاملين والحكماء الموهوبين، فقامها بنفسه كوثرا بها، وقامت بكوثره متكاثرا بها أُمته به بها قياما، وصحبة دائمة، ومتابعة قائمة إلى أبد، كما كان الأمر في أزل، ذكر محدث لذكر قديم، رسالة دائمة بالقيمة من عترته، متجددة بدوام بيته ودوام أهله، على ما كان لآدم بكلمات الله فيه، منه إليه، وعلى ما كان لإبراهيم جعل في ذريته الكتاب والنبوة، وجعلت إقامته للصلاة أمة دائمة ومن ذريته، وبوئ مكان البيت فأذن للحج داعيا إليه به، مصليا إليه قبلة له.

من قام بالذكر، محدثا لقديم، وقائما لقادم، فهو كتاب الله الذي أحاط بكل شيء وقد أظهره الله على الدين كله، وهو سفينة الحياة أخذ فيها من كل زوجين اثنين وأهله، وهو إمام الناس متابعين، وروح الحياة لجماعهم، مسلمين وكنودين، وهو الإمام الذي أودع الله فيه المعرفة عن كل شيء، وعلمه الأسماء كلها، آدم وجوده وإحاطة موجوده. فما كان القرآن في حقيقته إلا الإنسان أو كتاب الإنسان لحياته عنه له، وما كان الإنسان إلا القرآن بقائم فطرته، وهذا عناه الكتاب بقوله {الرحمن علم القرآن}[٢٣]، وما

أراده رسول الرحمة ورسول الإحسان، يوم قال (تركت فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لا تضلون أبدا، فإنهما لا يفترقان أبدا)[٢٤].

فإن أهملتم في أمركم لأحدهما، فقد فرطتم في أمركم من أمر الله، وضل سعيكم، وعز واختفى سبيلكم، وخاب رجاؤكم، وانحرفت الطريق بكم، وغاب المعراج من تحت أقدامكم إلى هاوية سحيقة، {فأمه هاوية}[٢٥] أو أمه نفس عالية، النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم يوم يكون الإيمان لهم غاية، فيقومون بالإسلام له مجاهدة لأنفسهم مستعلية عليه. {يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان}[٢٦]، فالإسلام متجدد بظلاله من المسلمين له، وبسلامه للمسلمين لهم، إيمانا به حقا لهم من ربهم من الله.

فما كان باب الإيمان إلا الإسلام لرسول الله، وما كان الإسلام إلا في الإسلام لرسول الله، ولو غاب من يُسلم الناس له، لغاب الإسلام عن الوجود به، ولتعطلت نواميس الفطرة، {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا}[٢٧]، {وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم}[٢٨].

وما كان محمد في معاني الرسول إلا بمعناه روح القدس، بما أودع الله فيه، وأنزل معه من نوره، يمشى به في الناس، نورا بقي ولم يرفع بغيبة أول أشباحه لأوادمه، لروح قدسه لإنسانه.

أما بمعناه آدم الناس، مشهود قيام لقيامهم بسلام، فكان حقية العبد المرسل إليه، جُعل له الخلد بتكاثره من كوثره أُعطيه قديما وأزلا، لرسالته في القيام بمعناه كوثرا في الناس، دائما بالناس، متكاثرا قائما وأبدا، رحمة مهداة، وطريقا وسبيلا من الله مرتضاة، هي من الله لمن والاه وتابعه وارتضاه، فبعثه حقا بمعناه، {ما جُعل لبشر من قبله الخلد}[٢٩]، وله بتكاثره الفطري جُعل بتكاثره بالمؤمنين حقا يبعث في دوام، {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}[٣٠]، {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت...}[٣١] (سلمان منا أهل البيت)[٣٢]، فما عرفه الناس بعد، بمعاني الرسول إليهم، أو بمعاني الرسول منهم...

فما كان محمد إلا روح القدس السارية في الناس بالحياة، وفي وعيهم بالحكمة، وفي حكمتهم بالسداد، وفي عقولهم بالعلم، وفي علمهم بالحقيقة، وفي عواطفهم بالاستقامة، {واعلموا أن فيكم رسول الله}[٣٣].

فما عَلموا رسول الله في قيامهم، لا قائما بينهم قيام معلميهم وعلمائهم وحكمائهم بعباد للرحمن بينهم، ولا قائما فيهم قائم روح قدس سارية بهم، لأوادمهم لوجودهم لذواتهم.

{إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون}[٣٤]، وقد يأسوا من روح الله، معية قيام لها بهم شهودا، كما يئسوا من روح رسول الله، روحا لقدس الله، في محدثهم، وفي معيتهم، وعين عترته، مواصلا موجودا، هو للعارفين شهودا ووجودا.

ولجوا فيما يتناقلون ويتوارثون من تحريف لكلمات الله عن مواضعها، بوصف المتفقهين تارة، وبوصف المتحققين أخرى، وذلك بما يسرون ويتناجون من أوهام، صادرة عن ظلام نفوسهم، في غفلة عن الله، في قائم قيامهم، إلى الله ينسبونها، وعن الله يرددونها، وباسم الله ينشرونها، وما هم إلا فتنة من الله يقومونها، (فقهاء أُمتي في الدرك الأسفل من النار)[٣٥]. فهم فقهاء الطاغوت.

ولو قاموا بلا إله إلا الله، هاديهم وداعيهم بقيومه بشهادة محمد رسول الله، دائم قيام بينهم، ودائم قيام فيهم، لحقق لهم قانون الفطرة لله ما بشرهم به من لقاء ربهم، وقد وعدهم الحق بلقياه يوم يجاهدون في الله حق جهاده، {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}[٣٦]. ولو هداهم السبيل لعرفوا إرادته، وعرفوا حكمته فيما هداهم به في قوله {يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه}[٣٧].

وهو يوم يلاقيه يعرف حكمة الله وناموس قيامه في قوله {إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا}[٣٨]، ويوم يلاقيه فيعرفه حقية العبد لحقية الرب، يقوم حقيقة في قائمه {فكشفنا عنك غطاءك}[٣٩]، وينتشر بحقه في قديمه، فيعرف الأكبر والأكبر، ويعرف أن حقية العبد له إنما هي من حقية الرب لمعناه، وأن حقية الرب لمعناه إنما هي من حقية الإله لمرتقاه في الله، وأن حقية الإله لوصف غيبه إنما هي من حقية اللانهائي في وجوده اللانهائي في حقيقته، الذي حرر الإنسان من قيده، وأقامه بإطلاقه في إطلاقه، وجعله محيطا بتقيداته، قائمة به فيه، على ما هو في ربه إلى الأعلى، فعرف الإنسان بما قام فيه، وما هُدي إليه، مراد ربه به في قوله له {يا أيتها النفس المطمئنة.. ادخلي في عبادي وادخلي جنتي}[٤٠].

فلما دخل وقام، وفي الجنة أقام، عرف أنها جنتان، وعرف أنه {لمن خاف مقام ربه جنتان}[٤١]، وحضرتان {جنى الجنتين دان}[٤٢]، جنة قيامه، قائما، في جنة قيومه، إلى جنة الفردوس له بقيوم به، على قائم فيه، جنة قادمه. فعرف أن الله خلقكم وما تصنعون، وما تعملون، وعرف حكمة الله ونعمة الله، ورحمة الله، في هديه {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}[٤٣]، {فكشفنا عنك غطاءك}[٤٤] وعظمة الإنسان وحقيته في قوله {ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير}[٤٥]، {ما كذب الفؤاد ما رأى}[٤٦]، {وكان فضل الله عليك عظيما}[٤٧]، {وأما بنعمة ربك فحدث}[٤٨]، (بشر ولا تنفر، يسر ولا تعسر)[٤٩].

فسبح اسم ربه الذي خلق، ثم سبح اسم ربه الأعلى، ثم سبح اسم ربه الأكرم، الذي علم بالقلم، فقام اسما لربه، واسعا لحقه، واسما لمعلمه، فنزه الله وسبحه، وسبح بمطلقه في المطلق للوجود، كلما انطلق، وكلما تحرر، وكلما لرقبته من النار عتق، ومن القيد أطلق، وبالحرية سعد.

يتكاثر ببدء به يتواجد، قيوما على قائم، في جنة عرضها السماوات والأرض، ثم ينطلق من جنته لقيامه بجنان نفسه لنفسه في نفسه، إلى ما فوق السماوات والأرض، فيعرف ربه، ويعرف نفسه، ويعرف داعيه، ويعرف رسوله إليه، ورسوله منه، ويعرف نبيه له ونبيه منه، ويعرف آدمه له وآدمه منه، ويعرف داره لنفسه، ويعرف وجوده، ويعرف بيته لقلبه، ويعرف قبلته في نفسه، وقبلة نفسه في قبلته لقبلتها، في ذي المعارج، للمطلق اللانهائي.

ذلك كله يوم حيا قلبه لقالبه، فاتجه بقالبه، عالما وعبدا إلى كعبته بقلبه، بيتا يذكر فيه اسم الله، فاجتمع بقلبه على قالبه، وبقالبه على قلبه، متوحدا، واجتمع بواحدية قلبه وقالبه على أحدية معناه لعقله، ونوره، وحياته، فعرف الله، يوم عرف نفسه، (من عرف نفسه عرف ربه)[٥٠]، {ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير}[٥١]، {فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد}[٥٢]، {دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى}[٥٣]، {ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى}[٥٤].

وجها لوجه، وحقا لحق، الله من ورائهما بإحاطته، سدرة منتهى بواحدية في أحدية رجاءً يرتضى، وحقا ينشد، وقائما يطلب في لا إله إلا الله، إليه المصير، محمد منه رسول الله، به تستقيم الأمور، وتتعالى المدارك والعقول، وبه تستقيم وتحيا القلوب، وبه تستقيم وتشتعل وتشرق النفوس، وبه تقوم القوالب، فتتسع وتتطور وتنتشر خلقا من بعد خلق، وتتحقق حقا من بعد حق، وتحيا حياة من بعد حياة، وتتواجد وجودا من بعد وجود. لا إله إلا الله، هو الحق وإليه المصير، محمد رسول الله، نعم الهادي ونعم الدليل.

اللهم يا من محوت عن محمد محمديته خلقا إلى محمديته منك لك حقا، ووضعت عنه وزره بخلقيته، وبعثته بحقك، ذكرا قديما قامه لنا حديث ذكرك، لعليّ اسمك، لقيامك وحكمتك وشامل رحمتك، وداني هديك، وقريب حقك، اللهم به فألحقنا، اللهم به فابعثنا وحققنا.

أظهرت به أزل الإنسان، لإنسانية الرشاد لك، في حضرة صمديتك، بقائم أحديتك، وكشفت به عن وجوه واحديتك، اللهم لا تتركنا لأنفسنا، وألحقنا بنفسه، ظلالا له، وعوالم ربوبيته، وإنسانية إنسانه لإنسان إنسانيته.

به آمنا حقا منك ورسولا إلينا، ورحمة مهداة منك لنا، وبه آمنا إنسانا لك وإماما لنا، به آمنا، وأنفسنا له ملكا وعبدنا. اللهم امحُ ظلام نفوسنا إلى شرف نوراني نفسه، وأدخلنا في قيامه ووجوده وحقه

وحسه نفوسا مطمئنة، دخلت في عبدك وجنتك لشهود جمالك وجلال طلعتك، واجعلنا فيه أطفالا وأجنة، به ننمو، وفيه نتطور حتى يتواجدنا ويتكاثر فيتوالدنا.

بذلك أعلمنا وبشرنا وأخبرنا وعَلمنا على ما علَّمتنا بعلمه فعلمنا، وعرَّفنا على ما عَرفتنا بمعرفته فعرفنا.

اللهم به فاهدنا، وبه رحمة منك فتولَنا، وهدية منك مقبولة به فاقبلنا، وارضنا بهديتك به لنا، قانعين به ظلالا له سيرا إليك ووجودا فيك، ودخولا في وحدانيتك، وشهودا لأحديتك، كتاب علمك، وحق قيامك، وإنسان وجودك، ووجه طلعتك، ويد نجدتك، وقدم سعيك.

ها نحن نشهد أنه لا إله إلا الله، بشهودنا لنا محمدا رسول الله، وها نحن نشهد محمدا رسول الله، بشهودنا له لا إله إلا الله، اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا بكسبنا، اللهم به فادفع عنا من البَلاء ما نعلم وما لا نَعلم، وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم، اللهم عاملنا منه وعاملنا به برحمتك، وعافنا به من إقامة عدلك، وقنا به شر غضبتك، لا إله إلا أنت سبحانك منك الأمر وإليك المصير.

أضواء على الطريق

من حكمة الروح المرشد (السيد فيزر) لدائرة الجمعية الإسلامية الروحية بالكويت. خدمة السيد المهندس محمود الحوراني والسيد الوسيط منير الأعور:

(أتابع كلامي معكم عن الشر، بأن له عدة وجوه ليظهر فيها، وفي بعض الأحيان لا يظهر سوى قليل منه، والباقي يكمن داخل أنفسكم. وعندما يعاملكم شخص بما ظهر من الشر، فكلكم تعلمون وتعرفون أن هذا العمل شر، ولكن كثيرين من الناس يقبلون الشر الغير المنظور، فالشر الذي يمكث في قلوبكم، هو الذي يسكن أفكاركم، وهو الذي لم يظهر. إن هذا الشر أقوى من الذي يظهر لأن هذا الشر إذا ظهر كان بإمكان الإنسان أن يتعلم منه، وأن يواجهه بشتى الطرق لإصلاحه، أما الشر الداخلي فلا إصلاح له، إلا بالاتجاه إلى الله بفكرة سليمة ليجد الإنسان عند الله الدواء.)

{في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا}[٥٥]، {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}[٥٦].

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الذاريات - ٢١
٢ سورة لقمان - ٢٧
٣ سورة الكهف - ١٠٩
٤ سورة الأنفال - ٦٣

٥ مقولة صوفية تتناغم مع خلق الله للإنسان كخليفة لله.

٦ سورة البقرة - ١١٥

٧ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩

٨ سورة الأنعام - ١٢٢

٩ سورة الرعد - ١٥

١٠ سورة الكوثر - ٠٢.

١١ سورة الأنفال - ٢٣

١٢ حكمة مشهورة تتوافق مع مقولة للإمام علي كرم الله وجهه "السعيد من وعظ بغيره."

١٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

١٤ سورة الإسراء - ١٥

١٥ مقولة للشيخ ابن مشيش.

١٦ سورة النساء - ١٧١

١٧ سورة النمل -٣٠

١٨ سورة الإسراء - ٨١

١٩ سورة الاحقاف - ٧

٢٠ سورة يس - ٣٠

٢١ سورة الأنبياء – ٢، ٣

٢٢ سورة الجمعة - ١١

٢٣ سورة الرحمن ٢-١

٢٤ إشارة إلى حديثين شريفين: "إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض". أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. و"إني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما". جاء في سنن الترمذي:

٢٥ سورة القارعة - ٩

٢٦ سورة الحجرات - ١٧

٢٧ سورة الاسراء -١٥

٢٨ سورة إبراهيم - ٤

٢٩ سورة الأنبياء - ٣٤

٣٠ سورة الأحزاب - ٦

٣١ سورة الأحزاب - ٣٣

٣٢ حديث شريف. أخرجه الطبراني، والحاكم في "مستدركه"، وأبو نعيم الأصبهاني في "معرفة الصَّحابة"، والبيهقي في "دلائل النبوة".

٣٣ سورة الحجرات - ٧

٣٤ سورة يوسف - ٨٧

٣٥ إشارة إلى حديث شريف ذات صلة: "مررْتُ ليلةَ أسرِيَ بي بأقوامٍ تُقرضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ من نارٍ، قُلْتُ: من هؤلاءِ يا جبريلُ؟ قال: خُطَباءُ أمتِكَ الذينَ يقولونَ ما لا يفعلونَ ويقرؤونَ كتابَ اللهِ ولا يعملونَ بِهِ." أخرجه أحمد والبزار وأبو يعلي.

٣٦ سورة العنكبوت - ٦٩

٣٧ سورة الانشقاق - ٦

٣٨ سورة مريم - ٩٣

٣٩ سورة ق - ٢٢

٤٠ سورة الفجر - ٢٧-٣٠

٤١ سورة الرحمن - ٤٦

٤٢ سورة الرحمن -٥٤

٤٣ سورة الذاريات - ٢١

٤٤ سورة ق - ٢٢

٤٥ سورة الملك - ٤

٤٦ سورة النجم - ١١

٤٧ سورة النساء - ١١٣

٤٨ سورة الضحى - ١١

٤٩ حديث شريف: "بشروا ولا تنفروا يسروا ولا تعسروا". صحيح أبي داود

٥٠ عبارة اشتهرت بأنها حديث شريف، هي عبارة للإمام عليّ كرم الله وجهه: "من عرف نفسه فقد عرف ربه." ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣. المكتبة الشيعية.

٥١ سورة الملك - ٤

٥٢ سورة ق - ٢٢

٥٣ سورة النجم - ٨ - ١١

٥٤ سورة النجم - ١٥-١٧

٥٥ سورة البقرة - ١٠

٥٦ سورة الرعد - ١١

(١٥)

مشيئته لعفوه بإنسان رحمته
عطلت قضاءه بعدله لإنسان عزته
في قائم الوجود بالحق لإنسان فطرته
شفاعته عنده لإنسان صبغته ورسول حكمته
المعركة الخالدة بين الإنذار والإنظار

حديث الجمعة

٣ جمادى الآخرة ١٣٨٤ هـ - ٩ أكتوبر ١٩٦٤ م

لا إله إلا هو، في الدارين.

له الملك وله الحمد، في العالمين.

الحاكم والمحكوم في الدائرتين.

الأزلي الأبدي لباطنه وظاهره في الدهرين.

الظاهر والباطن، في الحضرتين.

الملك الحق المبين، في الإمامتين.

الحق الأحد في الأخريين.

الموجود الواحد في الدنيين.

الظاهر في كل شيء لكل شيء، في الوجودين.

المعطي لكل شيء خلقه وهديه، في الكتابين.

هو في السماء إله، وهو في الأرض إله، وهو دواما الأقدس للقدسين.

لا إله إلا هو، غيب كل وجود، ووجود كل غيب، منه الحياة وإليه المصير.

(الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه)[1].

هو الخير وهو الأمر. ومنه الخير، ومنه الأمر. ومنه الحق والخلق. وإليه يصير الخلق، وعنه يصدر الأمر. جلت قدرته، وتعالت عن الإدراك عظمته. وتنزهت عن الإحاطة إحاطته. وعزت على النوال لغيره عزته.

ما أشرقت طلعته إلا لعين وجهه وطلعته، ولمن هدى بمن اصطفى من أهل حضرته، وجه ربوبيته لحقي عبوديته.

ظهر لعباده بعباده، رفاق لأعلى، في حقائق لحقائق، وخلائق لخلائق، توحد لها فيها بموصوف غيرها، باسم خلقيته.. ظاهرا لباطن من حقيقته، بوجه أحديته، لعلمية وحدانيته.

الأولى والآخـرة:

يوم تبدل الأرض غير الأرض تصبح الأرض بما تكون آخرة لأولاها بما كانت، {أتى أمر الله فلا تستعجلوه}[2]، {وأشرقت الأرض بنور ربها}[3]، وكذلك يوم تُبدل السماوات غير السماوات لتصبح أخرى بما تكون لأولاها بما كانت.

فحيث الكائنات في حجاب عن أمر الله، لهم بهم، فهم في أولاهم. وقد أوحى في كل سماء أمرها، بفطري إنسان لها، يحشر معه فيه أهلها. وكذلك الأرض، أتاها أمرها لتشرق يوما بنور ربها، يوم يقوم أمره عليها في سفور لها، على ما هو حالها عند أهل البصائر بحقيقتها وحقها.

وحيث يحشرون في أمرهم من إنسان فطرتهم، ورسول غيبهم لشهادتهم، فهم في أخراهم، سواء في الأرض أو في السماء، أو في وجود جامع لوحدة السماوات والأرض. وما أُخراهم هذه إلا دنيا مرتقاهم، بلا حد وبلا توقف وبلا انتهاء.

إن القانون الجامع تحت سلطانه للذرة والفلك، هو القانون الجامع للإنس والجن والروح والملك، وهو القانون النافذ على العلقة ومن صدرت عنه ومن آلت إليه. فإذا كانت الذرة فلك تجسد من طاقة، فإن الفلك ذرة تواجدت من قدرة. وإذا كانت العلقة عين من صدرت عنه ومن صدر عنها عينها، هي الأمر الوسط بينهما والعروة الوثقى لهما، كان ما قبلها وما بعدها علقة لما قبله أو لما بعده.

فإذا ما تمت لشيء أو كائن نعمته، وتوفاه قانون الفطرة بمطلقه، للأعلى إلى عين شهوده به له، فهو في جنة حقيقته، عرضها السماوات والأرض، دار عمله ومقامه، مشرقة بنور الله له فيه ربا له، (آخر من

يخرج من النار يعطى عشر أضعاف هذه الدنيا)[٤]. وهذه هي العبودية للأعلى في حقيتها، والربوبية للأدنى في حقيقتها.

ذلك كله لمن خلقوا أزواجا، بقوالبهم لقلوبهم متوحدين، آحادا لوجود تعددت وجوهه لأفراده، إخوان على سرر متقابلين، تواجدوا في قوالبهم من سلالة من طين لجلودهم، ثم من سلالة من نار لنفوسهم، ثم من سلالة من نور لعقولهم، ثم تجمعوا على ذكره، بيوتا لاسمه ترفع وتوضع، قلوبا متوحدة وقوالب منتظمة في مواضعها وعملها بنفوسهم وذواتهم، لحقائقهم من الروح جمع جمعهم، وواحدية اجتماعهم، وأحدية حقهم.

أولئك من أُعدوا لروح الله، من أُعدوا لدائم الحياة، يوم ينفخ الله بروح الحياة الخالدة له في أسوار ذواتهم لتسقط عنهم أوزارهم، لتسقط عن نفوسهم حجب المادة فيحسوا بروح الحق في روعهم، في باطنهم، روحا في روح، وحياة في حياة، أمرا مدركا لأرواحهم، نورا على نور، نور الحياة لنشأتهم، ونور الاهتداء بالعلم يقودهم إلى نور الحق يتواجد فيهم، رويدا رويدا، أسماءً له، وأعلاما عليه، ووجوها منه لرائيه، مزحزحين عن نار التكوين إلى نور المكون، وهذا هو بدء الحياة بموالد الفطرة من أرض النشأة، لقيام النبوة للأبوة.

وإذ يجتمع نور الحياة لقيامهم قائما بهم، ونور القيوم عليهم أعلام قيامه لقيامهم، لقيومه لجمعهم، فيهتدي نور قيامهم لمعناه نورا من الله، يوم يهتدي بنور رسول الله قيوما لإدراك المدرك لأناه، به قائما، ولحقي معناه، لقيوم نور الله، لقائم نوره معه، به لقائمه، للسماوات والأرض، هو نواة لجديد عالم بها، فجرا مشرقا على أرض قلبه، وبيت خلافته لعقله، لهيكله هيكلا للسماوات، لمعنى قالبه، لحقي قلبه لأناه بيتا لربه، وعرشا لملكه.

بذلك يهتدي الإنسان ليستوي على عرشه من قائم ذاته، بقيوم عقله قبس نور الله لهيكل الوجود بقائم هيكله {الحمد لله رب العالمين}[٥]. فما كان الإنسان، وقد خلقه الله لنفسه هيكلا ضئيلا ليترك سدى، فما كان في أمسه وهو علقة، وهو نطفة، وهو مضغة، وهو طفل، وهو صبي يُرعى، وهو فتى يُهدى، وهو رجل يُوجه، وهو شيخ يُحكَم، ما كان في خلقه بأمسه سدى، فكيف يكون في غده لأطواره سدى!

لقد خلقه الله، لينمو ويَنمو، ويتطور ويتطور، ويكبر ويكبر، ويتسع ويتسع، وينتشر وينتشر، بدءا من أولاه بعصر وعصر، من عمر وعمر، يطول ويطول، وهو مهما طال فهو القصير، فهو اليوم لا بل الساعة، لا بل اللمحة، أو البارقة في الدهر من الزمان، {والعصر إن الإنسان لفي خسر}[٦]، مواصلا إن بدأ التواجد بكوثره من التكاثر بكرات رابحة أو خاسرة، بآخرة وآخرة، لآخرة خير وأبقى.

ييسر الله للإنسان أمره بالوجود، المرة بعد المرة، ويغذيه بالحياة وبروح الحياة، وبنور الحياة، الكرة بعد الكرة، حتى يتم بعمله ومن عمله له نوره، ويكمل له باستقامته نعمته، ويقوم له بصفائه فطرته، فيتوفاه إليه باصطفائه وجه طلعته.

يعطيه من أسمائه وصفاته كفايته، فتصبح بعض أو جماع أسمائه وصفاته الحسنى أسماءً صفات له، ويصبح هو الاسم الأعظم الجامع لها، ووجه الأعلى لحضرته، وعَلَم وعِلم المطلق لكتابه ورسالته، وظاهر الغيب للقائه، وعين غيب الوجود لكتابه، الوجود دار قيامه وظاهر سلطانه وسلامه.

هذا هو إنسان الله لإنسان الناس لمعانيهم، ورسول الله من أنفسهم فيهم، لغيبهم بقيامهم ملأ أدنى لملأ أعلى، لوصفهم بشرية لإنسانيته.

فهو إنسان الناس لمعانيهم بمعارج الروح، لشهادتهم بالنفوس والعقول، في دثر الأشباح لعوالم دورهم لوجودهم، وقائم الناس لغيبهم، متجمعين مع بعضهم البعض متوحدين، وقيوم الناس برسول الحق بهم لرحمتهم لبعضهم البعض راحمين، وبه مرحومين، وحقائق الناس لحقيتهم دانين وعالين، عالمين ومعلمين.

هم به وجه الحق لوجه الحق، لوجوههم كاشفين وناظرين، وبيت قبلتهم مصلين ومستقبلين، وكعبة حجيجهم وافدين وعاكفين، وحول نصب مثلهم طائفين ومفتقرين، وجذوة نفوسهم بعملهم موقدين ومشعلين، وليل سباتهم فيه ساكنين ومغفورين، وشمس نهارهم به موصولين ومواصلين، وقمر عَلَمهم وعِلمهم منه فيه لعرجونهم إلى قديمهم به لنورهم مستكملين، وفي مرآة حاضرهم بالإيمان، مؤمنا لمؤمن عارفين، أهلة سابحين، بمعايير ومواقيت نوره للناس في منازلهم، من مكانتهم ومعارجهم، لغاياتهم معرفين مدركين، ومقروئين، وللكتاب قارئين ومرددين، عطاءً غير مجذوذ طالبين، ورقيا لا ينتهي حامدين، في معراج الله ذي المعارج عاملين، لا يحاط به ولا يتعطل خلقه وحقه مؤمنين، لا يمتنع على طالب نعماؤه راجين، عن اليأس والقنوط بعيدين، وعن الظلام مزحزحين، وعن الجهل مبعدين.

منه الأمر وإليه المصير، وفيه المسير، لا إله غيره لحاضر الناس، ولا معبود سواه بقائم الناس لقيام الناس، أو بقادم الناس في قائم الناس، أو في قديم الناس بإنسان الناس لقائم الناس.

الأرض أولاهم لنشأتهم لأناهم من الذات في الهو، منها يخرجون وإليها يعودون وبها يحيطون وعليها يخلفون وعنها يتعالون. والسماء لحقهم أولاهم لطريقهم لرحمتهم بالهو لهم روحا لروح عنها ينشقون، ثم هم إلى الأرض مرة أخرى، آخرة لنشأتهم، لتمام دورتهم يعودون. بسماواتهم بأمورها فيهم، هم عليها بصحبة يتواجدون، وبخلافتهم عليها وفيها وحولها يقومون، ثم هم تخلقا بأخلاق الأعلى عليها يخلّفون وعنها يتخلون.

تزوى لهم الأرض بانزوائها فيهم، وطيها لهم بمعانيهم، وفي هذا معنى الآخرة لدنيا سماواتهم، مجيئا لأمورها لأمر لله، يبعث بالحق في قيام من الخلق، تواضعا لا ضعة، وتدانيا لا هبوطا، لقيام وجود جامع لملك من السماوات والأرض.

يتواجد إنسان الله على الأرض بمجال ووجه جامع لوجوه ومجالات، أحد في صحبة من وجوه له، وجمع في أحد لهم، في سماوات عليائهم، إليه في حقي معناه صاروا، ارتقوها لا تكبرا، ولا استعلاءً، ولا إنكارا على الحق، في قائم قيام لهم في عوالمهم، في معراجهم لمرتقاهم إلى تمام معنى الحق لهم، بلقائه مشهودهم لمعيتهم بيوتا توضع لترفع بمن تستخلص، أعلاما على بيوت رفعت بمن خلصت، وبشرى للبنات آدم تتجمع بيوتا بنفوس وذوات، تتوحد بقلوب وأرواح وآيات.

عباد الرحمن هم من عرفوا الله، في عليائه، وتعاليه، وتنزيهه، وقربه ومعرفته لأنفسهم وتعريفه بأنفسهم، كما عرفوا الله في تواضعه، وتدانيه، وتشريفه. دنوا بأقدام سعيه، وقد بسطوا أيدي رحمته، تحت بيوت مبانيه، لظهوره لظاهره بقبلته من الإنسان، بآدمه ورسوله، متجددا متكاثرا بنصبه وظلاله من الناس لآدمهم.

ويوم يتجه المصلي إلى قبلة الله بالإنسان طلبا لله واتجاها إليه يراه الرائي عينه لعين رائيه، بلطيف خلته فيه بهم فيهم، ومعيته لهم بهم وصحبتهم لهم، وجها لوجوه بقيوم الحياة، لقائم الحياة فيهم بهم. بالحق أنزلناه - لهم - وبالحق نزل إليهم فيهم، فتخلقوا بأخلاق الله متابعة لمن تخلق بأخلاق ربه، عرفه فلاقاه يوم طلبه فداناه، فشهده في رسوله إليه، رآه جماع الناس، وكل الأحوال والأجناس.

جعله قدوة لهم وقدوة بهم، يوم أظهرهم لمن أظهره على الدين كله، وقد أظهر به للناس كافة الدين كله يوم أشهده أن الله قائم على كل نفس بما كسبت، وأمره ليُعلِمهم بما علم، ويعلّمهم كما عُلِّم، فشُهد به لطالبه ورائيه، بإيمان بالله ورسوله له فيه، لناظر لله ورسوله فيه، بكشف الغطاء عنه لبصيرته، ليبصره، ليرى الله ورسوله معه فيه إنسان الله، لإنسان الله لراجيه، وعين المتحاب معه فيه إنسان الله لعبوديته، لإنسان الله لربوبيته، وجوها لإنسان الله لقدسيته، ظاهرا لباطن لإنسان الله لحقيته، أحد من آحاد، وحق من حقائق من إنسانية الله بالرشاد لحضرته. هذه هي أقانيم الفطرة كما تعرفها وتعرفها رسالة الإسلام مع محمد الله وحقه، لحقية العبد له منه فيه.

فإذا بدلت الأرض غير الأرض، فكانت بآخرتها السماوات، بدلت السماوات غير السماوات، فكانت دنيا وجودها، لآخرتها لوجودها، ظلا لأصل نشأتها، وذلك في شهودها لظهور خليفة غيبها على أرض

نشأتها، ودار رعايتها، لعين معناها لقيامها وقيومها، في قائم ملك السماوات والأرض في وحدانيته لأحديته، بقانون الفطرة {جعل ربك تحتك سريا}[٧]، {فتلقى آدم من ربه كلمات}[٨].

إن النظر إلى الأرض حضرة شهود وقبلة وجود.. وإن النظر إلى السماوات حضرة وجود، وقبلة شهود، أمران في الله لا يتعطل لهما فعل، ولا يجد عليهما جديد في أمر، ولكنه أمر يتكشف لمن يتكشف له في السماوات أو في الأرض، بفيض الأقدس من الذات، والأعظم من الروح للمشاهِد والمشاهَد من علم الله، ومن رحمة الله، بعطاء الله، رحمة مهداة.

فإذا قلنا السماوات أو الأرض، فإنما نعنى أهل السماوات، وأهل الأرض. والذي نعنى بذلك إنما هم سكان الأجرام والأفلاك من السيارات وتوابعها، ومن النجوم ودوائرها، وهذا أمر مستقل عن معارج الروح المجرد وعوالمه، ودرجاته وآحاده وإطلاقه وحقائقه.

فإذا صاحب أهل السماوات حضرة رحمته مخلفة على الأرض عرش ظهورها، كان ذلك هدية من الله لهم، عن طريق رسلهم في عوالمهم نظروها، بمصاحبتهم لهم لاقوها، وحضرة لله عرفوها، فقدروها مهبطا للوحي من الإطلاق آمنوها، وإنسانية لله أدركوها، فحرصوا على متابعتها، فورثوها، وبالأعلى من الحق خلَفتهم فخلفوها {وبالحق أنزلناه وبالحق نزل}[٩].

وكذلك إذا شهد من الأرض شاهد وجه الحق في عليائه، سيد سمائه، ومحيط أرضه، مع رسل عالمه بمصاحبتهم لقيه، فعرفه معيته لنفسه برحمة الله له، رحمة مهداة، كان له حضرة لقائه، وقيام صلاته، ويقين خلاصه ونجاته.

شهده رحمة الله، وحقية الله، التي علمها وأعلمها بقيامه بعلميته عليها عبدا لله، ورسولا لله، وحقا من حقائق الله، وهذا ما قامه بيننا محمد الله ورسول الله، وجماع رسل الله عَلَما عليه، وقدوة فيه، وعلَّمه بكتابه وسنته، عليم الله، وخبير الله، من أظهره الله على الدين كله روح قدس الله، في صحبة روحه لأعلاه، وأمين الله ذاتا وروحا بمعناه لوجه الله، فتابعناه، وتبعه كل متابع في مسراه لمسراه، ومرتقاه لمرتقاه، فأحبه ومتابعيه، فأحبه بكل من فيه، فكانه فكانه، فاستخلفه فخلَفه، في دائرة ملكه في واسع ملكه بعاليه من السماوات والأرض له، في واسع السماوات والأرض للأعلى، فكان في ذلك سعادته وسعادة أمته لعين قيامه ومعناه.

بذلك كان الإنسان يوم يكمل له معناه، بأسماء الله يقومها كرة بعد كرة، ودورة بعد دورة، في جلابيب من طبيعة، ومن طبيعة، ومن طبيعة، من طبيعة الظلام، ومن طبيعة النور، ومن طبيعة النار، ومن طبيعة الروح، ومن طبيعة الأثير، ومن طبيعة الجمود بالجمادات، ومن طبيعة اللطافة بكل المستويات،

ومن طبيعة الحركة بالحيوان، ومن طبيعة القدرة بالإنسان، ومن طبيعة الإرادة بالروح، ومن كل طبيعة، حتى تتجمع الطبائع إلى الأنا الجامع، لظاهره بالواحدية للوجود، ولباطنه بالأحدية للموجد، إلى الاسم الأعظم جماع الحسنى من الأسماء والصفات، للظاهر والباطن، (المؤمن مرآة المؤمن)[١٠]. وهذا ما عناه معلم الوجود، ورائد الكائنات، ومظهر إرادة الغيب بقوله (تخلقوا بأخلاق الله)[١١]، وقوله (اعبد الله كأنك تراه ...)[١٢].

وما كانت أخلاق الله لنا، نشهدها، أو نعلمها، أو نقومها، إلا أخلاق رسوله بيننا، عرفناها وعرفناه يوم تابعناه وشهدناه.. فأحببناه، فقامنا بقيامه، وخصنا بسلامه، وحل بسكينته، وانتشر بنوره، ولاحقنا بنظراته، وأحيانا بأنفاسه وعباراته، وقامنا بحقائقه وكلماته، وأيقظنا من نيامنا، بامتداد نوره، لفجره ويقظته، وإحساسه، فكان له الكوثر والحال، وكان لنا من الله الحق والظلال، والكيان الحي والمثال.

سجدنا بسجوده، وقمنا بقيامه، وركعنا بركوعه، وقعدنا بقعوده، وسرنا بمسيره، وتواجدنا بوجوده، قائد ركب عوالمنا إلى خالقنا وعالمنا، ومنشودنا، وقيومنا وقائمنا، لا إله إلا هو عرفنا إليه المصير، فطلبنا أنا إليه نسير، حتى أنّا إلى أسمائه أعلاما عليها لها نصير مؤمنين بالمؤمن بنا، موجدا لنفسه لنا قيوم قيامنا، مظاهرا بإحاطته لنا، مبرزا بمعاني الوجه لوحدانيته، بحصن لا إله إلا الله، لقيوم حضرته، بشهود محمد رسول الله لأحديتنا به، حقائق الله، لبيت ذكره العاكف فيه والبادي، وقائم طلعته لدائم قبلته لبيوت مدينته، في مطلق وجود الله لآحاد حضراته بحقائقه.

قام كل بدء للخليقة، بآدم مصطفىً من آدميته، ليكون مظهرا لإنسان اصطفائه، إنسانا في الله من إنسانية الرشاد لحضرته. فكان معنى الإنسان لآدم، عند آدم، هو سبقه بإنسان ربوبيته، إنسان في أحسن تقويم. وكان معنى آدم عند إنسان ربه، له فيه، إنسان لحاقه من عالم الخلق والتكوين، به عنده يعرف. فتصاعد آدم باصطفائه لمقام الحق له، لمعنى إنسان ربه، خليلا وحبيبا للرحمن. تصاعد من طبيعة عالم الخلق والتكوين إلى حقيقة عالم الرشاد لحضرة الله، في معية راعيه من الإنسان في أحسن تقويم، يدانيه في معراجه، متلقيا لكلمات من الله، منه إليه فيه، لعينه بمعانيه، جُعلت له مجاهدا تحته سريا، وجُعلت له مرحوما فوقه رضيا.

رضيها بحقها لفوقيته بحبه وإيثاره، حب الأب لبنيه. وقبلت ورضيت أن تكون تحته لسريانه ومعراجه بنفسها تفتديه، بإيثارها وإيمانها به ربا ترتضيه، حب الولد لأبيه، حتى استوفت نفسه معارجها بأمورها، وتوفي إنسانه لذاته إلى كماله أبا عين الأبناء، وأبناء عين الآباء، وما بينهما منهما لهما، إنسان وحدانيته للعلمية على حقه في أحديته.

بالأسماء الحسنى له دعوناه، على ما هي لإنسان ربوبيته على ما بلغنا وعرفناه، وفي معارجه وأطواره لعين حكمته وأحواله وصفناه، ولإضافة أنفسنا إليه طلبناه.

تواجدت كلمات الله لآدم أبناءً له، وحقائق متصاعدة فيه وحوله وعليه، حتى تمت الكلمات بأمور بالأرض والسماوات لداره وفردوسه، فتصاعد في عوالمها مستخلفا على ما ترك، حتى استوى على عرشها لجمعها كريما مصطفىً ومن الأعلى مخلَّفا.

توفاه الأعلى، وأمسكته يده متوفى، فخاطبه أبناؤه من كلمات الله له، حيث هم، شوقا إليه وحنينا للاجتماع عليه حيث هو (أبانا الذي في السماوات)[١٣].

وخاطبهم من عليائه، رائيا مراد العلي عليه بهم في عليائهم دونه، لا فرق بيني وبينكم، متوجها لجمعهم في تواجدهم، أهل بيته، وعين قديم حضرته بهم، لحضرته معهم، وقد تخلى مرتقيا، ومنهم لهم عليهم مستخلفا، كلمة بعد كلمة، استيفاء لمعناه لأناهم لتمام معناهم على ما استوفى معانيهم، بجماع أسمائه الحسنى لاسمه الجامع للأسماء الحسنى لأناه بهم، مستخلفين على الأرض والسماوات، أمور الله عليها، منفقين مما استخلفوا عليه من حكمة الله ومن نعمة الله، ومن علم الله، ومن قدرة الله صحائف كتابه الجامع، وحروف كلماته التامة، وكلمات حديثه المتصل، عن عَلَمه الواصل المتواصل، بمعلوم آدم عن ربه، من علمه عن نفسه، رسول الله وتمام كلمته، لجماع كلماته.

قال الإنسان الكامل الرشيد لظلاله بأوادمه بعين معناه لكوثر معانيه، قال لهم بالحق له فيهم ومن أعماقهم، أنا منكم قريب، ولكم مجيب، وعليكم لست بغريب، معكم أينما كنتم، معكم تولجون في الأرض أرضا بعد أرض، ومعكم تعرجون في السماء سماءً بعد سماء، ومعكم في سمائكم الدنيا تمشون على الأرض مصابيح أهلها، من أبنائكم ورواسي طبيعتها أن تميد بكم، بنور الله أفاضه ويفيضه عليكم من خلالي، وقد استكملت أحوالي لأحسن تقويم، كما أفاضه عليّ يوما من خلالكم كلمات منه إليَّ مني لمزيد بكم.

وها أنا بفيض من نوره إليكم أعود بجديد، ليتواجد بكم نور الله بعلِمه وعلَمه على نور الله، لأنوار نشأتكم، لتظهر بكم أنوار اهتدائكم وهديكم. سبحوا الأعلى الذي خلقني وخلقكم، وحققني وحققكم، وسوى بيني وبينكم، لا إله إلا هو إليه المصير، (السير إلى الله له نهاية والسير في الله لا نهاية له)[١٤].

إن الآدمية قديمة بقدم الإنسانية.. وإن الإنسانية قديمة بقدم الوجود.. وإن الوجود قديم بقدم الموجد.. وإن الله بوجوده يتسع ويتعدد، وذلك بمعانيه بالإنسان تنتشر وتتجدد، منزه عن القدم، كما هو منزه عن الحدوث، كما هو منزه عن التعدد، وعن المشاركة، وعن التبعض والتشتت والمجانسة، ولكنه الإنسان به لمعاني حقه بأسمائه وصفاته لظهور حضرته لحضراته.

فالوجود قابل للتجدد، كما هو قابل للسعة، كما هو قابل للجديد بمعانيه. وبذلك كانت الآدمية والإنسانية متقبلة بوصفها وحالها لما تَقبل له الوجود، أصلا لها بقديمه، وفرعا عنها بقادمه.

بذلك كان الله وهو ما وراء الوجود ظاهرا به قابلا للتعالي. كما هو قابل للتداني بما يقوم به بالوجود، مجددا لمثاله، أو موسعا له، أو محدثا فيه.

فالأحد الأزلي من إنسانية الرشاد لحضرة الله، بمظهره بالأحد الأبدي له، هما في أحديتهما قيوم القائم بالأحدية لنا في قائم وجودنا حقا متعدد الحقائق بظلاله في قائم أحديته لنا.

هذا هو إنساننا وحقنا وهو ما يعنينا من أمر أنفسنا، بدخولنا في ساحة هذه الحضرة الواحدة بحضراتها لمعارجها تعاليا وتدانيا عظمة ورحمة، كشفا للأزل الإنساني بمعارجه له يبعث في أنفسنا، في قيام للأبد الإنساني يتجدد لنا بنا منا فينا.

هذه هي الفطرة، جاء محمد الله وإنسان الله بدينها حقا مرسلا، حمله أمينا محمد الروح حقا لأنفسنا في أنفسنا شهدناه، ليكون لنا بمحمد الناس قدوة أنفسنا لاقيناه، ورسولا من أنفسنا عرفناه مبعوث آدم بيننا خلقا وحقا، تائبا مهتديا بالحق قدرناه وأحببناه وتابعناه، وقد كشف الله لنا به عن قوانين الفطرة للآدمية والإنسانية في الوجود الأزلي الأبدي له كشفا لأنفسنا طلبناه وانتظرناه، به عرفنا ما كان من أمر آدم وبنيه، ومن أمر الإنسان وكلمات الله له منه إليه فيه.

صعد أبناء آدم من خلاله إلى الأعلى له على ما شهد محمد من معراجه يوم عرج به، وقد صعد هو بحقه من خلالهم إليه حتى لقيه لمعناه والأعلى نخلفه عنه ليسبح في المطلق اللانهائي، ثم ارتد إلى إخوته من آدم وأوادمه فاجتمع عليهم فيهم عندهم رفيقا وأعلى وحقا له، وظهر بهم لأممهم رفيقا وأعلى، فعرفناه حقا مجردا، وحقا مرسلا، وحقا مرسلا إليه عرفناه لأنفسنا فيه، لنعرفه بمعارجه منه فيها لنا، تمام كلمة الله، وإنسان حقه لوجوده، من جعل الله معنى المسيح لظلاله، أبناءً مكرمين وآباءً مصطفين، وجعل معنى كلمة الله لكوثره بعترته متلاحقين، لا عن زوجة ولا والد أو ولد متواجدين أو متجددين.

{وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته}[١٥]، اختبارا من الأعلى للأدنى، وجدل نفس عن نفسها، مجادلة لربها، في رفع كلفة معه لعينها، لمحيطها، لرحيمها، لأصلها، لأبوتها بنوعها، لإنسان حنانها، فقد علمته لنفسها الأكبر من نفسها.

{تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك}[١٦]، نفس تعترف بعجزها وبقصورها أمام الأعلى، وتشهد لإحاطة ربها، وتقييد أمرها، مدركة لقائم وقيوم علمه وصفاته فتقول له بأناها لعين أناه {أنت علام

الغيوب}[١٧] متوجهة لأناه له ليس غريبا عليها بعين معناه لها، وهذا قانون فطري للوجود يكشف عن حال كل أعلى يوم يخاطب الأدنى، وجواب ووعي كل أدنى يوم يقف بين يدي أي أعلى.

يومئذ تقدم كتابها بيمينها، وتبرز لربها امتثال أمره لأمرها، وهو عالم بالسر والنجوى من فعلها، ولكنها بإنسانها في قصورها، لعليها وعن عَليها تقول {ما قلت لهم إلا ما أمرتني به}[١٨]، وهي إذ تردد الإشارة إلى ما أمرت به لعالمِه ولمن صدر عنه، إنما تحاول الدفاع عن نفسها ليكون مسموعا عند من نسبوا إليها ما ليس فيها ولم يصدر عنها، لأنهم فيه ولم يخرجوا عنه، وفي هذا مواصلة لرسالتها وبلاغها من أنها ما حرفت الكلم عن مواضعه في أمرها، ولا اختلجت في شأنها فضلت بين الناس في سعيها، ثم تفصل ما فعلت وما هو معلوم لسامعها من إحاطته بها، {أن اعبدوا الله ربي وربكم}[١٩].. أن اعبدوا الله مخلصين له الدين، أن اذكروا الله لا شريك له، أن وحدوا الله ولا تكونوا بوجود لكم بأشيائكم شركاءه في أمره، إذ لا شريك له من أمركم الذي هو أمره بكم، ولا شريك له من وجودكم، ولا من إرادتكم، ولا من ظلامكم أو نوركم، أو جهلكم أو علمكم أو حكمتكم، فهو من ورائكم بإحاطته وحكمته وإرادته وقدرته. له الأمر، وله الحكم، يضل من يشاء، ويهدي من يشاء.. لأنها إذ تخاطب الله، إنما تخاطب الوجود. وفي الوجود يسري خطابها لأنه صادر من لسان وفم الوجود، (إذا كنت بين يديه علمني كلاما أخاطبه به)[٢٠].

إن الله وهو مصدر ونهاية كل أمر، هدى سبيل الضلالة بحكمته، وهدى سبيل الاستقامة برحمته ومنته. هدى شاكرا إلى قيامه بإيمان، وهدى كافرا إلى عرفان قيامه بكفران. من عَرف نفسه بالكفر عرف ربه بالحلم والسعة، ومن عرف نفسه بالإسلام والإيمان عرف ربه بالرحمة والإحسان، ومن عرف ربه بالإحاطة عرف نفسه بالنعمة، ومن عرف ربه بالعلم عرف نفسه بالحق.

ومن عرف نفسه بالحق عرف ربه باطن عبده، فعرف اسم الله له وجها للمحيط والإحاطة، جماع الرب والعبد وجها الأزل والأبد له فيه منه، فعرف أن الخلق الأبدي مظهرا للخالق الأزلي، فقام بالحي القيوم لمعناه، فعرف الخالق باطن الخلق، فتعارف للخالق إنسانا لإنسان، ولقي الأكرم الذي علم بالقلم رفيقا وأعلى، فعرف عن المنزه، وآمن بالأكبر، ولقي الأدنى في مجابهته ومشاهدته {فأينما تولوا فثم وجه الله}[٢١] وجها للأعلى فالأعلى من الله في مرآة من الأدنى، والأدنى في الله.

بكل هذا جاء دين الفطرة.. بكل هذا جاء رسول الفطرة.. وبهذا وبأكثر منه من المعارف عن الله جاء كتاب الله وحديث رسول الله، كما قام به رسول الله، وقامت به عترة رسول الله بيانا له وإفاضة به، كما قامت به وجوه الله لكل أُمة جديد رسول الله لجديد الإنسان، روح قيامه وشعار كتابه وسلامه.

كما قامت به حقائق الله في كل مكان بقيام عباد الرحمن، مشوا على الأرض هونا ويمشون، وعن المجيء إليها بحالهم، وجماع أحوالهم لا ينقطعون، وعن التذكير بالله وبربهم منه لا يفترون، وعن نشر رحمته لا يتوانون، وعن السير بنورهم في المحبين، وفي المخالين، وفي الطالبين، وفي المجاهدين، وفي المفتقرين، لا يحجمون، ولا يعجزون.

هم غيب قيام الناس في شهادتهم قائمين أيدي الله، هم بوصفهم للكل هم لأيديهم باسطين لمن يريد أن يبايع الله وهو كل الحياة بإنسانه على نفسه بهم. هؤلاء هم الدين، بكل لسان يتحدثون، وبكل مكان يظهرون، ومن كل أمة يبعثون.

فإذا أسفر أمرهم وقد بُدلت الأرض غير الأرض، يومئذ يجيب الناس الداعي لا عوج له، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا. يومئذ لا كتاب، ولا حديث، ولا بيان، ولا خلة، ولا بيع، ولا يد لله تبسط، ولكن يد لله تظل، ويد لله تقل، ويد لله تبطش، ويد لله تجمع، ويد لله تعدم وتفني، ويد لله تحيي وتبقي. إنه يوم الفصل، يرث الأرض من عباده الصالحون، هم عليها ظاهرين، وما خرجت عن حوزتهم يوما بأهل اليقين، أمرا معروفا في كل دين، تجاهله الطاغون، وجهله المظلمون، وخاصمه الظالمون.

اتقوا الله يرحمكم الله، {من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال}[٢٢]، يوم يكون الأمر كله ظاهرا لله، لا حجاب، ولا مثال، ولكنه الله وكفى، وعبده ورسوله الذي اصطفى، والمؤمنون ممن استوفى أو يوفى، {وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون}[٢٣]، إنا لله وإنا إليه راجعون.

يومئذ ينظر المنظرون، ويجاب المنتظرون، ويعمل فيها ويقوم عليها السابقون، مبعوثين على ما هو قائم، وما تشعرون أو تدركون وهو ما يدركه ويعلمه ويشهده المؤمنون، ويقدمه في دوام بعلمهم وهديهم العارفون. ولا يلتفت إليه الناس لأنه غير صادر من الحاكمين، فهم يسمعون للكراسي ولا يشهدون الجالسين ليروهم من الإنسان أم من الشياطين (اعرف الحق تعرف أهله)[٢٤]، {ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد}[٢٥]، (الناس على دين ملوكهم)[٢٦].

{ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير}[٢٧]، وقد جمعهم في دوام برحمته، ووحدهم أزلا وأبدا بحكمته، وأيدهم في أمرهم لهم بعزته، ووجههم هاديا بنصرته، وقومهم منعما لكلمته، وأعدهم محققا لطلعته، وهيأ الأمر محكما لساعته، مقيما بهم للقيامة بالحق وفاءً وجزاءً بحكمته، رافضا دعاء أهل الغفلة باسم طاعته، يستعجلون بالسيئة قبل الحسنة مرتابين في

قدرته، فقبل شفاعة الرحمة بمنته، وعطل رد أفعال الناس إلى نحورهم بعدالته، منظرا ممهلا، غفورا برحمته.

فأخر اليوم لغضبته، كلما وقع عليهم القول لكبير بطشته، كما فعل في كل أمس لرسول رحمته، وكما يفعل له كلما جدده بينهم بجلدته بناموس حكمته، فاستجاب له في جديد أمره، على ما استجاب له في سابق أمره، فأخر يوم الفصل لقادم من موعود يوم، {ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم}[٢٨]، {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}[٢٩].

يعمل دائما بيوم رحمته، ويؤجل دائما ليوم بطشته، ويحذر دائما بيوم هدايته من يوم غضبته، وممن يغضب، من لا تخالف إرادته، ولا تتعطل مشيئته أو تعلو قدرة على قدرته، ولكنه دفع الله الناس بعضهم ببعض، بنافذ إرادته لشمول رحمته بمحكم حكمته.

{ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة}[٣٠].. {ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم}[٣١]، {وما نُرسل بالآيات إلا تخويفا}[٣٢].

عجل الله في أمس ليوم قيامتكم بمحمده وحقه أمة وسطا بنصرته، واختبركم في إيمانكم وقد جعله كافة لكم. فإذاكم عن أمره المارقون، وعن حقه الغافلون، ولكتابه الهاجرون، إلا من رحم وقليل ما هم. وها هي أحداث الزمان تتجدد، والجاهلية الثانية تقوم وتنتشر وتتجدد، وقد تعرضت الدنيا في عصركم ويومكم هذا لوقوع القول عليها، لقضاء ظهرت مقدماته، وبدت إرهاصاته، لوقوع القول عليكم بفعلكم، فكان لزاما أن تكون منكم أمة تدعو إلى الخير باجتماع جمع على روحه عاملة بينكم، فرد الله بشفاعته وهو دائم رسول رحمته، عنكم ما كان سيكون باستجابة قيومه على قائم روحه لرسالته أمين ربه، وقيوم نعمته، يداني الأرض باختياره لتجديد رسالته، الخير فيه وفي أمته. {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}[٣٣]، {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر}[٣٤]، وإنها به لقائمة وإن قل عديدها وغاب عن الجمع أمرها.

يا سيدي يا رسول الله.. ها أنت فيهم في دوام بمثال وظلال بكل قوم هاد، ولكنهم مظاهروك، {يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم}[٣٥]. هذا أمرهم {والله متم نوره ولو كره الكافرون}[٣٦]، وهذا أمر ربك، فما يكون من مآل شانئيك!؟

ها أنت فيهم بجديد من أمرك استجابة ممن إليه يفتقرون، وعليه في ظلال لك يجتمعون، ولله في أنفسهم عليهم بك يستغفرون، وفي الله معهم برحمته أنت يجاهدون، والله لقائم وقيوم وجهه ينشدون ويطلبون، ولشعار دعوتك وشعار رسالتك بلا إله إلا الله يرفعون، ودائم حضرتك بالله أكبر يقصدون، وهم بلا

إله إلا الله يقومون ويوقنون، وبمحمد رسول الله مع أي ظل له في أنفسهم يؤمنون، والله في الكونين، وفي الدارين، وفي الحضرتين، جمعهم، فيهم، فيه، في أنفسهم، برحمته، طالبين، وإليه جائرين، وإن كانوا قليلا ما هم في الوجودين.. إلا أن الله جعل بهم رحمته في العالمين.

اللهم برسول رحمتك فارحمنا.. اللهم به فاغفر لنا، وقوم فيك سبيلنا، وقوم به جوارحنا، وأحيِ به قلوبنا، وضع عنا أوزارنا إلى جديد من دثاره، واكشف عنا أغطيتنا إلى قائم من وصاله، وأنر أفئدتنا، واكشف الغطاء لبصائرنا عن بصيرتنا، وأوفر نصيبنا من غفرانك على قدر ما توفر نصيبنا من سوءاتنا وزلاتنا، وأخطائنا بنكرانك، في إنسان معيتنا لإنساننا لعين إنسانك.

اللهم إنا نسألك برسول رحمتك أن تولي أمورنا خيارنا، وأن لا تولي أمورنا شرارنا بما كسبنا.

اللهم إنا نستغفرك، ونحمدك ونثني عليك الثناء كله، وبرسول رحمتك إليك نتوسل، وإليك نتوجه أن تأخذ بيدنا إلى طريق هدايتك لنسير إليك بك فينا ومعنا ولنا.

اللهم به فاهدنا إليه السبيل.. اللهم به فانشر بيننا به الدليل، اللهم افضحنا ولا تسترنا حتى يتميز الطيب من العليل، فنتابع الطيب ونتجنب الخبيث، ونعرف بذلك من أنفسنا أمر الخبيث منها، وأمر الطيب لها.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

من حديث للسيد الروح المرشد (السيد فيزر) بدائرة الجمعية الإسلامية الروحية بالكويت خدمة السيد المهندس محمود الحوراني والسيد المهندس منير الأعور وسيط الدائرة بجلسة يوم ١٩٦٤/١٢/٢٤.

(السلام عليكم ورحمته وبركاته.

إن حياتكم اليوم على هذا الكوكب كانت نتيجة لعدة عوامل طبيعية، كان مصدرها النار والماء، ومن ثم الله المحيط بكل شيء وهو على كل شيء قدير وهو المدبر لكل شيء. ومع مرور الزمن ينتشر بين هذه الأوادم ليكون هناك مرحلة من المراحل التي ستمر فيها هذه الروح للتصفية. وإنما هذا الكوكب الذي أنتم عليه الآن مليء من الأسرار. ولم يصل لها بعد هذا الإنسان بل هو في الطريق لاستكشافها، إنما يا أبنائي هناك قوة وهي التي سماها العلماء باسم قوة الجاذبية المتحركة بحركة هذا الكوكب، وهذا العامل هو الذي يميز عالمكم عن الكواكب الأخرى.

أما في البداية يا أبنائي وجدت هذه الأرض لتكون محطة ليمر عليها هذا الإنسان نحو الأسمى بواسطة هذا الجسد المادي، كما أن إنسان اليوم لم يكن بهذا الشكل الذي تعرفون أنتم، كان كل هذا نتيجة لرحمة

الله التي تكون مستقبلكم، وهي التي بإذنه تم تغيير البشرية على ما هي عليه اليوم. لم يمر في تاريخكم أن فكر الإنسان أن يكون بإمكانه أن يقوم بفكرة انفصال هذا الكوكب عن الشمس لارتباطه بفكرة الجاذبية التي قد انتشرت بداخل هذه الأرض، ومرت سنين على هذا الكوكب الذي تحيط به هذه الجاذبية، ومنذ وجد هذا الإنسان في البداية وهنالك عدة مراحل وحلقات وحلقة من الأصل حتى تبوأ اليوم له مكانا بين الكواكب الأخرى. وكان هذا الإنسان البدائي كل همه أن يعيش ويحارب قوة الطبيعة ويملأ أوعيته من حاجاتها ليعيش.

أبنائي.. ما زال هذا الإنسان في طور التطور. بإمكاني أن أوضح لكم أكثر في هذا الوقت. إن هذا الإنسان البدائي سار في حياته البدائية ليهيئ لنفسه الحياة والمعيشة على هذا الكوكب، وبقي مرتبطا معه في حياته المتواصلة بعدة مرات. ومن هذه الحياة انطلق ليؤدي رسالة البقاء للإنسانية ويحافظ عليها ثم فتحت له أبواب المعرفة، وبفترة قصيرة من الوقت كان متوفرا لديه معظم حاجياته البدائية. ومن الأصل كان تفكيره قد اتجه لناحية واحدة لأنه كان يخاف عوامل الطبيعة، ويختار من يخافه ليعبده رمزا لهذه القوة، عبر عنها بالخدمة والجمال. ومن ثم اتجه تفكير هذا الإنسان أن يكوّن في هذا الكون عبادة أرقى وأسمى يوم وعى أن يبدأ ليسأل نفسه إلى أين تكون النهاية.)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ حديث شريف ذكره الشعراني في "لطائف المنن" مشيرًا إلى أن الحكيم الترمذي رواه في نوادر الأصول، كما جاء في الفتوحات المكية لابن عربي، وكذلك تفسيرات بعض الصوفية للقرآن الكريم بنص: "إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم".

٢ سورة النحل - ١

٣ سورة الزمر-٦٩

٤ في إشارة للحديث الشريف "إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا." أخرجه البخاري ومسلم.

٥ سورة الفاتحة - ١

٦ سورة العصر – ١، ٢

٧ سورة مريم -٢٤

٨ سورة البقرة - ٣٧

٩ سورة الإسراء - ١٠٥

١٠ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفُّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه.". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني

١١ استلهاما من عدة أحاديث: "إن لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر من أتاه بخلق منها دخل الجنة." رواه الطيالسي والبزار والترمذي الحكيم والبيهقي والطبراني، وأبو يعلي. وأيضا الحديث الشريف: "إن لله تعالى ثلاثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة "، ذكره الحافظ العراقي بهذا اللفظ في تخريج كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، كما جاء في الفتوحات المكية لابن عربي. وأخرجه الطبراني

١٢ من حديث شريف مجمع على صحته جاء به جبريل عليه السلام عن معنى الإحسان "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك". أخرجه البخاري في صحيحه.

١٣ الصلاة الربية في الإنجيل: لوقا ١١: ٢.

١٤ مقولة صوفية عامة، وغالبا ما تعود إلى مولانا جلال الدين الرومي.

١٥ سورة المائدة - ١١٦

١٦ سورة المائدة -١٦

١٧ سورة المائدة - ١٠٩

١٨ سورة المائدة - ١١٧

١٩ سورة المائدة -١١٧

٢٠ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٢١ سورة البقرة - ١١٥

٢٢ سورة إبراهيم - ٣١

٢٣ سورة التوبة - ١٠٥

٢٤ قول للإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه: إن الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله. مجمع البيان: ١ / ٢١١، روضة الواعظين: ٣٩. المكتبة الشيعية.

٢٥ سورة الحج - ٣

٢٦ ذكره الشيخ محمد رشيد رضا في مجلة المنار قائلا: "وقد مضت سنة الاجتماع في تقليد الناس لأمرائهم وكبرائهم، فكل ما راج في سوقهم يروج في أسواق الأمة، وإذا كان حديث «الناس على دين ملوكهم» لم يُعرف له سند يصل نسبه ويرفعه، فمعناه صحيح وهو ضروري الوقوع في الحكومات المطلقة الاستبدادية".

٢٧ سورة الشورى - ٢٩

٢٨ سورة هود ١١٠

٢٩ سورة الأنبياء - ١٠٧

٣٠ النحل - ٦١

٣١ سورة النساء - ١٤٧

٣٢ سورة الإسراء - ٥٩

٣٣ سورة الأنفال - ٣٣

٣٤ وسورة آل عمران - ١٠٤

٣٥ سورة الصف - ٨

٣٦ سورة الصف - ٨